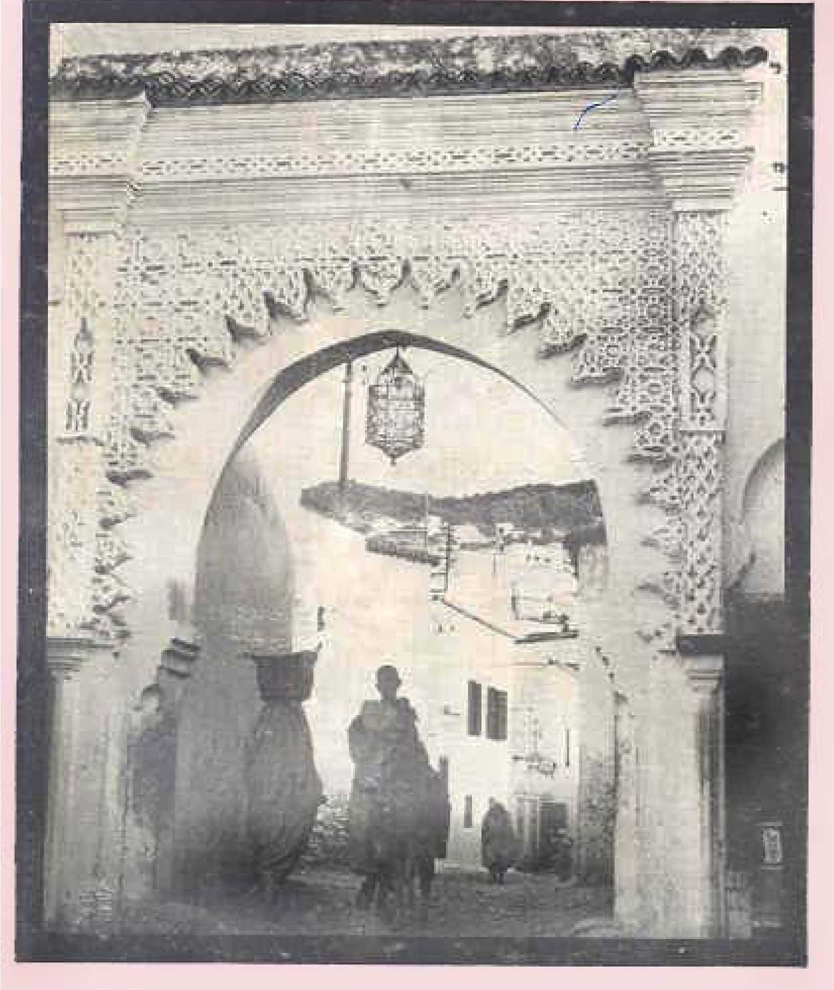
دعوة الحق

الثقافة المغربية والمفاهيم المستوردة

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية



خصائص ظاهرة

الاستمرار

في المجتمع الإسلامي المغربي من خلال المسيرة الخضراء

2

نقد التحليل الماركسي للفلسفة الإسلامية

تحريف التاريخ

أهم مظاهره وأساليبه

تاريخ شالة الإسلامية

العدد 4 السنة 18 جمادى الأولى 1397 - ماي 1977 ثمن العدد: 3 دراهم

تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الرابع
السنة الثامنة عشرة
جمادى الأولى 1397
ماي 1977
ثمن العدد 3 دراهم

فهرس العدد 3 السنة 18

● من موضوعات هذا العدد:

* الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن
* الحياة والعيش
* نقد التحليل الماركسي للفلسفة الإسلامية
* أحمد حسن الزيات ودوره في الأدب العربي
* نماذج من أدب الصحراء المغربية
* قراءة في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي
* خصائص ظاهرة الاستعمار في المجتمع المغربي
* المؤلفات المغربية في السيرة على خير البرية

● ومن كتابه:

● عبد الله كنون ● محمد العربي الخطابي ● محمد المنوني
● سعيد أعراب ● المدني الحمراوي ● عبد الله الجراري
● محمد العربي الناصر ● ادريس الكتاني ● احمد البوعياشي
● محمد بن الطيب العلوي ● عثمان عثمان إسماعيل ● زين العابدين الكتاني
● محمد احمد شماعو ● أحمد تسوكي ..

● ومن أبوابه:

- من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
- شهريات الفكر والثقافة
- شهريات العالم الإسلامي
- رسالة مصر الثقافية

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي:

مجلة « دعوة الحق » — مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب: 375 — الرباط — المغرب
الهاتف: 235،85 — 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما، والشرف 100 درهم فأكثر.

السنة عشرة أعداد. لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة.

تدفع قيمة الاشتراك في حساب:

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 · 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان اعلاه:

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص.

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر





الافتتاحية :

الثقافة المغربية والمفاهيم المستوردة .

● شغل العقل العربي الاسلامي بالبحث فى مدلول الثقافة وعلاقتها بالحضارة والعقيدة الاسلامية ردحا طويلا من الزمن . وخاض فى هذا الموضوع اعلام الفكر والادب فى العالم العربي والاسلامي كل من وجهة نظره وزاوية اختصاصه وأنتجوا فى هذا الميدان مـآت الكتب وآلاف المقالات فى كبريات المجلات العربية من ((الفتح)) و ((الزهراء)) و ((الرسالة)) و ((الثقافة)) الى ((الاديب)) و ((الآداب)) و ((الفكر المعاصر)) و ((المجلة)) و ((مواقف)) و ((المعرفة)) و ((دعوة الحق)) التي سجلت أعدادها مناقشات ومعارك ادبية اثرت الحياة الفكرية فى المغرب بشهادة كبار المفكرين والكتاب العرب من المشرق والمغرب . واستغرق النقاش والجدل حول مفهوم الثقافة نصف قرن او يزيد الى ان حلت بالامة الاسلامية نكبة يونيو 1967 ففتر الحماس قليلا وانصرفت الاقلام الى موضوعات سياسية وفكرية وحضارية ، ولم نعد نقرا فيما تصدره المطابع العربية بحثا فى الموضوع . ولا يستثني من ذلك الوضع الثقافي فى المغرب طيلة السنوات التي أعقبت النكسة .

وبتباين المفاهيم ووجهات النظر وانعكاس الصراع السياسي والمذهبي على قضايا الفكر والثقافة نتج خلط كبير ، وتفاقمت الازمة حتى لم يعد بامكان الانسان العربي المسلم أن يطمئن الى اقتناع عقلي يحسم به الصراع حسما ويريح به ضميره . وطرح السؤال الكبير الذي لا يزال موضع اخذ ورد الى يومنا هذا :

- ما هي الخصائص المميزة لثقافتنا ؟

وأحيانا كان يطرح السؤال بصيغة اخرى :

- من نحن ؟ . وهل لنا ثقافة ؟ .

وبدا واضحا باديء ذي بدء أن القضية ذات أبعاد عقائدية وسياسية خطيرة ، وانها تتعدى ((الاطار الادبي)) الضيق المحدود الى مجال أرحب وأشمل يستوعب الماضي والحاضر والمستقبل ويتغلغل فى نسيج العقيدة وصلب الحضارة وقلب التراث وعمق المكونات النفسية والوجدانية والفكرية لامتنا العربية الاسلامية .

وكان منتظرا ان ترتفع معاول الهدم والتخريب لبلبلة الافكار والتشكيك فى العقيدة وزرع الالغام فى أذهان الاجيال الصاعدة فى المدارس والمعاهد والجامعات ، وارتفعت أصوات منكرة تلغي ـ دفعة واحدة ـ عامل العقيدة من الثقافة وتجردها تماما من مقوماتها الدينية لتجعل منها ثقافة بدائية تعتمد على اشكال من الفلكلور وألوان مما يدعونه ((بالابداع الشعبي)) و ((الخلق الفني)) وكان اربعة عشر قرنا من الحضارة أضغاث أحلام ..

وشهدت الساحة الفكرية فى طول وعرض الوطن العربي الاسلامي معارك حامية كان التاثير الاجنبي فيها غالبا وطاغيا ومستبدا الى أقصى حدود الاستبداد . ورأينا عجبا : تواطؤ القوى الفكرية والايديولوجية فى وطننا الكبير ضد الثقافة العربية الاسلامية ، وتكاثف جهودها جميعا وبصور واشكال مفضوحة ومكشوفة فى معركة اعتبروها مقدسة للاجهاز على الفكر الاسلامي باسلحة التشكيك والتضليل والافتراء والكذب والادعاء والتزوير والتشويه وقبل هذا وذاك بالارهاب الفكري والاعلامي المكثف والموازي للضغط السياسي والاقتصادي الرهيب .

وفى فترات متقاربة تحركت كل الجبهات المعادية للاسلام . بدأ التحرك أولا بالجبهة الصليبية التبشيرية من العشرينات الى الخمسينات، ثم انتقل لواء الحرب الى الجبهة الشيوعية الماركسية ، ثم اقتضى تكتيك الغزو أن تتحالف الجبهتان بايعاز من الصهيونية العالمية بغية اختصار المسافة والاقتصاد فى ((نفقات الابادة)) ..

وهي المرحلة الراهنة التي نمر بها الان : عدوان من كل جانب ، وغزو بكل سلاح ، وتآمر من كل لون حتى ان اتخذ شكلا ثقافيا ، او اصطبغ بصبغة ادبية ، أو اكتسى طابعا اعلاميا محضا .

ومن الخطا التقليل من شان المعركة الثقافية الدائرة اليوم فى العالم العربي والاسلامي او الاستهانة بها ، او النظر اليها من زاويـــة ثقافيـــة بالمفهوم الحرفي للثقافة . ذلك ان هذه المعركة مظهر من مظاهر الغــزو الفكري والاكتساح الثقافي والغارة المنهبية . وليس يعقـل ان نغـض الطرف عن ذلك كله فى الوقت الذي اصبح وجودنا المعنــوي مهـددا حقيقة لا مجـــازا .

والقضية في عمقها وجوهرها تتصل اتصالا وثيقا بالصراع القائـم بين الاسلام كعقيدة ونظام حياة متكامل وسلوك وشريعة وبيـن العقائـد والايديولوجيات والانظمة المناهضة للدين جملة وتفصيلا .

ومن هنا ننظر الى ما يدعى « باشكالية الثقافة المغربية المعاصرة ».

● فمن اين تاتي هذه « الاشكالية » اذن ؟

الواقع ان معالجة موضوع الثقافة المغربية المعاصرة تفقـد كـل اهمية ان لم تنطلق اساسا من الحقائق التاريخية والحضارية التالية :

اولا : « اسلامية » الثقافـــة المغربيـــة .

ثانيا : « عروبــة » الثقافـــة المغربيـــة .

ثالثا : « مغربيـــة » الثقافـــة المغربيـــة .

رابعا : « واقعيـــة » الثقافـــة المغربيـــة .

فمن حيث الحقيقة الاولى فلا احد يستطيع ان ينكر بجرة قلـم او بفلتة لسان الخصائص الاسلامية الاصيلة ، لثقافتنا بما يعنـــي ذلك مـــن اصطباغ هذه الثقافة بالصبغة الدينية التي تنفخ فيها روح الاصالة الحقة وتربطها بوجدان الشعب وتجعل منها ميزة من مميزاته القائمة الـــذات . ولسنا نعني بذلك ان نقصر الامر كله على المسائل الفقهية والمصطلحات الدينية كما يفهم الغرب المصطلح الديني . بل على العكس من ذلك ، فان كل انتاج حضاري او ادبي (ولا نقول الخلق او الابداع لانهما من صفات الله سبحانه وتعالى) مهما كانت نوعية تعبيره واسلوب ادائه يدخل فى هـــذا المضمار . بما فى ذلك فنون القول والمعمـــار والتعبيـــر الشعبي عـــن الانفعالات الجماعية وردود الفعل تجاه الاحداث والكوارث والازمات وقضايا الحياة من حرب وسلم ، ونصر وهزيمة ، ورخاء وشدة ، وسراء وضراء ، وصعود وهبوط فى سلم الرقي الاجتماعي . وليس من طبيعة الاسلام ان يفصل بين جزئيات الحياة ويصنفها الى مادي وروحي . فهذا المفهـــوم دخيل على ثقافتنا . ومن ثم ينبغي الا نقع فى المحظور فننظر الى قضايانا الفكرية والثقافية من وجهة نظر باطلة من الاســـاس .

والغريب ان تلامذة الفكر الاوروبي فى البلاد العربية والاسلاميـــة يقبلون ان تكون الثقافة فى الغرب راسمالية او ماركسية ـ تبعا لنظـــام

الدولة واتجاهها الايديولوجي ـ ويرفضون فى نفس الوقت ان تكون ثقافتنا اسلامية . ((كان الاسلام خطبة فى مسجد او امداح فى ليلة مولد)). فى حين ان هذا الدين جاء ليهيمن على الحياة ويتحكم فى مساراتها ويخضع الانسان لقبول حكمه ورأيه النافذ فى جميع شؤونه واحواله .

وهل يزعم احد فى دولة ماركسية ـ مثلا ـ على ان يجرد الثقافة السائدة هناك من صبغتها الماركسية ؟

انه من باب تحصيل الحاصل ان تكون الثقافة فى بلد ما خاضعة بالضرورة ـ وبالمنطق والعقل ـ للعقيدة والقيم والمفاهيم السائدة .

وبهذا المعيار فان الثقافة المغربية اسلامية الروح والمضمون والمحتوى .. كان هذا فى الماضي ونعيشه فى الحاضر وينبغي ان يكون فى المستقبل ان شاء الله . وهنا تتبلور رسالة المثقفين المغاربة ، وفى طليعتهم حملة الفكرة الاسلامية ودعاتها والمبشرون بها .

● ان انكار الروح الاسلامية للثقافة المغربية الغاء لتاريخنا الحضاري بالمرة . وليس مما يتفق وطبائع الاشياء ادعاء ذلك او مجرد التلويح به . لان القول بهذه الفكرة يعتبر فى الواقع تكريسا لجهود الاستعمار الذي كان يشيع فى أوساطنا اننا امة من الهمج لا تاريخ لها ولا حضارة ولا ثقافة .

ومن اشد الامور ايلاما للنفس ان يروج مفكرون عرب لهذه الدعاوي الباطلة ويبثونها فى المحافل الثقافية والتعليمية بشيء غير قليل من الحماس والجهد والصبر . وما دروا انهم يخدمون مخططات الاستعمار العالمي من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

ولا يمكن ان نقبل فى المغرب المسلم المجاهد الصامد هذه المفاهيم الدخيلة تماما كما لم نقبل بالامس القريب تجزئة ترابنا وتفتيت وحدتنا . لانه فى منطق الوطنية المغربية الاسلامية سيان بين غزو الارض وغزو الفكر ، وبين تمزيق الوحدة الترابية ، وبين تشطير الراي العام المغربي الى شطرين ؛ شطر مؤمن بالمقدسات والمقومات والتراث ، وشطر ثان منكر للقيم والثقافة والحضارة كلها . وثمة تلازم لا ينكر بين الحالتين باعتبار ان الحالة الاولى (غزو الارض) تمهيد للحالة الثانية (غزو الفكر).

وبهذا الوضوح ننظر الى قضية الثقافة المغربية المعاصرة دون ان نسمح لانفسنا بالفصل بين الثقافة والعقيدة ، او بين الادب والدين ، او بين اللغة والتراث ، او بين السياسة والفكر .

ولسنا وحدنا نمزج هذه المقومات كلها فى اطار الاسلام ، فان خصوم ديننا من صليبيين وصهاينة وشيوعيين واستعماريين جدد يبذلون قصارى جهدهم للجمع بين هذه الاغراض جميعا فى وحدة يزعمون انها عضوية لا تقبل التجزئة او التشتت ، فاذا قالوا بالثقافة فهي ثقافة ماركسية ملحدة، واذا قالوا بالادب فهو ادب ماركسي ملحد ، واذا قالوا بالفن فهو ـ ايضا ـ

فن ماركسي ملحد . وقل مثل ذلك عن المدرسة الليبرالية فى الفكر والفن القائمة على التصورات الاغريقية للانسان والحياة والكون .

● فهل النظرة الشمولية للثقافة حلال عليهم حرام علينا ؟ .

● أم يا تراه الارهاب الفكري يسير في خط متواز مع الغزو العقائدي؟

واذا انتقلنا الى المرتكز الثاني من مرتكزات الثقافة المغربية وجدنا انفسنا وجها لوجه أمام اللغة العربية باعتبارها وعاء الاسلام وقالبه . وهنا يدخل ذلك الصراع الخفي الذي يدور حول الفصحى والعامية أو بين التعريب والتغريب ، او على مستوى أقل تطرفا المناداة بتعديل قواعد النحو والتبشير بالبلاغة الجديدة وتجاوز البيان العربي المشرق بدعوى التخفيف من التقعر والتحرر من أثقال المحسنات البيانية . وهي كلها دعاوي يراد بها ــ بالدرجة الاولى ــ احداث فجوة عميقة الغور بين الاجيال الصاعدة وبين فكرها وثقافتها وتراثها المدون باللغة العربية ، حتى يحين على أمتنا زمن تترجم فيه « العربية » الى العربية .

والحق ان الاستخفاف بالفصحى واحتقار الاسلوب العربي المبين ضرب من ضروب الحرب الشرسة الموجهة ضد الاسلام وثقافته .

وعلى هذا الاساس ، وبهذا الاقتناع تكون الدعوة الى تجريد الثقافة المغربية من طابعها الاسلامي والعربي مدخلا رئيسيا الى تمييع الشخصية المغربية المؤمنة والاسهام فى الغزو العالمي الذي يكتسح العالم العربي والاسلامي فى هذه المرحلة .

واستمرارا فى هذا الاتجاه ، وقياسا على ما سبق ذكره فان « مغربية » ثقافتنا ليست دعوة رجعية الى الاقليمية الضيقة ولكنها تأكيد للسمات المحلية الاصيلة التي تبرز خصائص شعبنا المؤمن والمجاهد عبر العصور وتكشف ــ بالتالي ، عن جوهره ونقائه ودوره فى الحضارة العربية والاسلامية . ونحن هنا نختلف ــ على طول الخط ــ مع دعاة القومية المتحجرة المتناقضة مع شمولية الدعوة الاسلامية . ذلك ان طرح مبدأ « مغربية » ثقافتنا (ولا نقول مغربتها للفرق الاساسي بين الاصطلاحين) وجه من وجوه استقلال ارادتنا ، وهو موقف لا بديل عنه فى مواجهة دعوات الغزو الاوربي القائم اساسا على فكرة « الانفصام » من جهة ومبدأ « الانفصال » الاستعماري من جهة أخرى .

وبذلك تكتمل عناصر المعادلة ويرتفع الالتباس ..

● ويمكن ان نجزم الآن فى يقين وايمان ان الثقافة المغربية هي قطعا ثقافة اسلامية عربية وبمعنى آخر فان من يتنكر لاسلامية وعروبة ثقافتنا التاريخية والمعاصرة والمستقبلية على سواء انما يتنكر فى الواقع ، وبكل المقاييس ، لذاته ولامته ولوطنه .

و « الاشكالية » المطروحة على بساط الدرس والتحليل والمناقشة نابعة اساسا من هذا التنكر .

ومن ثم ، فان القضية ـ كما رأينا ـ تكتسي طابعا اسلاميا محضا ، على الرغم من خداع العناوين .

وهكذا فان المعركة الثقافية من صميم المعركة الاسلامية الكبرى التي يخوضها المغرب بقيادة امير المؤمنين جلالة الحسن الثاني ايده الله .

● معركة الاصالة واثبات الذات ...

● معركة بناء الاقتصاد والانسان ...

● معركة تحرير الارض والعقل ...

● ومعركة اليوم والغد تحت راية الاسلام ولواء العرش العلوي المجاهد ..

« دعوة الحق »

المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب

● ينعقد بمدينة اكادير أيام 6 ـ 7 ـ 8 ماي الجاري المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب . ومن المنتظر ان يدرس المؤتمر قضايا اسلامية واجتماعية متنوعة ويصدر توصيات هامة على الصعيدين الوطني والعربي الاسلامي .

ويتميز المؤتمر السادس بحضور وفود العلماء المغاربة من أقاليم الصحراء المسترجعة الذين كانوا فيما مضى يحرمون من حضور مثل هذه المؤتمرات الهامة .

ويأتي مؤتمر رابطة علماء المغرب فى وقت أحوج ما تكون فيه الامة الاسلامية الى سماع كلمة الاسلام الصريحة الصادقة فى شؤون حياتها المعاصرة .

« دعوة الحق » تحيي علماء المملكة فى مؤتمرهم العام ، وتتمنى لهم التوفيق والنجاح لخدمة الاسلام والمسلمين تحت راية العرش العلوي المجيد ●

الرد القرآني

على كتيب : "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟"

9

للأستاذ عبد الله كنون

عيد الاضحى :

مهد الكاتب للكلام على عيد الاضحى بما يقوله بعض المفكرين الاجتماعيين فى نشاة الانسان البدائى وتكون العادات والطقوس الدينية لديه ، ومنها تقديم القرابين والضحايا الى ما كان يقدسه ويؤلهه من مظاهر الطبيعة والقوى الخفية والاوثان والاصنام ، وهم يرجعون ذلك الى عجز الانسان امام هذه القوى وما يشعر به من خوف من سطوتها التى لا تقهر، فهو يتوسل الى استجلاب رضاها وتجنب انتقامها منه ، بالقرابين والضحايا التى يقدمها اليها .

ولما كان باعث الانسان على ذلك هو العجز والخوف فانه لم يكن يفرق بين الآلهة والمردة من الجن والشياطين والارواح الخبيثة وغيرها، ويعتقد ان الآلهة فيها آلهة خير وآلهة شر، وأنها تتدخل فى حياته بما يسوء ويسر ، فمن واجبه بل من اسباب الدفاع عن نفسه وسعادته وسعادة اسرته ، التودد الى هذه الآلهة والتقرب منها بالضحايا والقرابين ومختلف الهدايا وكذا الى القوى الشريرة الاخرى من العفاريت والكائنات الموهومة والخيالات .

ثم يقول هؤلاء المفكرون ـ ويسير الكاتب التقدمى فى ركابهم ـ انه لما تكونت الطبقات الاجتماعية ، صارت الطبقة الضعيفة المظلومة ، تعتقد بحياة أخروية تنتصف فيها من ظالميها ، والرهبان يؤكدون ان الانسان خلق خاطئا ، فعليه ان يقدم ضحية لله ليغفر له خطيئته ، وتعليقنا على هذا التخيل المسمى بالتفكير أنه أولا مصادم للعقيدة الدينية الصحيحة والاسلامية منها بالخصوص، لانه ينبنى على ان الانسان وجد عبثا وترك سدى ، فبقى فى عماية الجهل وظلمات الشرك، يتلمس الطريق ولا يهتدي الى الحق سبيلا،والشياطين تعبث به والاوهام تعذبه ، ولا شفيق ولا رحيم ، فأين هذا مما جاءت به الاديان السماوية فى بدء الخليقة وزكاه القرآن ، من ان الله عز وجل لما خلق آدم ، ابا البشر ، كرمه وعلمه ، واسجد له ملائكته ونباه فكان اول مرشد لبنيه وذريته من بعده ، الى عبادة الله الواحد الاحد ، وسلوك الطريق المستقيم ، وعدم التورط فى حبالة الجاهلية والخلط بين قوة الطبيعة المخلوقة ، والاله الخالق كما يقول هذا التفكير السقيم ؟ وما دام الكلام فى امور غيبية لا يتوصل الى معرفة حقيقتها بالظن والتخمين ، فاى عاقل يقدم هذه الافتراضات والاوهام على خبر السماء المنقول الينا بالتواتر جيلا عن جيل من اقدم عهود التاريخ ؟

وثانيا فان هؤلاء المفكرين لو كانوا هم الذين فطروا الانسان وكونوه من اول يوم ، لما زادوا على هذا الترتيب والتنظيم الذى تخيلوه لتنقل الانسان فى مراحل تفكيره وبحثه عن حقيقة الوجود شيئا . الا ان واقع الحياة وتاريخ الانسانية لحسن الحظ ، يكذبهم فلم تزل التواريخ تنقل الينا اخبار الانسان وتطوره فى مجال المعرفة والحضارة ، ونفوذه الى اسرار الطبيعة وتحكمه فيها لصالحه ، منذ اقدم العصور ،

مما يعارض على طول الخط هذه البدائية المزعومة والسذاجة المفروضة . والآثار الباقية عن القرون الخالية تؤكد ما يرويه التاريخ ، ومعطيات الحفريات في مواطن الامم والشعوب المنقرضة ، تفيد انها كانت على جانب من المدنية وسمو التفكير ، ينسف كل هذه الآراء والاحتمالات البعيدة عن الواقع . هذا الى أن شعوبا وقبائل في مجاهل افريقيا وآسيا وأمريكا وأوربا كالاسكيمو من سكان القطب الشمالي ، ما يزالون يمثلون الانسان البدائي المزعوم ، فلو ان الانسانية كانت تتقدم بتقدم الزمان ، على هذا المنوال من تفكير القوم ، لما بقيت هذه الشعوب والقبائل على جاهليتها الجهلاء ولكانت قد لحقت بقافلة الانسانية ولو في تفكيرها الديني على الاقل ، لكن الحقيقة هي ان المعرفة بالله سابقة على الجهل . وقد اتى بها النبيئون والمرسلون ، لانها لا تعرف من غير طريقهم ، ولان الله عز وجل ما كان ليواخذ الانسان الذى اختار التكليف ، قبل ان يدله على الطريق ، وذلك ما تصرح به الآية القرآنية الكريمة «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» وقد تعترى الجاهلية طائفة من الناس او شعبا من الشعوب ، فيضل بعد الهدى، ويغوى بعد الرشد ، لغلبة الشهوة والهوى على النفوس ، وذلك هو مدلول قوله تعالى في آية اخرى «ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون» .

ويسف هذا التفكير الى حد السفاهة حين يزعم أن الاعتقاد بالحياة الاخروية نشأ مع تكون الطبقات الاجتماعية، عند الطبقة المظلومة ، والحالة ان الاعتقاد بالحياة الاخرى هو من طبيعة الايمان بوجود الله والثقة في عدله ، وقد كان قبل وجود الطبقات وبعد وجودها ، اذا صح ان الطبقات لم تكن في وقت من الاوقات ، وهو موجود حتى في المجتمع الذى يقال انه قضى على الطبقية أى المجتمع الاشتراكي ، ولا يتعزى المسحوقون والمظلومون في هذا المجتمع بالذات ، الا بالايمان بالعدالة الالهية يوم يقوم الناس للعرض والحساب ، أما ان الرهبان يقولون ان الانسان ولد خاطئا ، فهذا من التحريف الذى أدخل على النصرانية لتبرير الاعتقاد بالصلب والفداء ، واعتقادنا معشر المسلمين ان الانسان لا يواخذ الا بما جنى ، وأن ما يزعمه النصارى في الخطيئة الكبرى التى لزمت آدم وبنيه بالاكل من الشجرة التى نهى عنها فانه خرافة باطلة ، والله تعالى قد غفر لآدم عليه السلام هذه المخالفة ، كما في آيات عديدة من القرآن الكريم ، وليس اسخف من هذه العقيدة الا عقيدة الصلب الذى يقولون عنه انه كفارة عن تلك الخطيئة، كأن الله تعالى عن قولهم علوا كبيرا ، لم يستطع أن يغفر لآدم خطيئته الا بصلب ابنه أو نفسه باعتبار الابن هو عين الاب في زعمهم ، ولكن اذا كان الامر كذلك فكيف استطاعت الضحايا ان تكفر الخطايا التى يرتكبها الانسان فيما بعد ، وقد يكون فيها من الفظاعة والشناعة ما يجعل خطيئة الاكل من الشجرة كلا شيء بالنسبة اليها ؟

نحن لا نناقش هنا العقيدة المسيحية ، وانما نعرض فكر الرجل او بالاحرى التفكير الذى يحمل المتناقضات، وهو يجادل في أحقية الدين ، ثم لا نغفل عن قوله ان الاعتقاد بالحياة الاخرى من شأن الطبقة الضعيفة ، وما يلزم عليه من أن غيرها من الطبقات لا تعتقد بتلك الحياة ، فهل هذا صحيح ، وما من طبقة الا وهى أضعف ممن فوقها ، وكمثال على ذلك تروتسكي مع ستالين ؟..!

بعد ذلك يقول السفير السوفياتي رحماتوف : «وكانت الضحايا في الزمن القديم من النساء والاطفال ثم صارت من العبيد وبعدهم من الحيوانات» وقوله هذا يخالف المأثور والرواية الصحيحة ، فان اول ما عرف من القرابين او من اوله قربان ولدى آدم عليه السلام وهما هابيل وقابيل ، وكان قربان هابيل كبشا وقربان قابيل زرعا ، فالتضحية بالحيوان والكبش بالخصوص هى الاقدم والاسبق ، والتضحية بالنساء كانت في مصر على ما يذكر التاريخ من ان المصريين كانوا عندما يتأخر وفاء النيل يرمون فيه بفتاة حسناء بعد ما يزينونها ويحتفلون لذلك اعظم احتفال .. وطبعا كان هذا قبل الاسلام ، فلما هموا بفعل ذلك بعد الفتح الاسلامي منعهم عمر بن الخطاب، وقال: ان كان وفاؤه من عند الله فسيأتي ، وان كان من عندياته فلا حاجة لنا به ، وهكذا لقنهم العقيدة الصحيحة وأنقذ تلك النفس البشرية من الظلم الذى كان سيحق عليها ، ولكن المؤلف (الديبلوماسي) لم يشر الى هذه القضية من قريب ولا من بعيد ، لانه سيقر حينئذ بفضل الاسلام على الحرية الانسانية ، وليس هذا من أغراضه !

كما ان الاسلام حرر العبيد ولم يعترف بنوع من العبودية مما كان يمارس قبل مجيئه، وبالضرورة فانه

لم يعرف فى تاريخه شيئا من التضحية بالعبيد . نعم أبقى الاسلام على الاسترقاق او الاسر بعبارة اخرى فى حالة واحدة وهى حالة الحرب ، فيما اذا كان ذلك ضروريا ، لانه لم يكن هناك قانون دولى لتبادل الاسرى ، وليس من المعقول ان يطلق المسلمون أسرى عدوهم فى حين ان العدو يسترق أسراهم، فلما أدركت الانسانية مغزى الغاء الرق فى الاسلام وسنت الدول الكبرى قانون تبادل الاسرى والغاء الرق ، لم يكن هناك مشكل بشأن هذه القضية فى العالم الاسلامى ، وهذه السابقة العظيمة لتحرير العبيد التى جاء بها الاسلام لم يعرج عليها المؤلف ايضا لعاداته له.

ويصل المؤلف الى غايته المقصودة فيقول : «ان القرآن يقص أن النبى ابراهيم عليه السلام اراد أن يضحى بابنه اسماعيل ، ولكن سكينه كانت كليلة ، فلم يستطع أن يذبحه ، وأرسل اليه فى نفس الوقت ملكا يحمل كبشا فكان هو الضحية ومن ذلك الحين صارت العادة أن يضحى الناس بالحيوان».

وفيما حكاه المؤلف مخالفة للرواية الصحيحة ، فان السكين لم تكن كليلة ، ومن غير المعقول ان يعتزم ابراهيم التضحية بابنه ويأتى بسكين كليلة ، ولكن الواقع ان السكين كانت تنقلب فى يده ولا تعمل عملها ، وكان الامر يتعلق بامتحان ابراهيم وصدق ايمانه وقوة عقيدته واخلاصه لله ، فلما اظهر تصميمه وتنفيذ عزمه ، وظهر ايضا صبر الولد واستسلامه لقضاء ربه ، افتداه الله بكبش فكان هو الضحية والقربان ، على ما تعوده الناس من عهد آدم عليه السلام .

ومما تجب معرفته ان هذا الامتحان كان نتيجة رؤيا منامية رآها ابراهيم ، ومع ذلك فلم يتردد فى تحقيقها هو والولد المطيع ... ومن العجب العجاب ان ينتقد بعض الملاحدة هذه القصة فى حين انهم ينوهون بكثير من أمثالها مما يرتكب فى الحروب العدوانية ، ويرونه شجاعة واخلاصا وتضحية ، وهو لم يكن الا تكريسا لمطامع وقضايا استعمارية وتسلطية صرف ، فى حين أن هذه انما يعبر بها عن صدق الايمان بالله وعمق الشعور الدينى والمبادرة الى طاعة الخالق ولو كانت شاقة على النفس .

وأغرب من ذلك من تأخذه الشفقة على الحيوان ويتنكر التضحية به، كأن ملايين الرؤوس من الحيوانات التى تذبح يوميا فى مختلف بقاع العالم، لا تعد ضحايا وانما الضحية التي ينوي ذابحها التقرب بها الى الله، وان كانت هى أيضا ستؤكل ويعطى منها للفقراء ويكون مصيرها هو مصير الملايين المشار اليها ، فلم تختلف عن غيرها الا بهذه النية الحسنة !

ولا نمر دون ان نشير الى ما فى كلام هذا المؤلف من المؤاخذة اذ جعل ابداء التضحية بالحيوان من قصة ابراهيم ، وهي كما نبهنا عليه من قبل ، كانت منذ بدء الخليقة ، وكانت كذلك بكبش ، ولا أدل على ذلك من امتحان ابراهيم عليه السلام بهذا الامر ، فانه لم يكن معهودا ولا معمولا به ولو كان كذلك لما حمل محمل الامتحان واستغرب غاية الاستغراب فاذا كان المؤلف اخذ التضحية بالاطفال فى الفقرة السابقة عنه من هذه القصة ، فانه مخطىء ومستدل بما لم يقع!.. ويتعرض هذا الكاتب للكلام على عيد الاضحى فيقول انه يقترن بخرافة مضحكة ، وهى اعتقاد المسلمين ان الضحايا من بقر وغنم فى هذا العيد ستكون مطايا لهم للجواز على الصراط الذى هو قنطرة فوق جهنم، أرق من الشعرة وأحد من السيف ، وسيجدونها فى انتظارهم عند القنطرة ، فتنقلهم سالمين الى الجنة، وهذا الكلام فيه من التزيد والاختلاق وسوء الفهم وعدم التروى ، ما لا يصدر الا عن ملحد متعنت مثله، وهو اشبه بكلام العوام منه بكلام الخاصة ، الذى يضع المؤلف نفسه بينهم ، فلم يرد فيه ما يعتمد عليه باستثناء الصراط ، فانه حق ، ويجوزه العباد على قدر أعمالهم ، فمنهم من يجوزه كالريح ومنهم كالبرق ومنهم كأجاويد الخيل فناج مسلم ومخدوش مكردس فى جهنم كما فى الصحيح ، ثم هذا على سبيل التقريب والتمثيل ، والا فأمور الآخرة لا تقاس على امور الدنيا ، وما يروى من ان الضحايا هى المطايا فالمراد به المجاز لا الحقيقة ، ومعناه ان من اخلص قربته الى الله كان ذلك سببا فى دخوله الجنة ومن أشرك بالله شيئا دخل النار، ويدل عليه الحديث الذى اخرجه ابن ابي شيبة وأحمد فى الزهد والبيهقي فى شعب الايمان عن طارق بن شهاب رضى الله عنه قال : قال سلمان دخل رجل الجنة فى ذباب ، ودخل رجل النار فى ذباب ، قالوا وما الذباب ، فرأى ذبابا على ثوب انسان، فقال هذا الذباب، قالوا وكيف ذلك؟ قال : مر رجلان مسلمان على قوم يعكفون على صنم لهم، لا يجاوزه احد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لهما : قربا لصنمنا قربانا ، قالا : لا نشرك بالله شيئا ، قالوا قربا ما شئتما ولو ذبابا فقال أحدهما لصاحبه

ما ترى؟قال احدهما لا اشرك بالله شيئا ، فقتل فدخل الجنة . فقال الآخر بيده على وجهه (اى مر بها عليه) فاخذ ذبابا فألقاه على الصنم فخلوا سبيله فدخل النار ذكره بلفظه فى الدر المنثور عند قوله تعالى : «ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا» فالمغزى من الضحية واخلاصها لله هو عقيدة التوحيد والتبرؤ من الشرك بكل وجه ، ما دق منه او جل ، وذلك هو الطريق الى الجنة ، وبذلك كانت الضحايا بهذا المعنى مطايا اليها . ومن اين لفهم غليظ ، وعقل محجوب كعقل هذا الملحد ان يدرك المعانى الدقيقة والمدلولات البليغة للتراكيب والجمل العربية الراقية وايضا فان مما يقصد بذلك اللفظ ان تكون الضحايا سليمة من العيوب وصحيحة لا مريضة بحيث لو كانت مما يركب كالجمال لركبت فكانت مطايا الى الجنة بهذا الاعتبار ، وقد جاء فى الآية الكريمة (والبدن جعلناها من شعائر الله لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ، لن ينال الله **لحومها** ولا **دماؤها** ولكن يناله **التقوى منكم**) .

ويزيد الكاتب قائلا : «عيد الاضحى يشتمل على عبادة اخرى هى الحج الى مكة ، والحاج يلزمه ان يشترى ماء زمزم والتمر ، وعليه أن يضحى بكبش او ثور ، باعتقاد ان هذه الاشياء تشفى الامراض ، وهذا هو سبب زيارة الناس للحاج لما يرجع الى بيته، ليشربوا من الماء ويلوكوا التمر بافواههم» وفى كل ما يكتبه المؤلف يبين عن جهله الفادح بما يخوض فيه ويتناول الكلام عليه ، وبما انه سكت عن الحج ولم يقل عنه شيئا ، لانه بذلك سيعترض على الحج اليومى الذى تنظمه السلطات الشيوعية للسكان فى الاتحاد السوفياتى جبرا عليهم الى ضريح لينين ، فانا انما نرد على ما قاله فى وجوب شراء الحاج لماء زمزم والتمر، والتضحية بكبش او ثور حسب تعبيره، وهذا كله باطل لا صحة له ، فانه لا يجب على الحاج شيء من ذلك ، وماء زمزم مبذول لكل أحد سواء كان حاجا او غير حاج ، وأما التمر فمن شاء اشتراه ومن لم يشأ فهو بالخيار من أمره ، وانما يشتريه فى الغالب من لا يكون من منتجات بلاده ، واشراؤه على العموم هو كما يشترى كل مسافر الى اى ارض ، ما يعجبه من طرفها وبضائعها لنفسه او لاقربائه وأصدقائه ليقدمه اليهم هدية عند رجوعه من سفره .

وأما الضحية فقد قدمنا الكلام عليها فلا نعيده ، وهى فى اصلها لا تجب على احد ، وان كان حكمها فى الحج يختلف عنه فى غيره احيانا .

ومن بلادة هذا الكاتب ان يعتقد ان زيارة الناس للحاج عند قدومه ، باعثها هو ان يشربوا من ماء زمزم ويتناولوا التمر ، ناسيا او متناسيا أن من الآداب العامة الشائعة بين الناس كلهم ان يزوروا القادم من سفر طويل وخاصة أهله وأصدقاؤه ، ومن قال له ان الحاج يقدم الى زائريه ماء زمزم والتمر ؟ والواقع ان غالب الحجاج انما يقدمون الى زوارهم ما يقدمه غيرهم من المزورين ، شايا او قهوة او طعاما، ولو اراد الحاج ان يقدم لزواره ماء زمزم فكم يكفيه من ذلك ، وهو لا يحمل الا قارورة منه او قارورتين ان حملهما ؟

ومع ذلك فاى الناس لا يرغب فى شرب ماء نابع من بئر ربما كانت اقدم بئر فى العالم ، وقد شرب منه الانبياء والعلماء واماثل الناس عبر تاريخ يزيد على 4000 سنة ؟

ان الرقعاء (بالقاف) فى هذا العالم امثال المؤلف يحسدون المسلمين على ما لهم من عراقة فى التاريخ والحضارة والمعرفة والادب ، وأصالة فى الدين والعلم والفن والتراث الانسانى بعامة ، فلا يفتأون يعيبون عليهم ما لا يعاب وينتقدونهم بما هو مردود عليهم ، والحسد لا يكون الا على نعمة ، وهو بعكس مراد المبتلى به انما يظهر ما خفى من فضائل المحسود كما قال الشاعر :

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود

ومع هذه الحرب المعلنة على الاسلام وتعاليمه وثقافته فان اعداءه لا يستغنون عن الورود من مناهله فى جميع المجالات حتى فى (الماورائيات) التى يجعلونها هدف نقدهم وطعنهم ، وهذا (دانتى) شاعر ايطاليا العظيم انما خلد كوميديته الالهية كما يسمونها وهى انما اقتبس جوهرها من هذا الذى عبر عنه صاحب رسالة هل يمكن الاعتقاد بالقرآن بالخرافة المضحكة ؟

ويختم المؤلف كلامه عن الحج بأنه وسيلة لاثراء باعة ماء زمزم والتمر والحيوانات ، وكذلك جميع الاعياد الاسلامية ، ورمضان الذى يتعطل فيه العمل

بسبب الصيام ، فحق هذه الاعياد أن تترك ، لانهـا ضد مبادىء العمل والضمير المهنى الشيوعى ! وهو كلام ممجوج طالما ردده دعاة الالحاد وأعداء الشعب الذين يريدون ان يجردوه من اقدس ما عنده ، وهو عقيدته وخلقه والتزامه ، والا فلماذا يسكتون عن الاثراء من وسائل الدعارة والخمر والقمار وأعتدة الحرب والقتال والدمار ، على تسليمنا ان الحج وسيلة للاثراء ؟ وأما الصيام فقد ثبت تاريخيا انه عكس ما يقولون ، وأنه وسيلة لتربية الارادة والعزيمة وسلامة الجسم والروح من كثير من الآفات الصحية والنفسية، وأن أعظم الاعمال والمشاريع الكبرى التى قام بها المسلمون فى تاريخهم تمت فى رمضان . والمضحك فى كلامه هو قوله ان هذه الاعياد ضد الضمير الشيوعى ، فلتكن ضده ، كما انه ضد الضمير الاسلامى ، ويا للعباطة التى جعلت الضمير الشيوعى يتحكم فى اعياد الناس وأوقات فرحهم كأنه قضاء سماوى !.

وهو الى هذا ينتقد بعض العادات المنتشرة بين التتار كختان الاولاد وثقب الانف والاذن من البنات، وفاته ان ختان الاولاد ليس قاصرا على التتار بل هو سنة عند المسلمين جميعا ، ومعمول به عند اليهود أيضا ، وكان معمولا به عند النصارى كذلك، والمسيح نفسه قد ختن ، ولكنهم تركوه ، وأما ثقب الاذن لوضع الحلى عند النساء ، فهو امر شائع عند جميع الامم تقريبا ، شرقيها وغربيها ، بخلاف ثقب الانف، وان كان ليس خاصا بالتتار ، فهو عند الهنود ايضا معروف ، ولا ندرى كيف يدفع الفضول بهذا «الديبلوماسى المزعوم» لنقد عادات الشعوب والتحامل عليهم بذلك، وهو امر مناف للذوق واحترام شعور الناس ؟

وهنا احب ان اذكر له حكاية فى الموضوع عساه ينتفع بها فى تهذيب اخلاقه ، وهى ان سائحا اوروبيا مر بصينيى يضع على قبر قريب له صحنا من الروز ، فقال له مستخفا : متى تعتقد ان صاحب القبر سيقوم لاكل الروز؟ فقال له حين يقوم من تضع انت على قبره باقة من الورد ليشمها !.

وفى النهاية وهو يشيد بأعياد الثورة الشيوعية التى يجب ان تحل محل الاعياد الاسلامية ، أبدى أسفه العميق لكون معظم مسلمى الاتحاد السوفياتى ما يزالون ينتخبون الاكباش السمينة للتضحية بها فى عيد الاضحى ، وهذا خبر سرنا كثيرا فنحن نشكره عليه !

طنجة ــ عبد الله كنون



سحر الألفاظ

الحياة والعيش

للأستاذ محمد العربي الخطابي

«الحيـاة» من الالفاظ العربية التى تمتاز بالرقة وقوة الايحاء وتعدد الدلالات .

فالحياة من اوصاف الله تعالى ، وهى بهذا المعنى سرمدية لا بداية لها ولا نهايـة ، وهى قـوة مطلقة لا يحدها وصف تتجلى فى صنع الخالق ووحدانيته وتنزهه عن الشريك والصاحبة والولد .

والحياة من خصائص الكائنات العضوية : الانسان والحيوان والنبات ، فهى بهذا المعنى ظاهرة فيزيائية كيماوية شديدة التعقيد تتعهدها التغـذية والتناسل وترتبط بظواهر الطبيعة ، من شمس وهواء وماء ، ارتباطا وثيقا ؛ ومن علاماتها النمو والحركة والطاقة. وهى عند الانسان تنتهى بفناء الجسد ، وتسمى بالحياة الدنيا . وتعقبها حياة اخرى باقية لا تفنى .

وقد يتجاوز الناس فيجعلون للمعـانى والجمـادات حياة : للالفاظ ، مثلا ، حياة ، وللثقافة والشرف حياة وللنجوم والبحار والانهر حياة .

والانسان لا يحيى بالطعام والشراب والهواء فقط بل بالكرامة والعلم والحرية والجمال والحب .

لكل مخلوق حى حياته الفردية الخاصة به : فالانسان الفرد يحيى حياته والنحلة والزهرة كذلك . الا ان مفهوم الحياة قد يتسع فيشمل الجماعة ،والامـة ، والبشـر كافة ، والمملكتين الحيوانية والنباتية فيقال : حياة المجتمع الانسانى ، وحياة الحيوان ، وحياة النبات . والحياة بهذا المعنى لا يحدها العمر بل بقاء النـوع واستمراره . وقد يقال ، على سبـيل الاستعارة ، امة حية او شعب تتدفق فيه دماء الحياة ، فتكون الحياة هنا بمعنى العمل والداب والابتكار وتعشـق الحرية والعلم والسعى الى بلوغ المعالي .

وتكون الحياة محدودة بعمر تحصيه السنون عدا، وقد تعنى وجود الارض ومن عليها وما فيها منذ ان كانت الارض الى ان يقضى الله امره فيها .

— * —

والعيش ، لفظ عربى آخر لصيق بحياتنا ، فالعيش من أسباب الحياة ومن مقوماتها . فلا تكون حياة بدونه فهو اذن الطعام والشراب والكسوة والاثاث والدواء. وهو أيضا العفاف والطمانينة والامن والتعاون بين الناس وهو السعـى اليومـى وممارسـة الصنـائـع والحرف ، وهو النظام الاجتمـاعى الـذى يفرضـه «تعايش» الناس فى رقعة من الارض تكبر او تصغر.

فلننظر اذن فى معانى هاتين الكلمتين : الحياة والعيش على غرار ما فعلنا فى مقال سابق خصصناه للفظى : الكلمة والكلام (*) .

— * —

يعرف بعض اصحاب القواميس العربية الحياة بانها «نقيض الموت» ، وواضح ان هـذا التعريـف تنقصـه

(*) ارجع الى العدد السادس من مجلة « المنـاهل » ، 1976 .

الدقة وهو من قبيل قولهم : السواد نقيض البياض او النور نقيض الظلمة ، معتمدين فى ذلك على خداع الحواس .

وحتى اذا جازلنا ان نسلم بان شيئا ما يمكن ان يكون نقيضا لشيء آخر فان الحياة بمعناها الدقيق ـ الحقيقى والمجازى ـ ليست نقيض الموت كما سنرى

ويخبرنا القرآن الكريم عن صنع الله فيقول : **«ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى»** (الانعام ، 95) ويقول : **«وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ؛قال : من يحيى العظام وهى رميم ؛ قل : يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم** (يس ، 78) .

فهذا التداخل الموجود بين الحياة والموت يجعل منهما امرين متلازمين ومتكاملين من حيث الجوهر والمبدأ والغاية ، فلا تكون حياة بدون موت ولا موت بدون حياة . فللحياة (الدنوية) بداية معقدة ، ونهايتها لا تعنى الا فناء المادة ، اما النفس فانها تبقى ، وبذلك لا تكون الموت سوى بداية حياة اخروية غيبية ينعم فيها الانسان او يشقى حسب ما تقتضيه مشيئة الله سبحانه يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وهو الذى كتب على نفسه الرحمة .

ونقرأ قول الله تعالى : **«ياليتنى قدمت لحياتى»** (الفجر ، 24) فنجد ان المقصود هنا الحياة الدائمة اى حياة الآخرة التى لا موت بعدها . ونتأمل معنى الآية الكريمة « لتجدنهم احرص الناس على حياة » (البقرة 96) . وقوله تعالى « **اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا »** (الاحقاف 20) فنرى ان المقصود الحياة الفانية ، حياة الانسان على الارض التى يشكو منها أبو العلاء فى بيته المشهور :

تعب كلها الحياة فما أعجب الا لراغب فى ازدياد

ويجمع (باسكال) المعنيين فى قوله ، من كتاب (خواطر) : لاخير فى هذه الحياة الا على رجاء حياة أخرى **لا نكون سعداء الا بمقدار ما نقترب منها .**

وجاءفى قوله تعالى : «من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » (النحل 97) والمعنى هنا الرزق الحلال فى الدنيا ، وقيل المقصود بالحياة الطيبة الجنة بعد الموت .

— ✻ —

يذهب السيد الشريف الجرجانى فى «التعريفات» الى ان الحياة «هى صفة توجب للموصوف بها ان يعلم ويقدر» ولعل الجرجانى يقصد الحياة التى يوصف بها الخالق سبحانه «**الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم**» (البقرة ، 255) .

ومعلوم ان العلم (الشامل) والقدرة (المطلقة) من اوصاف الله تعالى ايضا «وهو بكل شيء عليم» (البقرة ، 29) ، **«ان الله على كل شيء قدير» (البقرة** ، 20) .

فاذا كان هذا هو ما قصد اليه الجرجانى فان تعريفه للحياة بهذا المعنى يكون صحيحا . اما اذا فهمنا من كلام هذا العالم الجليل ان الموصوف بالحياة هو الكائنات الحية العضوية فان الامر لا يستقيم الا اذا كان متصلا بالانسان دون النبات والحيوان الاعجم . فالعلم والقدرة ، فى حدودهما البشرية ، من اوصاف الانسان الحى وحده لكونهما نابعين عن العقل والارادة اما الحيوان الاعجم والنبات فلا علم لهما ولا قدرة ، وبالتالى لا ينطبق عليهما التعريف المذكور .

ويصف الجرجانى الحياة الدنيا وصفا مشربا بروح التصوف بعيدا عن الاعتبارات البيولوجية فيقول عن الحياة على هذه الارض بانها «كل ما يشغل العبد عن الآخرة» وكأنه يستلهم فى ذلك قول الله عز وجل : **اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد »** . (العنكبوت 64) .

— ✻ —

جاء فى (لسان العرب) لابن منظور ان «الحى كل متكلم ناطق ، والحى من النبات ما كان طريا يهتز» ولا ادرى اين وضع ابن منظور الحيوان الاعجم الذى يعد فى نظر العلم والواقع المشاهد من الاحياء مع انه ليس متكلما ولا ناطقا ، والحياة تتدفق فيه كما تتدفق فى الكائنات العضوية الاخرى ، وحياته تنتهى بالموت ايضا .

ويقول الجاحظ فى «البيان والتبيين» : وقال صاحب المنطق : حد الانسان الحى الناطق المبين» ـ وهو يقصد بصاحب المنطق ارسطو ـ فاذا كانت «الحياة والمنطق» صفتين تجتمعان فى مطلق البشر ، فان صفة «المبين» هذه تحيرنا ، اذ من الناس من له قدرة

على البيان ومنهم من به حصر او بكم الا ان يكون المقصود بالبيان هنا الافصاح عن ذات النفس باللفظ او بالاشارة والايماءة ، والذى نعرفه هو ان الانسان حيوان ناطق ، وفى المنطق نوع من البيان . ولعل وصف « السبين » من اضافات الجاحظ أتى بها لتلائم خطة كتابه .

هذا ونلاحظ أن الجاحظ نفسه ينقل فى « المحاسن والاضداد» قولا ينسبه فى هذه المرة الى الفلاسفة دون تحديد : «لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسان انه حى ناطق ميت» فاستعاض فى هذه المرة عن «مبين» بلفظ «ميت» ، وهذا صحيح على كل حال وهو ينسجم أيضا مع خطة كتاب «المحاسن والاضداد» .

— * —

نظر الراغب الاصفهانى فى لفظ الحياة على ضوء القرآن الكريم فقال فى (كتاب المفردات) بأن هذا اللفظ يستعمل على اوجه فيدل على :

- القوة النامية الموجودة فى النبات والحيوان .
- القوة الحساسة ، وبها سمى الحيوان حيوانا .
- القوة العاملة العاقلة
- الحياة الاخروية الابدية
- الحياة التى يوصف بها البارى .

فها نحن الآن امام نظرة شمولية تتسم بحسن الاستنباط من القرآن وكلام العرب .

فالحياة بمعنى القوة النامية واردة فى قوله تعالى : **«وجعلنا من الماء كل شىء حى »** (الانبياء ، 30) وهى قوة حساسة كما فى قوله عز وجل : **«الم نجعل الارض كفاتا ، احياء واموانا** (المرسلات ، 25) اى ان الارض تضم الكائنات الحية ، كالانسان والحيوان والنبات كما تضم الجمادات من معادن وجبال وغيرها .

ويستدل الاصفهانى على القوة العاملة العاقلة بقوله تعالى : «او من كان ميتا فاحييناه» (الانعام ، 122) وبقول الشاعر :

وقد ناديت لو اسمعت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

وقد ينبغى أن نذكر هنا أن ابن سينا ، قد ذهب الى أن النفوس ثلاث : غذائية وهى لكل الكائنات الحية وحيوانية او حساسة وهى لكل الحيوانات ، وعاقلة وهى للانسان وحده .

— * —

تعرف المعاجم الاوربية الحديثةالحياة بأنهامجموع الظواهر — لاسيما التغذية والتناسل — التى تتعهد نشاط الكائنات العضوية من الولادة الى الممات . ونلاحظ ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد اقر تعريفا مشابها لهذا فقال — كما جاء فى المعجم الوسيط — بان الحياة (فى علم الاحياء) تعنى «مجموع ما يشاهد فى الحيوانات والنباتات من مميزات تفرق بينها وبين الجمادات مثل التغذية والنمو والتناسل ونحو ذلك»

وليس فى نيتنا أن نخوض فى البحث عن تعريف علمى دقيق للحياة ، لا سيما وان العلم لم يتمكن الى الآن من رسم حدودها بكيفية يقينية . فالذى يعنينا هنا هو المعانى اللغوية — الحقيقية والمجازية — للحياة .

ان المعاجم الاوربية التى اشرنا اليها ، ولا سيما (لاروس الكبير) ، تضيف بأن الحياة هي المدةالجارية بين الولادة والموت . وهذا ما يعنيه فولتير بالحياة فى قوله : «يجب ان تقضى حياتك فى الحب والتفكير» وفى معجم (لاروس) ان الحياة قد تعنى ايضا الملابسات التى تعطى للوجود قيمة من نحو قولك : «الشرف هو الحياة» وهذا ما ينبغى ان نفهمه من قول المتنبى :

عش عزيزا او مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود

وينقل الجاحظ فى «البيان والتبيين» قولهم : «حياة المروءة الصدق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحلم العلم ، وحياة العلم البيان» فالحياة هنا تكتسى معنى يندرج فى باب القيم الخلقية .

— * —

نقول : فلان دافق بالحياة اى ممتلىء نشاطا او به حيوية ؛ ونتجاوز ذلك الى القول : الحياة الثقافية او الحياة الرياضية فنعنى بالحياة هنا : النشاط ، ونقول: فلان ابتسمت له الحياة اى الحظ ، او ضاقت به سبل الحياة أى أنه قلت لديه أسباب العيش أو اصابه غم وهم ؛ ونقول : مدينة مليئة بالحياة اى تعج حركة ونشاطا .

ويقال : حيى القوم اى حسنت حالتهم ، واحيا القوم اى اخصبوا وحسنت حال مواشيهم .

ونقول : حياة الالفاظ فنقصد التطور الذى تعرفه الكلمة من حيث الدلالة تبعا لتطور اللغة والقيم الفكرية والثقافية .

ويقسم الناس بالحياة لكونها شيئا عزيزا نفيسا يحرص عليه كل منا ، من ذلك قول ابن الفارض :

وحياتكم ، يا اهل مكة وهى لى
قسم ، لقد كلفت بكم احشائى

وقوله :

وحياة اشواقى اليـ
ـك وحرمة الصبر الجميل

ما استحسنت عينى سوا
ك ولا صبوت الى خليل

وهو يجعل للاشواق حياة يقسم بها .

وما دمنا قد دخلنا ساحة التصوف والصوفية فاننا نرى من المناسب ان نشير الى «الحياة» بالمعنى الذى يتناوله بها اهل الله . فهذا ابو حمزة الصوفى يقول فى الشوق الالهى :

وتحيى محبا انت فى الحب حتفه
وذا عجب كون الحياة مع الحتف

انها حياة المحب المشتاق الذى يفنى فى ذات الله ويحيى بالوصول .

ويقول شاعر صوفى يهيم بحب المصطفى :

اذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره
وان رمت قربا من حبيبى تقربا

فيدنو فأفنى ثم احيا به له
ويسعدنى حتى ألذ وأطربا

ومن شطحات ابن الفارض قوله فى تائيته المشهورة :

وروحى للارواح روح وكل ما
ترى حسنا فى الكون من فيض طينتى

فلا حى الا عن حياتى حياته
وطوع مرادى كل نفس مريدة

فهنا اشارة الى القطب الاول الذى فاضت عنه الارواح والمحاسن كلها ، والعاشقون خاضعون لارادته القديمة التى سبقت الكون وبثت الحياة فى الوجود .

وقد تنقضى الحياة ويفنى العمر فتبقى الذكرى قائمة حية مليئة بالعبر او العظات ، من ذلك قول ابى العتاهية :

وكانت فى حياتك لى عظات
وانت اليوم اوعظ منك حيا

ونعود مرة اخرى الى اهل الدنيا لنسمع ابن زيدون يقول :

ويا حياة تملينا بزهرتها
منى ضروبا ولذات افانينا

وهل الحياة هنا الا حبيبته الغائبة ؟

ولست اذكر من هو هذا الشاعر الذى ذهب به الاسراف فى الخيال والمجون الى حد القول فى وصف الخمرة :

تميت وتحيي بعد موت، وموتها
لذيذ ومحياها ألذ وأحمد

— * —

وينبغى لنا كذلك ان نورد بعض الطرائف الاشتقاقية لكلمة حياة ، فنبدأ بلفظ «الحيوان» بالمعنى المذكور فى قوله تعالى : **وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون**» (العنكبوت ، 64) ولعل المراد بالحيوان هنا الحياة الحقيقية الدائمة . والحيوان بالمعنى المألوف كل ما به حياة ، ويغلب اطلاقه على الدواب.

والمحيا مفعل من حياة يقع على الزمان والمصدر والمكان . ومن الالفاظ الرقيقة الرشيقة « الحيا » بمعنى الخصب والمطر . الا ينصب «الحيا» على التربة فيحييها بعد موتها ؟ الايبعث الحياة فى الزهور والرياحين وأوراق الشجر ؟ والحيا يحيى النفوس بعد قنوط اذا جاء غيثا بعد احتباس ؛ يقول الشاعر ابن حمديس :

نثر الجو على الارض برد
اى در لنحور لو جمد

لؤلؤ اصدافه السحب التى
انجز البارق منها ما وعد

بات يجتاح بابكار الحيا
بلدا يرويه من بعد بلد

ويقول ابن الخطيب :

والحيا قد جلل الروض سنا
فثغور الزهر فيه تبسم

«والتحية» من مشتقات الحياة ، واصلها من : حياك الله اى جعل لك حياة .

ونذكر لفظ «الحياء» الذى هو قرين الايمان ودليل العفة ، وهو هاتف ينبعث من الضمير فيطبع على «المحيا» آثارا نفسية وشعورية .

هذا ويجعل بعضهم الحياء مرادفا للحشمة . ويبدو لى أن بين اللفظين فرقا دقيقا ، فالحياة عندى ، طبع وخلق أما الحشمة فانها تكلف وتطبع . والحياء حينما يكون من اوصاف المراة فانه يزيدها حسنا ورواء . قال تعالى : « فجاءته احداهما تمشي عن استحياء » . وقد اطلقوا لفظ الحياء ايضا على الفرج من ذوات الخف والظلف والحافر . وهو بهذا المعنى غير متداول فى عصرنا هذا .

ويقولون «الحي» فيقصدون القبيلة او البطن من بطون العرب ، وفى عصرنا هذا يطلقون لفظ «الحي» على جزء من مدينة . ولست اعلم وجه القرابة بين لفظ «الحي» بهذا المعنى ، ولفظ الحياة ، مع انه من جذر «حيي يحيي» كما هو واضح ، ومثل ذلك يمكن أن يقال فى «الحية» أى الافعى .

— * —

قد يجىء لفظ «العمر» مرادفا للفظ الحياة والمعروف أن العمر ، مدة من السنين معلومة تنصرم من حياة الكائن الحي فنقول : فلان عمره عشرون عاما ولكننا نقول أيضا : «فلان قضى عمره سعيدا او شقيا» فيكون العمر هنا مرادفا للحياة .

وكثيرا ما يرد لفظ «الدنيا» بمعنى الحياة كما فى قول ابن عبد ربه :

الا انما الدنيا غضارة ايكة
اذا اخضر منها جانب جف جانب

وفى قول المتنبي :

اظمتنى الدنيا فلما جئتها
مستسقيا مطرت على مصائبا

والدهر ، الذى هو فى الاصل مدة بقاء العالم من البدء الى النهاية ، قد يأتى بمعنى الحياة كمافى قول ابن زيدون :

وعسى ان يسمح الدهـ
ـر فقد طال الشماس

وهل الدهر الا البعد الزمنى للحياة ؟ وفى قوله تعالى اخبارا عن المشركين : « ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر» .

ويضيف العرب الى الحياة الفاظا تغنى معانيها من ذلك قولهم : قيد الحياة ، وماء الحياة ، وحبل الحياة ، وجرثومة الحياة ، ومن اجمل هذه التراكيب قولهم : ربيع الحياة ، يعنون بذلك الشباب والفتوة يقول حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادى بوأدى فى ربيع حياتى ؟

— * —

من العلوم التى ادركت فى عصورنا المتاخرة شأوا بعيدا «علم الاحياء» او البيولوجيا الذى أصبح ميدانا خصبا للبحوث الاساسية والمختبرية .

وما تزال الحياة ، رغم كل شيء ، سرا من الاسرار الخفية ، لا يعرف الانسان عن أصلها وماهيتها الا الشيء اليسير ، وهى من أمر ربى يعطيها بقدرته لمن يشاء وينزعها ممن يريد .

العيش

قد يتساءل بعضهم : ما الفرق بين الحياة والعيش وهو سؤال وجيه يجيب عنه ابو هلال العسكرى فى «كتاب الفروق فى اللغة» بقوله :الفرق بين الحياة والعيش أن العيش اسم لما هو سبب الحياة من الاكل والشرب وما بسبيل ذلك ؛ والشاهد قولهم : معيشة فلان من كذا ، يعنون مأكله ومشربه مما هو سبب لبقاء حياته » .

ويوضح الاصفهانى فى كتابه « المفردات » أن العيش «هو الحياة المختصة بالحيوان ، وهو اخص من الحياة لان الحياة تقال فى الحيوان وفى البارى تعالى وفى الملك . ويشتق منه المعيشة لما يتعيش به » .

ونلاحظ على الفور ان اللغة العربية تميز بين لفظى الحياة والعيش بينما نجد ان اللغة الفرنسية واللغة الاسبانية – مثلا – لا تملكان غير لفظ واحد للدلالة على المعنيين : VIE و VIDA وكلاهما من الاصل اللاتينى VITA . ولا يتضح الفرق الا فى الاستعمال كأن تقول le Niveau de vie (مستوى العيش) la vie des animaux (حياة الحيوان) . ومثل ذلك يمكن ان يقال عن اللفظ الانجليزى LIFE . وقد نبسط الامر فنقول: ان العيش هو ماتستقيم به الحياة من أطعمة وأشربة وألبسة وأثاث ودواء تساعدنا على البقاء احياء واصحاء، بدنيا وعقليا ونفسانيا . وهذا ما ينبغي ان نفهمه من لفظ «المعيشة» فى قول الله عز وجل : «**نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا**» (الزخرف ، 32) .

ويقول لبيد :

وما الناس الا عاملان ، فعامل
يتبر ما يبنى وآخر رافع

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه
ومنهم شقى بالمعيشة قانع

قانع بالمعيشة «اى بما يصيبه من اكل وشرب ولباس مع الرضى بالشقاء والقعود عن طلب المعالى وهذه العيشة الخانعة هى التى يأباها المعرى حينما يقول :

فمالى اخاف طريق الردى
وذلك خير طريق سلك
يريحك من عيشة مرة
ومال اضيع ومال ملك

والعيشة هى حال الانسان فى حياته ، وقد يكون المقصود فى هذا البيت بالمعيشة المرة عيش الكفاف والاملاق ، وقد تدل على العيشة التى تخلو من راحة الضمير وطمانينة النفس لما يكتنفها من ذل او مكروه او عبودية حتى ولو كانت هذه العيشة مترفة لا تعوزها اسباب الاكتفاء المادى .

وهذا عروة بن الورد يجد راحة العيش فى السفر والتجوال لجمع الثروة ، وهو فى ذلك يقول :

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار او تموت فتعذرا

الا أن الدهر حول قلب ، كما يقولون ، لا يصفو فيه عيش الا ويتكدر وذلك ما يعنيه عدى بن زيد بقوله :

عمروا دهرا بعيش حسن
آمنى دهرهم غير عجال

ثم اضحوا عصف الدهر بهم
وكذاك الدهر يودى بالرجال

واذا كان ابن زيدون يرى ان العيش هو ما نختلسه من سويعات الصفاء :

واغتنم صفو الليالى
انما العيش اختلاس

فان محمدا بن على ينظر الى العيش بمنظار الزهد فيقول :

« ما لك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقربك من يومك . فاية اكلة ليس لها غصص وشربة ليس معها شرق » وذلك ما يعنيه ابن الرومى بقوله :

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة
اذا زال عن نفس البصير غطاؤها

وكيف بقاء العيش فيها وانما
ينال باسباب الفناء بقاؤها

ولكل وجهة هو موليها ، فمن الناس من يجد متعة العيش وحلاوته فى حسناء يطيب معها السمر ويحلو الحديث ، فهذا الاخطل يقول :

لعمرك ما لاقيت يوم معيشة
من الدهر الا يوم شقراء اقصر

حوارية لا يقرب الذم بيتها
مطهرة يأوى اليها مطهر

ولا يكتمل جمال المعيشة وطيبها لبعض الناس الا بمصاحبة كتاب أو محاورة جليس فيما يفيد ويمتع من ذلك ما نقرأه فى «الامتاع والمؤانسة» لابى حيان التوحيدى : «وقال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفاره ، وتبطنا الحسناء ولبسنا اللين، وأكلنا الطيب حتى اجمناه (اى مللناه) ، وما انا اليوم الى شىء أحوج

مني الى جليس يضع عني مؤونة التحفظ ويحدثني بما لا يمجه السمع ، ويطرب اليه القلب » .

وفضلا عن هذا الجانب الفردي للعيش فقد يراد بهذا اللفظ ايضا الانتظام في حياة الجماعة وما يتطلبه ذلك من تضامن وتعاون وتنافس وسعي مشترك الى الطمانينة العامة والرفاه . وفي هذا المعنى نقرا في رسائل اخوان الصفا : أن الانسان الواحد لا يقدر أن يعيش وحده الا عيشا نكدا ، لانه محتاج الى طلب العيش من احكام صنائع شتى ولا يمكن الانسان الواحد ان يبلغها كلها لان العمر قصير والصنائع كثيرة» .

وقد استحدثت في عصورنا المتاخرة مصطلحات تحوم حول مسائل المعيشة ، ومستوى العيش ، وسعر المعيشة والرفاه العام ، والتنمية الاجتماعية، والضمان الاجتماعي وغير ذلك .

وحينما تعقدت اسباب المعيشة بفضل تقدم الصناعة والعمران ونمو السكان وسرعة المواصلات وتعدد وسائلها مع ازدحام المدن وتلوث الهواء والماء وتفاقم أمر الضجيج وتفشي البطالة ، بدا الناس يفكرون في امر المعيشة من حيث الكيف فنشأت مصطلحات من مثل : حماية المحيط الانساني ، وحفظ توازن الطبيعة ، وكان آخر هذه المصطلحات ظهورا «كيف العيش» اذا اردنا ترجمة حرفية للعبارات الفرنسية :
La qualité de la vie
وقد انفضل ترجمتها بطيب العيش أو صفوه اذا راعينا المعنى البعيد للعبارة الفرنسية . وقد انشأت بعض الدول الاوروبية وزارة خاصة اطلقت عليها « وزارة طيب العيش » بعد ان طغى الكم وتفاحش أمر **الاستهلاك الفوضوي** المسرف للمواد الغذائية والوقود ففسد الجو في المدن والقرى ، وتلوثت الانهر الهادئة ، وضجت الاسماك والحيتان في البحار والمحيطات ، والوحوش في الادغال ، وضاق الانسان بالازدحام والضوضاء وطغيان الآلة وتحكمها ، فتوترت اعصابه ومرضت نفسه .

وهل المراد بكيف المعيشة هذا سوى توفير الراحة للناس في اكلهم وشربهم واماكن عملهم واستجمامهم وحسن استمتاعهم بما يكون لديهم من اوقات الفراغ حرصا على سلامة اعصابهم وصحة عقولهم وابدانهم وحفظا للمجتمعات من التفكك والانفصام ؟

وربما ينسى المتحمسون لهذا «الكيف» انه لا «كيف» الا بحدوث التوازن بين حياة الروح والبدن في عصر ضعف فيه الايمان بالله وتفشى الالحاد وهيمنت المادية العمياء على حياة الناس ؛ وما نراه في هذا العصر في اغلب الدول مجرد كم واعداد يختفي معها الانسان لتظهر ارقام تتحرك في غياهب «الدماغ» الالكتروني ؛ وصدق الله العظيم في قوله : «ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » .

— * —

نعود الى موضوع «العيش» من جانبه اللغوي فنلاحظ ان هذا اللفظ قد يجيء مرادفا لكلمة «الحياة» ، فيدل على المدة التي يقضيها الكائن الحي على هذه الارض الفانية .

ألا يقول النابغة الذبياني :

المرء يامل ان يعيش
وطول عيش قد يضره

تفنى بشاشته ويبقى
بعد حلو العيش مره

فالمراد بطول العيش في البيت الاول طول الحياة أو العمر؛ أما المقصود بحلو العيش أو مره في البيت الثاني فهو ما يتاح للانسان من رفاه او شظف ، من عسر او يسر ، من صفاء او كدر في امور الطعام والشراب واللباس والعشرة والصحبة وغيرها .

ولطرفة بن العبد :

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الايام والدهر ينفد

فالعيش هنا ايضا بمعنى الحياة .

وهذا ابن هانيء يجمع بين لفظي الحياة والعيش في بيت واحد فيقول :

اي الحياة الذ عيشتها
من بعد علمي أنني بشر

خرست لعمر الله السنتا
لما تكلم فوقنا القدر

من مشتقات العيش : المعيشة والجمع معايش **«وجعلنا لكم فيها معايش»** (الاعراف ، 10) ، والعيشة

والمعاش ,ويدل على زمن التماس العيش ومكانه كما فى قوله تعالى :«**وجعلنا النهار معاشا**» (النبأ ، 11) كمايدل على مرتب يتقاضاه المستخدم الذى ينقطع عن العمل) وهناك ايضا المعايشة ـ أى عيش الناس بعضهم مع بعض ـ وقد يقول الناس فى هذا العصر التعايش السلمى يريدون بذلك ان يغلب التسامح السياسى بين مجتمعين بشريين ياخذ كل منهما بنظام اجتماعى واقتصادى خاص فلا يكون بينهما صراع او تناحر.

والمتعيش هو الذى يصيب من العيش ما يقيم أوده والعياش صانع العيش او بائعه . ومعلوم ان لفظ العيش يراد به أحيانا الخبز . والعائش هو الذىيكون فى حالة من العيش طيبة ، ويطلق عليه الفرنسيون Le bon vivant

وتلتصق بالعيش اوصاف ونعوت تتعلق بالكم والكيف ، نذكر منها : الرغد والترف، والرقة، والبذخ والبشاشة ، واليسر ، والرفاه ، والبحبوحة والطيب ، والحلاوة ، والصفاء ، والنعومة ، والسعة . ويقابل هذه الاوصاف الحسنة اوصاف أخرى تعبر عنصعوبة العيش ومنها: الشظف، والاملاق، والعسر، والكفاف، والخصاصة ، والضيق ، والنكد ، والكدر ، والضنك.

ومن الناس من يختار لنفسه عيشة توصف بالتقشف ، والزهد ، والخشونة ، أو بالقناعة وغنى النفس .

ولما كان الرمق هو بقية الحياة ، فقد اشتقوا منه الرماق ، وهو القليل من العيش يمسك الرمق، ووصفوا العيش لذلك بانه رمق (بكسر الميم).

— * —

وبعد ، فقد رأينا أن الالفاظ تشق طريقها فى الحياة كما يفعل الناس، وأنها تنمو وتتطور كالكائن الحى . والمجتمعات تعيش وتنظر باستمرار فى تراثها الكلامى تحيى بعضه وتميت بعضه الآخر ، وتضيف الى الالفاظ من المعانى بقدر ما يحدث لها من حاجات ، ويحتل «المجاز» فى هذا التراث مكانا مرموقا ، لان المجاز رفيق الخيال، والخيال، كالعقل والاحساس، جزء من العالم الباطنى للانسان. والحياة نفسها حقيقة ومجاز ، واقع وخيال .

ألا يقول المتنبى :

نصيبك فى حياتك من حبيب
نصيبك فى منامك من خيال

فالحياة واقع حينما نعيشها بأبداننا وقلوبنا واحساسنا ، وهى خيال حينما نفقدها. وقد تكون، وهى واقع معاش ، مجرد دخان خفيف ، فهذا شاتوبريان يقول : «واذ انطفات الشموع واحدة تلو الاخرى ، انبعث من نورها المخنوق دخان خفيف أبيض بمثابة صورة طبيعية للحياة التى شبهها الكتاب المقدس ببخار ضئيل».

ونظر محمد اقبال الى الحياة بمنظار الشاعر الفيلسوف فقال :

«بكت سحابة الربيع فى بهمة الليل وقالت :
هذى الحياة بكاء دائم !
فتلألأ البرق الخاطف وقال :
لقد أخطأت ! فالحياة لمحات من الضحك .

ترى ، من روى للبستان هذا الحديث الذى هو حوار موصول بين الندى والورد ؟ »

ان نصيب المحظوظين من الحياة أن تبقى بعد ذهابهم ذكراهم يثيرها الاحياء فيجدون فيها عظة أو عبرة ، فائدة أو متاعا . وبذلك تصبح الحياة مجرد فكرة هادية ، أو قصيدة جميلة ، أو لوحة نابضة بالظلال والانوار والالوان ، أو عمل من أعمال البناء والخير ، أو حب عظيم متبادل ، أو تضحية مبذولة.

وهكذا تتواصل الحياة ، حياة القرون والاجيال، تتواصل بما يتركه السلف للخلف من تراث علمى وثقافى ، من أخلاق وعادات ، من جميل الذكريات أو قبيحها .

«**وتلك الايام نداولها بين الناس**» .

محمد العربى الخطابى

مؤلفات مغربية

في الصلاة والتسليم على خير البرية صلى الله عليه وسلم

للأستاذ محمد المنوني

من شعائر الاسلام وظيفة الصلاة والتسليم ، على رسول الله الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي اشعيرة نوه القرآن العزيز بشأنها ، وابرز الحديث الشريف مقامها ، فاهتدى المسلمون بهدى هذا وذاك ، ولبوا النداء سلفا فخلفا اداء لحق الجناب النبوي الشريف ، وقضاءا لواجب شكر اياديه على الاسلام والمسلمين ، وتجاوبا مع تشريع هذه القربة في عديد المناسبات .

وكان من مظاهر هذه الاستجابة ، أن المؤلفين المعنيين بالامر ، يخصصون للتحية النبوية مكانها ضمن مدوناتهم ، فيذكرون احكامها ، ويوضحون فروعها .

على ان آخرين الفوا – في هذا الاتجاه – رسائل وكتبا على حدة ، لتتناول فضائل هذه التحية ، وتعرف بكيفياتها ، الى ما يتصل بذلك من قريب او بعيد وكان السابق لهذه المبادرة ، هو شيخ المالكية القاضي اسماعيل بن اسحاق البغدادي ، المتوفى من عام 282هـ/896م ، في مؤلف يحمل اسم :

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولحسن الحظ كانت هذه الرسالة بين منشورات المكتب الاسلامي في دمشق ، وقام بتحقيقها المحدث اللامع : الشيخ محمد ناصر الدين الالباني ، حيث قدم لها بالتعريف بها وبمؤلفها ، في مدخل ختمه ببيان اهتمام الاسلام ، بشأن الصلاة على خير الانام عليه وآله افضل الصلاة والسلام .

وبعد القاضي اسماعيل توالت الكتابة في هذا الموضوع بالمشرق ثم المغرب ، في مؤلفات تكاثرت مع مر الزمن ، واحتفظت بنماذج منها مدونات السخاوي(1) فمحمد الفهري الفاسي(2) فمرتضى الزبيدي(3) فيوسف النبهاني(4) .

وانطلقت المبادرة – في الغرب الاسلامي – من الاندلس ، وكان أول تاليف بشبه الجزيرة في هذا الاتجاه هو :

1 – **كتاب الاعلام بفضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام** ، من عمل النميري : محمد بن عبد الرحمن ابن علي الغرناطي ، المتوفى عام 544هـ(5)/49–1150م وهو من مصادر ابن عرضون في «حدائق الانوار» اتي الذكر عند رقم 31 .

2 – **انوار الاثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار** ، لابن الافليشي : احمد بن معد بن عيسى التجيبي ، المتوفى عام 550 هـ (6) / 55 – 1156 م .

خ.ع. ق. 242 ضمن مجموع .

3 – **كتاب النزهة** لابن البقرى : على بن محمد بن ابراهيم الفزاري الغرناطي المتوفى عام 552هـ(7) /

57ـ1158م ، وهو بدوره ـ غير معروف ، ومؤلفه تلميذ النميرى آنف الذكر ، سمع عليه كتابه الاعلام عام 539هـ(8).

4 ـ كتاب القربة الى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين ، لابن بشكوال : خلف بن عبد الملك بن مسعود الانصارى القرطبى ، المتوفى عام 578هـ/1183م .

خ.ع.ف 242 ضمن مجموع
خ.ع. ك4013: قطعة منه مبتورة
الطرفين بخط اندلسي عتيق فى 96 ص

5 ـ الصلاة والاعتصام، فى كيفية الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانام . عليه افضل الصلاة والسلام ، مؤلفه هو جبر بن محمد بن جبر القرطبى المتوفى عام 615هـ/18 ـ 1219م ، ولم يذكر ابن الابار الكتاب باسمه ، وانما قال عنه فى ترجمة جبر(10) والف كتابا حسنا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر اسمه ـ كاملا ـ النبهانى(11) الذى وقف على نسخة منه .

6 ـ صلوات نبوية: لمحيى الدين ابن العربى الحاتمى محمد بن على بن محمد الطائى المرسى ، نزيل دمشق والمتوفى ـ بها ـ عام 638هـ(12)/1240م، ويقول عنها مرتضى الزبيدى(13) انها من صيغ غرائب الصلوات.

7 ـ لمحات الانوار ، ونفحات الازهار ، فى الصلاة على النبى المختار لابن وداعة : احمد بن ابى القاسم عبد الملك بن يحيى النفزى الرندى ، المتوفى عام 738هـ(14)/1237م.

فهذه سبع مؤلفات اندلسية موضوعية ، وننتقل ـ بعدها ـ الى عرض مؤلفات ـ فى الاتجاه ذاته ـ بالعدوة الاخرى : بالجزائر وتونس والسودان الغربى .

8 ـ اربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه واله وسلم ، من جمع ابن ابى البقاء : محمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سليمان التجيبى البلنسى نزيل تلمسان ، والمتوفى ـ بها ـ عام 610 هـ (15) / 1213 م .

9 ـ دفع النقمة ، فى الصلاة على نبى الرحمة لابن ابى حجلة : احمد بن يحيى بن ابى بكر التلمسانى نزيل دمشق والمتوفى ـ بالقاهرة ـ عام 776هـ(16)/1375م.

بالاسكوريال رقم 1772 .

10 ـ اربعين حديثا منوعة الاسناد . فى فضل الصلاة على النبي ، عليه وآله السلام ، لابن مرزوق (الجد) محمد بن احمد بن محمد العجيسى التلمسانى ،المتوفى بالقاهرة ـ عام 781هـ(17)/1379م.

11 ـ مفاخر الاسلام ، فى فضل الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام ، لابن صعد : محمد بن احمد بن ابى الفضل التلمسانى ، المتوفى ـ بمصر ـ عام 901هـ/18/1496م .

خ.ق. 812 مبتورة الطرفين .
1113

خ.ن. 1997

12 ـ الوسائل العظمى للقصد الاسمى، للحوضى: محمد بن عبد الرحمن التلمسانى ، المتوفى عام 910هـ(19)/1505م.

خ.ن. 2009

13 ـ التفكر والاعتبار فى فضل الصلاة على النبى المختار ، لابى العباس احمد بن ثابت البجانى، اورده سركيس في «معجمه» ع 60، غير انه ذكر فى نسبه: الحلبي ، ونسبته الى بجاية هي الواردة فى « برنامج المكتبة الصادقية بتونس(20) .

14 ـ ومن هذه المؤلفات بتونس : **فضل التسليم على النبى الكريم** ، لابن بنون اى القاسم بن احمد ابن ابى القاسم القرشى التونسى ، كان بقيد الحياة خلال النصف الاول من المائة الهجرية الثامنة(21).

15 ـ تحفة الاخيار . فى فضل الصلاة على النبى المختار . صلى الله عليه وسلم وعلى آله الابرار ، للرصاع : محمد بن قاسم الانصاري التونسي،المتوفى عام 894هـ(22)/1489م

مخطوط متداول

16 ـ تنبيه الانام ، فى بيان علو مقام نبينا محمد عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، لابن عظوم : عبد الجليل بن محمد بن احمد المرادى القيروانى المتوفى عام 960هـ(23) / 25ـ1553م ، أورده سركيس فى معجمه ع 185 ـ 186 .

17 ـ وقد عاد فوضع ملخصا لهذا الكتاب،وعنونه باسم **تذكرة اهل الاسلام فى الصلاة على خير الانام(24)** .

مخطوط متداول .

18 ـ وهذا كتاب بلوغ السول، فى الصلاة والسلام على الرسول ، لمحمد جمال الدين بن ابى القاسم بن احمد خلف المسراتي القيرواني (25) .

19 ـ النرجسة العنبرية فى الصلاة على خير البرية ، لابن اسحاق الرياحي : ابراهيم بن عبد القادر بن ابراهيم التونسي المتوفى عام 1266 هـ (26)) / 1850م

20 ـ الغرر الملوكية فى الصلاة على خير البرية .

21 ـ لوامع الاسنة فى الصلاة على عين الرحمة والمنة .

الاثنان من تاليف ابن ملوكة : محمد بن صالح التونسى المتوفى عام 1276هـ ، وهما ـ معا ـ منشوران بالاستانة ، هذا فضلا عن صلوات اخرى لنفس المؤلف لا تزال مخطوطة(27) .

ومن تونس نقفز الى السودان الغربى ، فنلتقى ـ اولا ـ مع بابا السوداني:احمد بن احمد بن احمد ـثلاثمرات ـ الصنهاجي الفاسي ، المتوفى عام 1032 هـ (28)/1623 م وقد خلف ثلاث مؤلفات موضوعية .

22 ـ الدر النضير ، فى كيفيات الصلاة على الشفيع البشير(29).

خ. ع. د. ثاني 1724 مجموع

ـ خ.ن. 2999 ثالث مجموع .

23 ـ نشر العبير . فى معانى الصلاة على البشير النذير .

24 ـ خمائل الزهر . فيما ورد من كيفيات الصلاة على سيد البشر(29) .

اختصر اكثر هذا الاخير من القول البديع للسخاوى ورتبه على اربعة فصول وخاتمة ، ثم فرغ منه أواخر جمادى الاخيرة عام 1014هـ ، منه مخطوطة خاصة .

25 ـ نفح الطيب فى الصلاة على النبى الحبيب، للشيخ المختار بن احمد أبى بكر الكنتى الفهرى السودانى ، المتوفى عام 1226هـ(30)/1811م .

اشتمل على صلوات انشائية ، ومرويات يفتتح المؤلف ببعضها ، او يخلل بفقرات منها ، وهو مخطوط متداول .

26 ـ ولابن المؤلف : محمد شرح بسيط على هذه الصلوات ، عنونه باسم **الروض الخصيب، بشرح نفح الطيب ، فى الصلاة على النبى الحبيب ،** لا يزال مخطوطا.

خ. ع. د. 730 : فى سفرين

خ.م.7488 : فى مجلد مبتور الاخر

والآن ينتهى بنا المطاف الى المغرب الاقصى، وفى هذا الصدد نشير الى ان اقدم تصلية معروفة بهذه الجهة هى **الصلاة المشيشية** ، لمنشئها الامام المولى عبد السلام بن مشيش الحسنى الادريسى دفين جبل العلم والمتوفى عام 625هـ(31)/1228م .
ثم **صلوات** تلميذه الشيخ ابى الحسن الشاذلى : علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الغماري الاصل، المتوفى عام 656هـ(32) / 1258م .

ومن اواسط المائة الهجرية الثامنة ، صار للصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طابع مغربى اقصوى خاص ، وهى الظاهرة التى يجليها الامام ابن مرزوق(33) فيذكر ارتساماته عن حفلات المولد النبوى الشريف فى بلاد السلطان المرينى ابى الحسن ، ويخلل وصفه قائلا :

«..وتكثر الصلوات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى من اعاجيب مايرى فى بلاد «المغرب».

وفى قريب من هذه الفترة بدا المغاربة فى تاليف مجموعات الصلوات النبوية ، ثم تتابع التدوين فى هذا الاتجاه عبر الفترات التالية ، غير ان هذه الموضوعات لم تسر على منهجية موحدة ، واختلفت اساليبها بين مؤلف وآخر .

فهناك مجموعات انتظمت من صيغ نبوية او ماثورة عن المهتمين بالامر من سلف الامة وخلفها .

وابتكر آخرون صيغا تفيض بها عواطفهم ، فيسجلونها واحدة واحدة حتى يتجمع منها تاليف قد تتعدد اسفاره ، كواقع «ذخيرة المحتاج» آتية الذكر وهذه تمتزج تصلياتها بالسيرة النبوية من المولد حتى الوفاة .

ومن هؤلاء المؤلفين من يرتب الصلوات على الاسماء الحسنى ، او الاسماء النبوية ، او على الحروف المعجمية : بالترتيب المغربي او المشرقي .

بينما يسير مؤلف على ان يرفق كل صلاة بأثر نبوي حتى يجمع الى التعبد الاستفادة الحديثية .

على ان البعض يهدف من وراء هذا الى نشر اللغة العربية بين الاوساط التى تغلب العجمة على لسانها يقول مؤلف «الدرر المرصعة»(34) عن صلوات ابى عبد الله بن ناصر : «.. وأكثر فيها من اللغات والدعوات قصدامنه بذلك على ما قيل ، تعليم اهل هذه الازمنة – التى غلبت عليهم العجمة ، واستولت على السنتهم اللكنة – اللغة التى بها يفهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله » .

وغالبا ما يضاف لهذه المؤلفات ، فصول تتناول موضوعات مختلفة تتصل بالصلاة والتسليم ، وقد تتكاثر هذه الاضافات حتى تطغى على المقصد الاساسى .

بعد هذا يأتى تقديم هذه المؤلفات المغربية ، وقد بدات بالظهور مع النصف الثانى من المائة الهجرية الثامنة ، وهى الفترة التى يتسلسل العرض منها كالتالى :

27 – « **المقاصد المرشدة والمآخذ المسعدة** » لابن داود : محمد بن القاسم السلوى ، كان بقيد الحياة اواخر عام 812هـ(35)/1410م

ضمنها صيغ صلوات انشأها ، ووزعها بين فصول يسميها مقاصد / خ. م. 3016 .

28 – **كتاب «منتهى الامل والسول فى الصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبى والرسول»** تاليف ابن ابى البركات الغمارى : عبد الله بن محمد ابن محمد التالى التلمسانى ، ثم الفاسى منزلا وقرارا المتوفى عام 853هـ(36)/49–1450م . أورد ذكره محمد الفاسى(37) ولا يزال غير معروف» .

29 – **«لادئل الخيرات وشوارف الانوار . فى ذكر الصلاة على النبى المختار»** صلى الله عليه وآله ، للامام الجزولى : محمد بن عبد الرحمن بن ابى بكر ابن سليمان ، الحسنى السملالى المتوفى عام 870هـ(38)/1465م .

ويعتبر أشهر هذه المجموعات المغربية وأكثرها ذيوعا ، يقول عنه حاجى خليفة(39): «يواظب بقراءته فى المشارق والمغارب ، لا سيما فى بلاد الروم» ويسجل محمد مرتضى الزبيدى(40) : انه ولعت به الخاصة والعامة(41) وخدموه بشروح وحواش(42).

30 – وهناك **«ذلائل الابرار»** لمؤلف جزولي لم يذكر اسمه ، وجاءت الاشارة له عند افتتاحية وردة الجيوب آتية الذكر ، وهو غير معروف .

31 – ومن دلائل الابرار ننتقل الى **حدائق الانوار وجلاء القلوب والابصار ، فى الصلاة والسلام على النبى المختار ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الابرار ،** مؤلفها هو ابن عرضون : احمد بن الحسن بن يوسف الصالحى الزجلى الشفشاونى ، المتوفى عام 992هـ(43) 1584م .

خ.ق. 317 .

خ.م. ز 942 .

32 – وهذا كتاب «**الفوائد المتناثرة من الاحاديث المروية والصلاة والسلام على خير البرية**» ويحمل مؤلفه اسم عامر بن الحسن بن الزبير الجسمى(44)، فرغ منه فى شعبان عام 1023هـ/1614م.

33 – وفى قريب من هذا التاريخ ، لمعت **مجموعة** أخرى يسمى واضعها باحمد السوسى ، ولايبعد ان يكون هو البوسعيدى : احمد بن على بن محمد الهشتوكى نزيل فاس ، والمتوفى – بها – عام 1046هـ/1637م ، ولاتزال مخطوطة فى نسخة خاصة.

34 – وفى درعة نلتقى بامامها ابن ناصر : الشيخ محمد بن محمد المتوفى عام 1085هـ(46)/1674م وهو مؤلف «**غنيمة العبد المنيب فى التوسل بالصلاة على**

النبي الحبيب» وهي مرتبة على المعجمية المغربية : في كل حرف 34 صيغة(47) .

35 ـ **صلوات نبوية** ، مروية عن المولى التهامي بن محمد بن المولى عبد الله «الشريف» اليملحي العلمي دفين وزان، والمتوفى ـ بها ـ عام 1127هـ(48)/1715م.

وهي التي جمعها الشهاب المولى : احمد بن عبد الفتاح المجيري المصري ، المتوفى عام 1181هـ/(49) 1767م. في اربعين صيغة تلقاها عن امام وزان ، ثم رواها عن العلوي محمد مرتضى الزبيدي الذي ساق حديث هذه الصلوات النبوية(50) .

والغالب ان جامعها انما اخذها عن استاذه محمد ابن عبد الله المغربي القصري الكنكسي(51) تلميذ المولى التهامي .

وقد تكون هذه الصيغ هي الواردة عند البغدادي باسم **شرح الصدور بالصلاة على الناصر المنصور** من تاليف الشهاب الملوى .

36 ـ ولمحمد بن عبد العزيز الجزولي الرسموكي اليعقوبي : **وردة الجيوب في الصلاة على الحبيب المحبوب** ، انتخبه من دلائل الخيرات ودلائل الابرار مخطوط متداول ، ومؤلفه استمر بقيد الحياة حتى عام 1152هـ(53)/ 1739م .

37 ـ وكان يعاصره في مدينة صفرو قاضيها : عبد السلام بن عبد الرحمن بن علي بن سعيد العدلوني ، وعاش ـ بدوره ـ الى عام 1152هـ(54)، وألف في الاتجاه الذي نعرضه : نزهة المسرات ، وروضة المبرات ، حيث وردت الاشارة بخط بعض المقيدين .

38 ـ وبعد نزهة المسرات ، ياتي اسم **كنوز الاسرار، في الصلاة على النبي المختار ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الابرار** ، تاليف عبد الله الخياط بن محمد الشهير بالهاروشي ، الفاسي ، نزيل تونس ، والمتوفى ـ بها ـ عام 1170هـ(55)/56 ـ 1757م ، يشتمل على 53 تصلية.

39 ـ على ان اكبر كتاب مغربي في هذا الصدد : هو **ذخيرة المحتاج** لمحمد المعطى بن محمد الصالح ابن محمد المعطى ، العمري الشرقي البجعدي، المتوفى عام 1180هـ(56) / 1766م ، ونسختها الاولى كانت من 55 سفرا(57) .

40 ـ **ياقوتة المحتاج في التوسل الى الله بالصلاة على النبي صاحب المعراج** لمحمد بن العربي الدمراوي التازي ، المتوفى عام 1204هـ / (58) 89ـ1790م بعين ماضي حيث أنشا صلواته على ترتيب المعجم المغربي في كل حرف سبع صلوات ، وتوجد صيغها منشورة ضمن ترجمة منشئها (59) ، أما نسختها ـ كاملة ـ فهي مخطوطة في مكتبة الزاوية الحمزية باقليم الرشيدية .

41 ـ **تحفة المستيقظين في الصلاة على سيد الاولين والآخرين** ، لمحمد بوجدة الحلو ، كان بقيد الحياة في25 ربيع الاول عام 1270هـ(60) / 1792م،وهي بخط مؤلفها في فقرات قصيرة انشائية ـ 302 ص.

ح. ع. د 284 .

42 ـ **معراج الوصول ، بالصلاة على أكرم نبي ورسول** ، ويحمل مؤلفه اسم الطيب بن احمد ابن يحيى الفاسي ، فرغ من تاليفه يوم الجمعة 16 ذي الحجة عام 1217هـ/1803م، مخطوط بمكتبة الزاوية الحمزية(61).

43 ـ **السيف القاطع والحصن المانع ، بمدح الرسول الشافع** ، من انشاء الوالي : محمد بن علي ابن عبد الرحمن الادريسي ، الفيلالي ثم الفاسي، المتوفى ـ بها ـ عام 1234هـ(62)/1819م مخطوط في نسخة خاصة .

44 ـ **تحفة المحبين ، بذكر اسماء سيد المرسلين** للاوبيري : محمد التهامي بن محمد بن مبارك الحمري المتوفى عام 1246هـ(63) / 1830م .

وهي مرتبة على المعجم المغربي اعتبارا بأواخر الاسماء النبوية . /خ. م 3740

45 ـ **ذخيرة الكنوز ، في الصلاة على النبي العزيز**، أنشا صيغها محمد الغازي بن محمد العربي ، من حفدة الشيخ الشهير : ابي القاسم الغازي الدرعي ثم السجلماسي ، كان بقيد الحياة صدر عام 1246هـ(64) 1830 م.

خ. م. ز 3455

46 ـ **تصليات وابتهالات** ، للجيزى : عبد السلام ابن محمد بن ابى يعزى اليعقوبى الفاسى ، المتوفى عام 1264هـ/1848م ورد ذكرها فى ترجمته(65) .

47 ـ وهو مؤلف **شرح نفح الطيب** للشيخ المختار الكنتى ، حيث عنونه باسم ، «نزهة الابرار ورياض الانوار والازهار ، وسر نور الانوار والاسرار فى اصل ينبوع شرف اطيب الطيب ، على الصلاة المسماة نفح الطيب ، فى الصلاة على النبى الحبيب» ولا يزل مخطوطا فى سفر متوسط .

خ. م 2814 و 5728

خ. ع. ك 2220

48 ـ **نور الجمال المحمدية باختصاص أسرار العقلية** لمحمد بن الطيب بن محمد الصقلى الحسينى الفاسى المتوفى عام 1271هـ(66) / 1855م ، 181 ص من الحجم الصغير .

خ. ع. ك 490

49 ـ **لآلى اليواقيت الحسان فى الصلاة على طلعة صدور الاعيان** ، لمؤلف غير مذكور ، وفرغ منه الثلاثاء 23 ربيع الثانى ، عام 1299هـ/1882م ، وهو مرتب على التهجية المغربية فى صلوات تتخللها قصائد ، يقع ثانى مجموع ص 268 ـ 601 .

خ. ع. ك 1573 .

50 ـ **لؤلؤة الانوار وقلائد الجوهر ورياض الازهار فى الصلاة على النبى المختار** ، لمحمد بن المدنى البوعنانى الحسنى المراكشى ، المتوفى آخر العشرة الثانية من المائة الهجرية الجارية : 14(67) ، وهو منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية عام 1315م .

51 ـ **كنوز الاسرار ومفاتيح الانوار ، بذكر الصلاة على النبى المختار ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ما دام الليل والنهار** ، تاليف الحاج التهامى ابن محمد بن التهامى الحمادى المكناسى نزيل فاس الجديد(68) .

رتبه على الاسماء الحسنى ، وخصص لكل باب اسما على حدة ، ثم فرغ من تاليفه فى شعبان عام 1321هـ/1903م وهو فى مجلدين .

خ. م. 14 : المجلد لاول

خ. م. 702 : المجلد الثانى

52 ـ **ادل الخيرات . فى الصلاة على سيد الكائنات** ، لابى الفيض الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتانى الحسنى الفاسى المتوفى عام 1327هـ(69) / 1909م ، منشور بالمطبعة الفاسية .

53 ـ **ملذة الحبيب . بالصلاة على اسماء النبى الحبيب** للشيخ محمد مصطفى ماء العينين بن محمد فاضل بن محمد مامين الادريسى الشنجيطي ، المتوفى عام 1328هـ(70) / 1920م .

خ.ع. د 750

خ.ى. 488

54 ـ **الدلائل النبوية . والمكارم المحمدية** ، لاحمد بن الحاج العباس الشرايبى الفاسى ثم المراكشى ، المتوفى عام 1329هـ(71) / 1911م ، فى مجلدين .

خ. ى. 89 : نسخة تامة

خ. ع. ك 1571 : النصف الاول فى مجلد

55 ـ **فضاء الحوائج والاوطار . فى الصلاة والسلام على النبي المختار** ، لمحمد ـ بفتح اوله ـ بن احمد بن على بن محمد التادلى الموساوى المراكشى المولد والمنشأ ،فرغ من كتابة هذه الصلوات الانشائية ـ بخطه ـ فى شعبان عام 1331 هـ/ 1913 م ، فجاءت فى سفر من الحجم الوسط : ص 178 .

خ. ع. ك 1551

46 ـ **مجلى الاسرار والحقائق . فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق** ، للقاضى ابى العباس احمد بن المامون البلغيثي الحسني الفاسي،المتوفى عام 1348هـ (72) / 1929م . مطبعة محمد افندى مصطفى فى مصر عام 1310هـ ـ 120 ص .

57 ـ **مفتاح الاسرار . فيما يتعلق بالصلاة على سيد الابرار** لمحمد بن ادريس الدباغ الحسني الفاسي المتوفى عام 1350 هـ / 31ـ1932م ؛ ويغلب على صلواته الصيغة الانشائية ، غير انه مبتور الاخر ، ويقع الموجود منه فى 189 من الحجم الصغير .

خ. ع. ك 1608

58 **نور البصر . فى الصلاة على خير البشر** لمحمد بن عبد السلام بن احمد بوستة المراكشى ، كان بقيد الحياة صدر عام 1351هـ / 1932م .

خ. ع. ك 32 اول مجموع

59 ـ ولنفس المؤلف **كتاب مطول فى الموضوع ذاته** يوجد السفر الخامس منه فى .
خ. ع. ك 2801

60 ـ الطيب الفائح . والورد السانح . فى صلاة الفاتح صلى الله عليه وسلم ، لمحمد بن عبد الواحد السوسى النظيفي الاصل ، المراكشي القرار ، المتوفى عام 1367هـ / 1948م .

بنى صيغة على صلاة الفاتح ، ورتبها حسب المعجمية الشرقية موشحة بتعاليق شارحة ، ونشر الجميع بمصر فى 208 ص .

61 ـ السراج المنير . فى الصلاة على البشير النذير لابي حفص عمر بن الحسن بن عمر بن الطائع الكتاني الحسنى الفاسى ، المتوفى عام 1370هـ / ،

وقفت على قطعة منها مخطوطة خاصة من 46 ص يغلب ان تكون بخط مؤلفها .

62 ـ وسلية الملهوف ... لمحمد عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى الحسنى المتوفى عام1382هـ / 1962م . ضمنها صلوات انشائية ، وختمها ببعض ادعية الفرج بعد الشدة المرفوعة ، ثم فرغ منها غروب الاثنين ثاني جمادى الثانية ، 1327 هـ ، وهي منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية عام 1331هـ فى 192 ص من الحجم الصغير .

63 ـ بغية السائل ، فى اشراف الوسائل ، فى الصلاة على المبعوث من خير القبائل ، ويحمل مؤلفه اسم قدور بن احمد بن محمد الحلفاوي المراكشي ، حيث رتبه على 30 بابا تشتمل على 360 فصلا .

ولم يتحدد لى عصره بالضبط ، فلذلك ذيلت به هذه النماذج من المؤلفات المغربية فى الصلوات النبوية .

الرباط. محمد المنونى

التعاليق

1 ـ «القول البديع، فى الصلاة على الحبيب الشفيع» ، ط. الهند ، حيث وردت اللائحة المشار لها ص 197 ـ 199 عند خاتمة الكتاب ، وهناك مخطوطة منه كتبت على يد مؤلفه عام 861هـ .
خ. ع ، ك 111 .

2 ـ افتتاحية الشرح الكبير على دلائل الخيرات : «تحفة الاخيار ومعونة الابرار، العاكفين على دلائل الخيرات وشوارق الانوار : السفر الاول / خ. م. 4214 / خ. ع. ك. 1545
مع افتتاحية الشرح الوسيط لنفس المؤلف باسم : «التجريد ، لما فى الشرح الكبير على الصغير من المزيد » . / خ. م. 4192 / خ. ع. ك. 144 .

3 ـ «اتحاف السادة المتقين ، بشرح أسرار احياء علوم الدين» ، ط. ف. ج 4 ص 50 ـ 51

4 ـ «سعادة الدارين. فى الصلاة على سيد الكونين» ، مطبعة بيروت عام 1316هـ. ص 6 ـ 8

5 ـ ورد ذكره باسم الاعلام فى «زوائد تكملة ابن الابار» ط. اسبانيا رقم 1854 ، ثم بمقدمة البديع، وترجمة مؤلفه عند ابن بشكوال فى «الصلة»وجاء الاسم كاملا عند السخاوي فى خاتمة القول «مفاخر الاسلام لابن صعد»، مخطوط المكتبة الحمزية نشر العطار رقم 1299 .

6 ـ السخاوى فى خاتمة «القول البديع» وترجمة مؤلفه عند ابن الابار فى «التكملة» ط. الجزائر رقم 167 .

7 ـ أشار لاسمه ابن صعد فى مقدمة «مفاخر الاسلام» ، وترجمة المؤلف فى التكملة ط. اسبانيا رقم 1854، مع «الذيل والتكملة» : دار الثقافة ، بيروت ، السفر الخامس رقم 566 ، حيث توجد مصادر اخرى لترجمته .

8 ـ زوائد التكملة رقم 1854 .

9 ـ السخاوى فى خاتمة «القول البديع» ، وترجمة ابن بشكوال: فى «التكملة» ط. اسبانيا رقم 179

10 ـ فى «نفس المصدر» والطبعة رقم 12

11 ـ «سعادة الدارين» ص 7 .

12 ـ هناك لائحة بمصادر ومراجع ترجمته فى «معجم المؤلفين» ج 11 ص 40ـ42 مع ج 13 ص 419

13 ـ «اتحاف السادة المتقين» ، ج 4 ص 51 ، ووردت الاشارة الى مجموعة من الصلوات الخاتمية فى «برنامج المكتبة الصادقية» ج 3 ص 236، وأثبت النبهانى سبعا من صيغ صلواته فى «سعادة الدارين» ص 256 ـ 257 ، مع ص 295 ـ 298 .

14 ـ محمد المهدى الفاسى فى مقدمة شرحيه على الدليل المشار لهما سلفا، وترجمة المؤلف عند ابن القاضى فى «درة الحجال» : دار التراث بالقاهرة رقم 104 .

15 ـ «التكملة» ط. اسبانيا رقم 919 ، و«الذيل والتكملة» : السفر السادس رقم 941 .

16 ـ ذكر دفع النقمة فى كتابه : «منطق الطير» خ. م. 1910 ضمن لائحة مؤلفاته ، ثم أورده السخاوى فى خاتمة «القول البديع»، وترجمة المؤلف فى «الدرر الكامنة» ج 1 ص 329 ـ 331 .

17 ـ أشار لهذه الاربعين فى كتابه «جنى الجنتين» ، مخطوط خ. ع. ك. 1228 : ص 115 ، وانظر عن مصادر ومراجع ترجمته معجم المؤلفين ج 9 ص 16 ـ 17 .

18 ـ ترجمته عند ابن مريم فى «البستان» ص 251 ـ 252 .

19 ـ ترجمته فى «نفس المصدر» ص 252 .

20 ـ ج 3 ص 197 .

21 ـ ذكره السخاوى فى خاتمة «القول البديع» .

22 ـ ترجمته وبعض مصادرها عند الزركلى فى الاعلام ، ج 7 ص 228.

23 ـ ترجمته فى عدية العارفين مج. 1 ع 500

24 ـ «كشف الظنون» ، مطبعة العالم بالاستانة ج 1 ص 332 .

25 ـ «برنامج المكتبة الصادقية» ج 3 ص 192 .

26 ـ المصدر الاخير ج 3 ص 236 ، ومن مصادر ترجمة المؤلف شجرة النور الزكية رقم 1555.

27 ـ «برنامج المكتبة الصادقية» ج 3 ص 213 ـ 214 ، 222 ، 228 ، 242 ، وترجمته فى «شجرة النور الزكية» رقم 1559 .

28 ـ ترجمته فى «الاعلام» المراكشى ج 2 ص 99 ـ 104 ، حيث توجد بعض مصادر ترجمته.

29 ـ ورد ذكر «خمائل الزهر» وسابقيه : عند محمد المهدى الفاسى فى افتتاحية شرحيه على الدليل المشار لهما سلفا مرتين .

30 ـ ترجمته عند احمد بن الامين فى «الوسيط » : الطبعة الاولى ص 356 ، وتاريخ وفاته عند النبهانى فى «جامع كرامات الاولياء» ج 2 ص 247.

31 ـ حلاه عبد الواحد ابن الطواح التونسى بالمجتهد المحقق السنى ، حسب «سبك المقال لفك العقال» خ. م. 105 .

ولعبد الله بن محمد الوراق «رسالة فى مناقبه» خ. ع. د 1484 ضمن مجموع .

ولمحمد بن قاسم ابن زاكور : «الاستشفاء من من الالم ، بالتلذذ بذكر صاحب العلم» ، مخطوط خاص ، ويوجد معظمه مدرجا فى «الروضة المقصودة» لابى الربيع سليمان الحوات ، مخطوطة المكتبة الاحمدية بفاس .

وللدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر «تاليف فى ترجمته» نشر قريبا. كما ان الاستاذ الكبير عبد الله كنون كتب له ترجمة مفيدة نشرتها جريدة «الميثاق» .

ويقول السيد محمد مرتضى الزبيدى عن «الصلاة المشيشية» : «وقد شرحها غير واحد من أئمة المغرب والمشرق من المتقدمين والمتأخرين» حسب «اتحاف السادة المتقين» ط. ف. ج 4 ص 51

32 ـ انظر بعض مصادر ترجمته فى «معجم المؤلفين» ج 7 ص 137 .

33 ـ «المسند الصحيح الحسن» خ. ع. ق 111 ، الباب السادس : الفصل السادس .

34 ـ خ. ع. ك 265 : عند ترجمة الامام ابن ناصر ، ومؤلفها هو محمد المكى بن موسى الناصرى.

35 ـ لا تعرف له ترجمة كاملة ، وهناك لقطات مقتضبة وردت ضمن موضوع : «ملاحم ودواوين فى السيرة والمديح النبوى» مجلة «دعوة الحق» ، السنة التاسعة : العدد التاسع والعاشر «مزدوج» ، ص 105 ـ 106 .

36 ـ قد يكون هو المترجم عند ابن القاضي باسم عبد الله بن ابى البركات الغمارى ، حسب «درة الحجال» ، المطبعة الجديدة بالرباط رقم 943.

37 ـ فى افتتاحية شرحيه : الكبير والوسيط على دلائل الخيرات .

38 ـ له ترجمة مطولة بالاعلام المراكشى ، ج 4 ص 57 ـ 122 .

39 ـ كشف الظنون ج 1 ص 495 .

40 ـ اتحاف السادة المتقين ، ج 4 ص 50

41 ـ من ملامح هذا الولوع بدلائل الخيرات العناية بتصحيحه ، وفى هذا الصدد نشير الى بعض النسخ المذكورة بنوع من الاهمية :

1 و 2 النسخة السهلية التى كتبها كبير تلاميذ المؤلف : الشيخ محمد الصغير السهلى ، وكان له نسختان عليهما خط المؤلف :

أ ـ وقع الفراغ من كتابتها ضحى يوم الجمعة 6 ربيع النبوى عام 862هـ. ولحسن الحظ لا تزال بقيد الوجود . حيث تحفظ بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 377 .

ب ـ مؤرخة بعام 868هـ ، ولا يعرف ـ الآن ـ مصيرها .

3 ـ النسخة التى كتبها محمد المهدى الفاسى شارح الدليل ، بتاريخ الاحد اوائل شعبان عام 1067 هـ. خ . م 303 فى 121 ص .

4 ـ بخط الشيخ التجانى : ابى العباس احمد بن محمد ـ بفتح أوله ـ بن المختار الحسنى الكاملى وهى موصوفة فى رفع النقاب ج 3 ص 52، وصارت هذه النسخة الى حوزة القاضى المرحوم ابى العباس أحمد سكيرج ، ومن بعده الى ابنه الشاعر الاديب الاريحى عبد الكريم سكيرج، وهو الذى اطلعنى عليها فى بيته بمدينة سطات، صيف عام 1384هـ / 1964م.

5 ـ بخط محمد بن القاسم القندوسي، فرغ من كتابتها ضحوة الخميس 14 رمضان عام 1244هـ. ومن مقابلتها فى فاتح ربيع النبوى عام 1247هـ. خ. ع. ك 399، وهو يذكر انه قابلها وصححها على 22 من النسخ البالغة غاية الجودة ، ويبرز من بينها الاصول التالية حسب ترتيب سياقه :

نسخة بخط محمد المهدي الفاسي ـ نسخة بخط ابى السعود عبد القادر الفاسي ـ نسخة بخط ابى زيد عبد الرحمن (بن محمد) الفاسى ـ نسخة مقابلة من نسخة المؤلف ـ نسخة بخط ابى الحسن على الصغير التازى ـ نسخة بخط الشيخ الباجى بن محمد ـ نسخة بخط ابى العباس احمد بن ناصر ـ نسخة بخط الشيخ حسن العجمى قصار ـ نسخة كتبت للشيخ أبى عبد الله محمد ـ بفتح اوله ـ بن ابى زيان القندوسي .

6 ـ نسخة ثانية بخط القندوسى ، فرغ منها آخر ذى القعدة عام   ومائتين والف .

خ. م. 5920

7 نسخة ثالثة بخط القندوسى ، فرغ منها ضحوة الجمعة 4 محرم عام 1267هـ .

خ. ع. ج 634 .

8 ـ نسخة رابعة قد تكون بخطه ، وهي مبتورة الطرفين ـ خ. م. 7959.

9 ـ نسخة تونسية، أشار لها النبهانى فى مقدمة تعليقه على دلائل الخيرات ص 10 ، وجاء فى آخرها ما يلى :

« كملت رواية سيدي محمد الصغير السهلي لدلائل الخيرات، عن سيدى محمد بن سليمان الجزولى وهذه الروايه هى التى يعبر عنها الشيخ الفاسى فى كبيره : تارة بنسخة الشيخ، وتارة بالعتيقة، وتارة بالسهلية ، وتارة بالمعتمدة ، وهى التى كتب عليها الشيخ المؤلف رضى الله عنه وصححها ، فهى اصح الروايات، ولذلك اعتنى الشراح بتحريرها، وتمييزها عن غيرها ، على يد افقر العباد الى الله تعالى : محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن ابراهيم البارودى، غفر الله لهم آمين ، فى 27 صفر الخير، سنة 1276 ، وهى العشرون من النسخ التى تشرفت يد كاتبها بها...»

10 ـ وعن هذه النسخة وما ضاهاها صحح الشيخ يوسف النبهانى النسخة التى نشرت بمطبعة الحلبي بمصر عام 1338 هـ .

وانظر عن الطبعات الشرقية الاخرى لدلائل الخيرات : معجم المطبوعات ع 697 ، مع الاشارة الى أنه نشر في اوربا من عام 1842م في بطرسبورغ حسب دائرة المعارف الاسلامية: النص العربي ج 6 ص 448

وقد تكرر نشره بشمال افريقية، ويبدو ان اول نشرة له بالمغرب هي التي كانت بالمطبعة الحجرية الفاسية ، بتاريخ الجمعة 10 صفر عام 1289هـ. ثم كان من طبعاته الاخرى تلك التي قامت بها دار الكتاب المغربية ، بخط الوارق المتقن : احمد بن الحسن زويتن الفاسي ، حيث فرغ من الكتابة ضحوة الاحد 17 ذي القعدة عام 1376هـ. في 121 ص من الحجم المتوسط .

42 ـ من نماذج هذه الشروح والتعاليق ما كتبه الفاسيون الثلاثة على دلائل الخيرات ، انطلاقا من ابي زيد عبد الرحمن بن محمد، فأبي حامد محمد العربي ثم محمد المهدي ، ومؤلفاتهم مخطوطة معروفة، باستثناء مطالع المسرات الذي تكرر طبعه .

ومن المؤلفات المغربية الاخرى : «اتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة بكشف القناع عن الفاظ دلائل الخيرات» ، تاليف ابي العباس احمد بن محمد ـ بفتح اوله ـ بن عبد الرحمن بن ابي بكر السكوني الفجيجي مولدا ودارا ، الحسني نسبا . خ. م. 3290

ثم الازهار المنيرات، في شرح «دلائل الخيرات» لمحمد بن (محمد) السالك الجرني المراكشي خ. م. 6494

وثالثا : «تعليق» يحمل مؤلفه اسم الطاهر بن محمد ـ بفتح اوله ـ بن ابراهيم التادلي ثم المساري ثم البجعدي / خ. م. 6657 .

ومن اغرب ما يذكر في هذا الصدد ، «ترجيز دلائل الخيرات» ، في منظومة مطولة لابي حفص عمر ابن محمد المجاصي المكناسي ، وكان يشتغل به اواسط المائة الهجرية ، 12 / خ. م. ز. 884

ولمحمد بن عبد السلام بن احمد بوستة المراكشي «اتحاف السائل ، في تنبيه اهل الدلائل» .

خ. ع. ك 32 ثاني مجموع

ولمحمد عبد الحي الكتاني «سلاسل البركات، الموصولة بدلائل الخيرات» ، أشار له في «فهرس الفهارس» ج 2 ص 389 .

ومن مؤلفات المشارقة على دلائل الخيرات : «بدء الوسائل، في حل الفاظ الدلائل» للشهاب احمد ابن محمد السجاعي المصري ، حسب ايضاح المكنون ج 1 ع 167.

و«المنح الالهيات ، بشرح دلائل الخيرات» ، لسليمان الجمل الازهري / خ. م. 1362

خ. ع. د 1633 ـ تطوان 319

و «بلوغ المسرات على دلائل الخيرات» لحسن العدوى الحمزاوي، منشور بالمطبعة الحجرية المصرية.

و «الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات» للنبهاني ، مطبعة الحلبي بمصر عام 1338هـ.

هذا فضلا عن شروح مشرقية اخرى ، وردت نماذج منها ـ وعددها خمسة ـ في ايضاح المكنون ج 1. ع. 476 .

43 ـ له ترجمة وجيزة في «سلوة الانفاس» ج 2 ص 268 ، وهو يرتب كتابه على ثمان حدائق : الاولى تشتمل على ثمانية أبواب ، والرابعة والسابعة والثامنة : اربعة أبواب ، والثالثة والسادسة ثلاثة ، وبابان في كل من الثانية والخامسة ، واعتمد في تاليفه «تحفة الاخيار» للرصاع وكتاب «الاعلام» للنميري وغيرهما .

44 ـ الظاهر ان هذا ينتسب الى قبيل كسيمة الصحراويين ، وقد انتقل الكثير منهم لسوس ونزلوا باقليم اكادير ، حيث توجد «انزكان» وسط بلادهم . انظر «المعسول» ج 14 ص 148.

45 ـ ترجمته في «سلوة الانفاس» ج 2 ص 85 ـ 87 .

46 ـ تعددت مصادر ترجمته من عصره فما بعده ، ونشير ـ من بينها ـ الى الدرر المرصعة لمحمد المكي الناصري ، خ. ع. ك. 265 ، ثم طلعة المشتري لاحمد بن خالد الناصري ، ط. ف.

47 ـ مما يدل لذيوع غنيمة العبد المنيب ، قول العدلوني في افتتاحية شرحه عليها : «واعتكفت على قراءتها الابرار ، وتداولتها ـ فيما بينهم ـ الفقراء الاخيار ، وذأبت على ملازمتها ذوو الاسرار ، حتى صارت هجيراهم بالليل والنهار» .

وتجاوبا مع هذا الاقبال على الغنيمة ، تعددت شروحها فى فترات متقاربة ، أ ـ وكانت الاسبقية لابى الحسن بن على بن محمد بن محمد بركة الاندلسي التطواني، فوضع عليها «شرحا» أشار له مؤلف الدرر المرصعة ثم العدلوني فى طالعة شرحه .

ب ـ «شرح حفيد المؤلف» : ابى العباس احمد بن موسى بن محمد الكبير الناصرى ، وكان فى فترة تاليف الدرر المرصعة لا يزال يشتغل فيه ولايتمه .

ج ـ « رقية الطيب ، ومنية الحبيب ، فى حل الفاظ غنيمة العبد المنيب » ، اسم شرحها للقاضي عبد السلام بن عبد الرحمن العدلوني آتي الذكر ، خ. ع. ك. 2204 / خ. م. ز 889

د ـ «تعليق القلائد الجسيمة . على كافور جيد الغنيمة» ، عنوان شرحها للعالم الرباطى : الهاشمي ابن محمد بن عبد السلام سكلانط الاندلسي، استمر بقيد الحياة حتى عام 1173هـ، وشرحه هذا مخطوط فى اربعة أسفار، خ. م. 1273، وورد ذكره فى ترجمة مؤلفه عند محمد بن على دنية فى «مجالس الانبساط ، بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط» خ. م 779، ثم فى الاغتباط ، بتراجم اعلام الرباط» ، خ ع د 1287 مع «الاتحاف الوجيز» لمحمد بن على الدكالي السلوى خ. ع. د 42 .

48 ـ انظر عن ترجمته حمدون الطاهري فى «تحفة الاخوان..» ط. ف. ص 77 ـ 114 .

49 ـ انظر ترجمته عند المرادى فى « سلك الدرر..» ج 1 ص 116 ـ 117 .

50 ـ «اتحاف السادة المتقين» ج 4 ص 51.

51 ـ ورد ذكره فى «سلك الدرر» بين اشياخ الملوى المغاربة ، وذكره الزبيدى فى «تاج العروس» ج 5 ص 236 هكذا : «شيخ مشايخنا افضل المتاخرين العلامة : ابو عبد الله محمد بن عبد الله القصرى الكنكسي ، حدث عن ابى العباس التلمساني ، وعنه الشهب الثلاثة : احمد بن عبد الفتاح ، وأحمد بن الحسن وأحمد بن عبد المنعم المصريون» .

52 ـ ايضاح المكنون ج 2 ع 45 .

53 ـ هذا هو تاريخ الرحلة الحجازية للحضيكي خ. م. 405 ، وقد ذكر الاسم الذى تعلق عليه بين الذين لقيهم بالمدينة المنورة، هذا الى المامة بالمذكور وردت فى «المعسول» ج 5 ص 25 .

54 ـ لا تعرف له ترجمة منتظمة ، وهناك بعض معلومات عنه وردت ضمن موضوع «الوراقة المغربية فى العصر العلوى الاول» ، مجلة «دعوة الحق» : العدد العاشر ، السنة 16 ، ص 84 ـ 85 .

55 ـ ترجمته فى شجرة النور الزكية ص 354 ولنفس المؤلف شرح على «كنوز الاسرار» ، باسم «الفتح المبين ، والدر الثمين ، فى فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين ، صلى الله وسلم عليه آمين» ، رتبه على مقدمة وثمانية ابواب وخاتمة ، وجعل موضوع الباب السادس ذكر مصادر الصلوات الواردة بكنوز الاسرار ، خ. م. 401 بخط شرقى ـ خ. ع. ك 637 ثالث مجموع يشتمل ـ ايضا ـ على متن كنوز الاسرار .

56 ـ أفردت ترجمته بالتاليف ، ثم تناولها عدد من كتب التراجم ، ونشير ـ بالخصوص ـ الى نشر المثانى ط. ف. ج 2 ص 277 ـ 278 ، مع فهرس الفهارس ج 2 ص 169 ـ 170.

57 ـ مختصر يتيمة العقود الوسطى لمحمد المكي بن مؤلف الذخيرة ، غير ان الكتاب لم يستمر على تجزئته الاولى ، واختلفت نسخه بالزيادة والنقصان عن تقسيم 55 ، وأكبر مجموعة مغربية من الذخيرة هى التى تحتفظ بها الخزانة الملكية : من رقم 7874 حتى رقم 7957 ، ثم قسم الكتانية بالخزانة العامة من رقم 2756 حتى رقم 2799، مع ارقام 584 ـ 587ـ 2989 ؛ ومن الواضح ان عددا من هذه الاجزاء يتكرر بعضها مع البعض .

وفى خزانة الجامع الكبير بوزان مجلد من الذخيرة ـ رقم 519 ـ يبدو انه الاول ، ويوجد باوله وآخره تقاريظ على الكتاب من جهة اعلام وأدباء الجزائر وتونس وطرابلس بخطوطهم ، وهناك مجموعتان ـ على حدة ـ لهذه التقاريظ .

ـ تقاريظ أئمة المشرق / خ. م 7958 .

ـ تقاريظ أئمة المغرب / خ. ع. ك 1181

وأخيرا نحيل على يتيمة العقود الوسطى لمحمد بن عبد الكريم العيدوني ، وهي تحتفظ بلائحة للاصول التي استمد منها مؤلف ذخيرة المحتاج .

58 ـ ترجمته في «كشف الحجاب» للقاضي احمد سكيرج ، الطبعة المصرية ، ص 97 ـ 126، مع «رفع النقاب» لنفس المؤلف ، مطبعة الامنية بالرباط ، ج 3 ص 160 ـ 169 .

59 ـ «كشف الحجاب» ص 104 ـ 118 ، ولمحمد ابن المشرى الحسنى الجزائرى شرح على ياقوتة المحتاج لا يزال مخطوطا / خ. ع. د 1919 اول مجموع / خ. ع. د 2419 : اول مجموع خ. ع. د 2447

60 ـ هو مؤلف «الدر السالك على الفية ابن مالك» ح. م. ز 1797 ، بخط مؤلفه الذى فرغ منه في يوم 25 ربيع الاول عام 1207هـ، ومن هنا يستفاد عصر المؤلف الذى لا يعرف له ـ الآن ـ ترجمة.

61 ـ انظر وصفه في فهرس هذه المكتبة ، مجلة «تطوان» : العدد 8 ص 166 .

62 ـ ترجمته في «سلوة الانفاس» ج 3 ص 30

63 ـ ترجمته بـ «الاعـلام» المراكشـي ج 5 ص 251 ـ 253 ، ووفاته من «دليل مؤرخ المغرب الاقصى» رقم 664 .

64 ـ هذا هو تاريخ استجازة مرفوعـة مـن التهامي ابن رحمون بخطه، الى مؤلف ذخيرة الكنوز.

65 ـ «سلوة الانفاس» ج 3 ص 26 .

66 ـ ترجمته بنفس المصدر ج 1 ص 170 ـ 171 ، ولابى السعود عبد القادر بن ابى القاسم العراقى الحسنى الفاسى شـرح علـى احدى هـذه الصلوات ، باسم «المواهب الربانيـة» ، فـي شرح الصلاة الصقلية» ، الموجودة قطعة منه بخط المؤلف، في محفظة من ورقة 73 ب الى ورقة 103/خ.ع.ك 64

67 ـ ترجمته عند ابن الموقت في «السعادة الابدية» ، / ط. ف. ج 1 ص 148

68 ـ لا تعرف له ترجمة ، وهو حفيد العلامة الشهير : التهامي الحمادى المكناسي ، المترجم في «اتحاف اعلام الناس» ج 2 ص 81 ـ 94 .

69 ـ تعددت مصادر ترجمته ، على ان اوسعها هو كتاب «ترجمة الشيخ محمد الكتانـي الشهيـد» من تأليف ابنه الشيخ محمد الباقر ، مطبعة الفجر عام 1962 .

70 ـ من بين المصادر الكثيرة لترجمته، نشير الى «معجم الشيوخ» للقاضي عبد الحفيظ الفاسـي الفهرى / ج 2 ص 37 ـ 41 .

71 ـ ترجمته في «الاعـلام» المراكشـي ج 2 ص 280 .

72 ـ تناوله بالتعريف به عدد من المؤلفيـن المعاصرين ، على ان الترجمة الموسعـة هي التـي كتبها ابنه الاستاذ عبد الملك البلغيثي ، وصدر بها الجزء الاول من كتاب والده : «تشنيف الاسمـاع» المطبعة الجديدة بفاس ، ص 1 ـ 52 .



كلمة في فضائل الاسلام

ألقيتها على وفد من الناس ألمانى

للدكتور محمد تقى الدين الهلالي

اقترح علي قبل سنوات ان القى كلمة باللغة الالمانية على وفد المانى جاء لزيارة المغرب ، فلبيت الاقتراح وحضر الوفد ، عدد أفراده رجالا ونساء من جميع انحاء المانيا سبعة عشر ، وكان ذلك فى بلدية المدينة الجديدة بمكناس وكان ذلك مساء الاحد 24 من المحرم سنة 1388 هـ موافق 68/4/21 م ، ونص الكلمة :

ايها السيدات والسادة احييكم تحية طيبة ، وارحب بكم ، وقد اقترح ان القى على مسامعكم كلمة فى فضائل الاسلام ، بلغتكم الالمانية ، فلبيت الطلب للاجتماع بكم ، وسأتكلم باختصار ، ثم اكون مستعدا لاجابة ما يرد على من اسئلة .

ما معنى الاسلام

قال عالم انكليزى : الاسلام هو التسليم والانقياد لارادة الله تعالى ، يمكنكم ان تقولوا : وكيف نعرف ارادة الله تعالى ؟ فأجيب بأننا نعرفها بواسطة الرسل الذين ارسلهم الله الينا ، كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم اجمعين) ويمكنكم ان تقولوا : ان هؤلاء الرسل جاءوا بشرائع مختلفة ، فاقول : ان شرائعهم ، وان كانت مختلفة ، فانها لا تختلف فى امرين عظيمين :

اولهما : توحيد الله بالاعتقاد انه هو الله الذي خلق السموات والارض ، وهو خالق كل شىء ، ومدبر كل شىء ، فلا يعبد الا الله ، ولا يتوجه الا اليه بطلب الحاجات وتفريج الكربات ، ولا يستعان الا به .

ثانيهما : اقامة العدل والمساواة بين جميع الناس . فاذا نحن اعتقدنا هذين الاصلين ، وتمسكنا بهما حق التمسك نستطيع ان نعيش بسلام ، متعاونين على الصالح العام ، وفى ذلك سعادتنا جميعا .

وقد علمنا الاسلام ان نعتقد ان عيسى المسيح من اعظم رسل الله ، وان امه صديقة طاهرة ، وان الله تعالى ارانا معجزة دلتنا على انه قادر ان يخلق ولدا بلا اب ، وان يهبه مريم العذراء . وهذه العقيدة عندنا تساوى عقيدتنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لم يعتقدها فليس بمسلم . والاسلام يامرنا ان نؤمن بجميع الانبياء والرسل ، من عرفنا منهم ومن لم نعرف ، لان الله بعث فى كل امة رسولا ، ولم يهمل امة من امم .

فان قيل : اذا كان هذا هو اعتقاد المسلمين فلماذا نراهم فى العصور الاخيرة متاخرين ؟ فالواجب : ان المسلمين حين كانوا متبعين للقرآن وهدى محمد (صلى الله عليه وسلم) متمسكين بسنته ، حاكمين بشريعته ، كانوا اسعد الناس واغناهم واعظمهم رقيا

وحضارة وأعزهم ، فلما تركوا اتباع القرآن والرسول ذهبت قوتهم وسعادتهم ، واجتماعهم وتعاونهم ، وانحطوا الى الحالة التى هم فيها .

الاسئلة والاجوبة

1 ـ ما رأى الاسلام فى هذه الحضارة الاوربية ؟ وهل يستطيع المسلم ان يجمع بين التمسك بالاسلام والاخذ بنصيب من الحضارة الاوربية ؟

الجواب : ان الاسلام يرحب بالحضارة الاوربية بمكتشفاتها ومخترعاتها وصناعاتها ، ولا يتنافى معها ابدا ، بل يرغب فيها ويحض عليها ضمن قواعده واصوله وهو فى ذلك رابح غير خاسر .

2 ـ كيف يستطيع العمال فى المعامل والمصانع ان يؤدوا الصلوات الخمس ؟

الجواب : ان الصلاة هى عماد الاسلام ، ولا يمكن ان يقوم الاسلام بلا صلاة ، وليس فيها مشقة ولا تعويق عن العمل ، لان كل صلاة من الصلوات الخمس تتم فى خمس دقائق ، ولايحتاج المصلى ان يتوجه الى معبد ، بل يصلى فى مكان شغله ، فان الارض كلها مسجد فى نظر الاسلام .

والعمال يمكنهم ان ينقسموا قسمين : جماعة تصلى وجماعة تقوم بالعمل ، ثم تجيء الجماعة التى صلت وتسير دولاب العمل ، وتذهب الجماعة التى لم تعمل فتصلى . على ان اكثر الصلوات شرعت فى اوقات الراحة كالمغرب والعشاء والصبح والظهر ، وقد رخص الاسلام للجماعة والفرد فى حالة الاضطرار ان يجمعوا بين الظهر والعصر ، وان يجمعوا بين المغرب والعشاء فى اول وقت العشاء .

3 ـ قالت سيدة: كيف يستطيع العمال فى معاملهم ان يصوموا رمضان من الفجر الى الغروب ، اذا صاموا يتعطل العمل ؟

الجواب : فقلت لها : قبل ان اجيب عن سؤالك ارجو ان تسمعى قصة اقصها عليك ، كنت فى «بن» بالمانيا سنة 1938 ، وكنت اكل فى (بانسيون) يدعى صاحبه (هر شميت) فلما قرب دخول رمضان قلت له ارجو من فضلك ان تؤخر غذائى من الزوال الى الساعة السادسة بعد الغروب لمدة ثلاثين يوما ، فقال : ولماذا ؟ قلت له : قد اقبل رمضان ، وهو شهر الصيام يصوم فيه المسلمون من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فقال لى : لاتأكل شيئا اصلا ؟ فقلت : لا ، فقال لى : اذن تموت ، فقلت لا أموت ان شاء الله ، فقال لى : : اعلم ان بلادنا باردة يحتاج فيها الانسان الى اكثر مما يحتاج فى بلادكم، فقلت له : اجبنى عن تاخير الغذاء ، فقال لى وزوجته الى جانبه : نستطيع أن نحضر لك غذاءك فى الساعة السادسة كما طلبت الا فى يوم الاحد ، فان الخدام لا يشتغلون ، وزوجتى هي التي تحضر العشاء ، فلا بد ان تنتظر الى الساعة الثامنة ، فقلت : قبلت : وكنت فى ذلك الوقت مصابا بقرحة المعدة وقد اتفق الاطباء على ان االمصاب بها يجب أن يأكل فى كل ساعتين او ثلاث ساعات قليلا من الطعام ، فعصيت أمرهم .

وقبل ان ابدا فى الصيام وزنت فى الميزان الذي يسجل الوزن من تلقاء نفسه (اوتوماتيك) وحفظت البطاقة التى فيها مقدار وزنى ، فلما انتهى رمضان وزنت نفسى فالفيتنى قد زاد وزنى اربعة ارطال ، وأخذت البطاقتين الى (الهر شميت) وفيها تاريخ الوزن فلما قرأهما تعجب كثيرا وقال لى : ما دام الانسان فى الحياة لا تزال تنكشف له امور كان يجهلها ، والآن اجيبك عن سؤالك :

اعلمى ان الانسان مركب من روح وجسم، والسلطان للروح لا للجسم ، والعبادة غذاء الروح ، فاذا قوى الروح اعطى الجسم قوة خارقة للعبادة ، ونحن المسلمين منذ الف واربعمائة سنة نصوم رمضان ، واشغالنا ماضية لم تتعطل ، وعلى سبيل التنزل والافتراض نقول : ان العامل المسلم لا يشتغل فى رمضان الا أربع ساعات بدلا من ثمانى ساعات ، فكم يخسر ؟

الجواب : يخسر مائة وعشرين ساعة فى السنة لان العمل عندنا جائز فى جميع الايام لا يجب علينا تركه فى اى يوم من ايام الاسبوع ، وانتم تجبرون على ترك العمل نصف يوم السبت ويوم الاحد بتمامه فتخسرون اثنتى عشرة ساعة فى كل اسبوع ، زيادة على ايام الاعياد الكثيرة ، كعيد الميلاد وعيد الفصح وغيرهما ، فاذا ضربنا اثنتى عشرة ساعة فى اثنين وخمسين عدد الاسابيع السنة يكون الخارج ستمائة واربعا وعشرين ساعة (624) .

فكيف ترين النسبة بين ما يخسر المسلمون بسبب الصيام ، على فرض انهم يخسرون ، وبين ما يخسره المسيحيون ؟ فما اعظم الفرق بين مائة وعشرين ساعة وستمائة واربع وعشرين ساعة ، فتعجب السامعون وأبدوا اعجابهم بهذا الجواب المسكت .

وقلت لها : ان اليهود يحرم عليهم ان يشتغلوا يوم السبت هم وخدامهم ودوابهم وسياراتهم وسائر الآتهم بالقياس على الدولب من مساء يوم الجمعة الى آخر يوم السبت بالاضافة الى اعيادهم الكثيرة ، واذا كانوا مساكنين للمسيحيين كيهود اوربا وامريكا يلزمهم تعطيل يومين فى كل اسبوع ، فهل تعطلت اشغالهم وتأخرت اعمالهم ؟

وعند ذلك قام رجل وهو الدكتور كيزكوكر GEZ .DR. Keeker وارتجل خطبة طويلة بليغة اطراني فيها واطرى فصاحتي بالالمانية ، وذلك ما لا أوافقه عليه، لان اللغة التي لاتشتغل فى كل يوم بالتكلم والكتابة والقراءة لابد ان تنقص بنسيان بعض الفاظها ، ويقل انطلاق اللسان بها ، ثم اثنى على ما شاهد الوفد فى المغرب من النشاط والنظافة ، وخصب الارض واعتدال الجو ، وجمال المناظر ، ووداعة السكان ، وذكر بالخصوص وجود الليمون المسمى بالبرتقال بكثرة واستمتاع الوفد به .

وقد اخبر الخطيب فى اول خطبته انه يتكلم باسم الوفد المؤلف من سبعة عشر من جميع انحاء المانيا الاتحادية . واقترحت على السيد الرئيس ان يطلب من ذلك الخطيب ان يكتب له مضمون خطبته ، لانه مهم جدا .

وبعد انتهاء خطبة الخطيب شكرته على ثنائه وعلى مدحه لوطننا واعجاب الوفد بما شاهده فيه ، وأخبرته ان المغاربة يحبون الالمانيين من قديم الزمان ونحن نرجو الله تعالى ان يكون ذلك اليوم الذى توحد فيه المانيا ويجتمع شملها ، ويتم ازدهارها وسعادتها جد قريب . هذا ويشاركني فى هذا الرجاء كل منصف ومحب للحرية والعدالة فى أنحاء العالم ، فصفقوا تصفيقا عاليا ، كما صفقوا مثل ذلك عند نهاية كلمتي الاولى ، وعند نهاية الاجوبة ودعتهم وانصرفت .

وهذه ترجمة كلمة الدكتور (كيتس كوكو
GEZ .DR. Keeker

التي القاها بالنيابة عن الوفد الالماني المرافق له جوابا عن كلمتي :

حضرة المحترم الاستاذ الدكتور الهلالي ، نشكركم كثيرا من صميم قلوبنا على حديثكم الذى شرحتم فيه مبادىء الاسلام ، وبينتم الاصول التي تجمع بين ديننا ودينكم ، وهى الاعتقاد بان الله اله واحد ، يجب علينا الانقياد والتسليم لارادته سبحانه ، والرغبة فى ان نعيش بسلام مع جميع الشعوب متحدين متعاونين على الخير العام ، وقد تاثرنا اشد التاثر حين راينا مئات من الناس يجتمعون فى المساجد لاداء الصلاة فى اوقاتها .

ان اعضاء وفدنا جاءوا من جميع انحاء المانيا الغربية فهم يمثلونها كلها من ميونخ (جنوبا) الى هامبورك (شمالا) ومن فرانكفورت (غربا) الى هانوفر (شرقا) لقد عرفنا بلادكم ، وشاهدنا فيها كثرة اشجار البرتقال واستمتعنا بما اشترينا منه فى الاسواق . ونحن نعرف آثار ثقافة اسلافكم فى برتكال واسبانيا .

ونحن نريد ان نستمتع زيادة على ما شاهدناه بالتجول مدة اسبوع لمشاهدة المغرب الجديد العصرى ولقد رأينا المدن القديمة ، والمدن الحديثة والعصرية وقد تاثرنا كثيرا بتطور الصناعة ، والاعمال الفلاحية فى الاراضى الخصيبة والاراضى القليلة الخصب ، وقد دهشنا بما رأيناه من نظافة المزارع والعناية التي يبذلها الفلاحون فى كل مكان .

وقد شاهدنا فى كل مكان ان هذا الشعب المغربى فى وضع يمكنه من السيطرة على مقدراته ، وسيتبوأ المقام الطيب اللائق به فى أسرة الشعوب الاوربية وقد تأثرنا بالخصوص بمشاهدة كثرة الصبيان والشباب فى بلادكم ، وحيثما توجهنا رأينا الرغبة فى التعلم والنظام ، ونحن مسرورون بهذا التطور الذى نشاهده فى المغرب الجديد . ونحن على يقين ان شعبكم الفتى سيتقدم كذلك فى المستقبل .

ونعيد شكركم على هذه الفرصة التي اتحتموها لنا للتعرف على شعبكم ، اما انتم ايها الاستاذ المحترم، فانى أثنى اطيب الثناء على اجادتكم للغة الالمانية .
GEZ .DR. Keeker الدكتور كير كوكر

الأمير أبو عبد الله العالم وندواته الأدبية

للأستاذ سعيد أعراب

-2-

الندوة الثانية :

دخلنا عليه فوجدناه المنتزه الجديد ، وقد اشرف على الميدان ، وخيول الحلبة تتسابق فيه افواجا افواجا ..

وبعد ان رحب بنا ، وعاتبنا عتابا لطيفا على ابطائنا ؛ فاعتذرنا له بكثرة اشغالنا ، وطلبنا منه العفو والصفح ؛ قبل عذرنا ، وآنسنا بلطفه واحسانه ، ثم التفت الى الخدم، فقدموا لنا القهوة فى اوان حسنة، وأمر كل العبيد ان يقفوا خارج المنتزه، بعيدين عنا، ولم يبق معنا الا الحاجب والمكناسيون ، والعبد الذى يقف على رأسه بسلاحه ، ثم قال لنا : انى أعييت كثيرا فى هذه الايام ، ولا يزيل هذا الاعياء ، الا المساجلة فى وصف ؛ فهل تساجلون باختياركم فى القافية ، وفيما تختارون من وصف ما تريدون ، او انا اختار لكم ، وأبدأ لكم المساجلة فى وصف ما اريد ، وعلى القافية التى اريد ؟

فقال له السكتانى : ان اختيارات الملوك ، ملوك الاختيارات ؛ فلا نعرف ما تريد ، وحاشانا من ذلك؛ فقال لـه : اذن نصف هـذه الاوانـي - يعني الاوانى التى اعدت لشرب القهوة - على انها اوانى خمر ، فى روض اريض ، يديرها ساق جميل ، على عادة الشعراء الاقدمين ، وان لم نقتد بهم - والحمد لله - فى فساد المروءة والتهتك ؛ وأنا وأنتم لا نعرف ذلك - بحمد الله ، ولكننا نعرف ذلك فيما نقرأه من كتب الادب ؛ ثم اطرق هنيهة وقال :

هذى الكؤوس مشعشعات الراح
فانهض تلب نداءها يا صاح

ثم قال السكتانى - وهو الذى يليه - حسب ما رتبهم عليه :

ما عذر من ترك العقار بروضة
زهراء بين منادمات صباح

فقال الهلالى :

فالوقت طاب وبلبل الاغصان قد
ملأ الرياض بصوته الصداح

وقال الرسموكى :

والروض ازهر ورده بخدود
والياسمين بلونه الوضاح

وقال الزدوتى :

فكأن مبيض الزهور منضرا
حبب الرحيق اعالى الاقداح

وقال السكتانى :

وكأن محمر الشقائق وجنة
دعكت براحة ماجن مزاح

وقال الهلالى :

وكأن ذاك الورد فى اشواكه
شاك تبدى فى اتم سلاح

وقال الرسموكى :

وكأن هاتيك الغصون وميسها
بالرفق ميس من قدود ملاح

وقال الزدوتى :

قم واسقنيها مثل عين الديك تحـ
ـفز للمكارم انفس الشحاح

وقال السكتانى :

من كف اغيد ردفه مترجرج
كالدعص بين تقلبات رياح

وقال الهلالى :

ان مد يشفع ما يمد بأعين
نجل مراض فى الجفون صحاح

وقا لالرسموكى :

ما الراح الا ما يدير مهفهف
غنج والا فهو دون قراح

وقال الزدوتى :

كل الملذات العذاب توفرت
فانهض ولب الانس عند الراح(1)

ثم اشار الخليفة ان كفى ، ثم قال للمكناسيين : (أفسحر هذا ام انتم لا تبصرون) ؟ هكذا والا فلا؟

قال الحاكى : فقد - والله - قالنا الجهد ، واليس ذلك من الخليفة ، لانه - وان كان نقادة - فانه يلاطف بنقده ، وكثيرا ما يستر عورة ، وانما الذى الذى لا نرضى ان ينتقدنا ، هم المكناسيون ، **فالموت الاحمر افضل عندنا من ذلك** ، ولولا خوف اساءة الادب مع الخليفة لنماتنهم ، قال : ثم دارت علينا كؤوس القهوة - والخيل تحت انظارنا من الشراجم تلعب فى الميدان ، وطلقات البنادق عند تشارك فيها حتى سألنا الخليفة ذلك ؛ ومدارها على جمع التكسير فى قلعة كظبية ، ومن فعلى كحجلى ومثل ذلك ، وعندنا من البديهيات ، نستثقل الحديث عنه فى مجالس الانس ، وقد شبعنا منه فى كتب النحو .

وبعد تلك المذاكرة - القصيرة وكأنها مقدمة لما يريده الخليفة التفت الينا فقال: هل لكم فى مساجلة اخرى فى خيل الحلبة هذه ، بالوان خيلها ، وسواد ركابها ، وأصوات بنادقها؟ فقلنا على السمع والطاعة، فاطرق الخليفة - كانه ينسج مطلع المساجلة ؟ (قال السكتانى (1) : فتاتى لى هذا المطلع ، فقلت قد حضر مطلع - ياسيدنا ، فقال : قل ، فقلت :

سوابق مولانا بروق لوامع
ذواهب فى دجن السحاب رواجع

وقال الهلالى :

صفوفا صفوفا كالعقود تناسقت
على صفحات النحر والنحر ناصع

وقال الرسموكى :

اذا ابرقت من جريها المومض الخطو
ف ترعد ما بين البروق المدافع(1)

وقال الزدوتى :

فلا تستطيع العين تثبت عدها
اذا استرسلت فى جريها تتدافع

وقال السكتانى :

كأن الرياح الهوج صفن قوائما
لهن فكيف العاصفات الزوابع

وقال الهلالى :

خيول لها للالوان شتى كانها
تلون وشى من قطائف لامع

وقال الرسموكى :

ولكنما الفرسان ما منهم سوى
ابى المسك عاليهم من الباس ساطع

---

(1) وانظر ما بين هذه الابيات من ترابط وتساوق، وكان بعضها يكمل بعضا ، والبيت الاخير ينم عن حسن الختام : (فكل الملذات العذاب توفرت..) ولم يبق الا الانس بالاحبة، وقد حفتهم السعادة باجنحتها وسلام على الدنيا وما فيها .

(1) جملة (قال السكتانى) ساقطة فى الاصل والمعنى يقتضيها .

وقال الزدوتى :

أناسى عيـون العصـر بأسهـم اذا
يعـز امـام الزاحفيـن المـدافـع

وقال السكتانى :

قد ابيضت الاخلاق منهم وكم تـرى
من ابيض تعلوه الخـلال السوافـع

وقال الهلالى :

اذا لم يك الانسان ابيـض شيمـة
أثر فيه بيض الموشيات النواصـع

وقال الرسموكى :

بلى ان تكـن بيـض الخـلال فانـه
وان كـان مسـودا لامجـد فـارع

وقال الزدوتى :

كامثـال ابطـال البهاليـل هـؤلاء
هـم شموس فى السبـاق لوامـع

وقال السكتانى :

علـى حـدأ قبـل ضوامـر الصفـا
اذا وطـئـت فـى جانبيهـا يرامـع

وقال الهلالى :

فلـولا مـران الراكبيهـا ومـرة
بأعضادهم والمحكمات القـوامـع

وقال الرسموكى :

لما انقدن هذا الانقياد كمـا نـرى
فتسلس فـى ايديهـم وتتابـع

وقال الزدوتى :

فمن شمته منهم ـ وان كان قارحا
مسنا ـ يرى فـى الظفـر انه يافـع

وقال السكتانى :

اذا اظهروا فى الحلبة ـ اليوم ـ ماترى
فكيـف تراهـم اذ تـدور المعـامـع

وقال الهلالى :

فهل كان هـذا اللهـو الا عنـاونا
لما هو يوم الجد فى الحرب واقـع

وقال الرسموكى :

فكـل مصـون بالجنـود كـهـذه
حصين الـى الآباد مـا هو ضائـع

قالوا : وهنا اشار الينا الخليفة : كفى ، كفى .. فقد بالغتم، وفقتم فـوق ما يـراد منكم ، فللهـ در مجالس تعلمتم منها، وأمات ارضعتكم بلبانها ! (فعند الامتحان ، يعز المرء اويهان) .

ثم التفت الى المكناسيين فقال لهم : بالله عليكم، اترون مل هذه السرعة فى مثل هذا الوصف القليل، وقد فرغوا فيه ما شاءت لهم قرائحهم ، حتى حفت عليهم انشقات المرائر (1) من كثرة التفكير ! ؟

وهل هناك فـى المغـرب ـ اليوم ـ مثل هـذه السرعة فى الجلسة ؟ فقال له احد المكناسيين : ان هذا حقا لنادر ، وما رأينا قط فى مثل هذه السرعة الا فلانا ـ وسمى رجلا لم نعرفه ـ ولكن رأينا منه ذلك فى القصائد ، لا فى المساجلة والمماتنة ، ولا يشك احد فى ان السرعة فى قصيدة الانسان ـ وهو يتبع معناها وحده كما يتيسر له ـ غير عجيبة ، كما هو العجب فى السرعة فـى المساجلـة ، والانسـان مرتبط فى بيته بالبيت الذى قبله ، ثم ليس هـو فى سعة من الوقت ينتقى فيه ، وهذا على كل حال نعمة من نعم الله وفضله ، (وذلك فضل الله يوتيه من يشاء).

ثم قال الخليفة : ان هذا اليوم قد اعطيناه حقه، فنهض قائما ، فقمنا بقيامه ، فاستوقفنا عبد فى باب المتنزه ، ثم خرج الحاجب ومـال بنـا الـى مكـان استخرج منها هدايا، فمكن لكل واحد منا حلة وصرة دراهم، ثم قال الحاجب : انكم اضياف الخليفة (1) .

(2) يعنى بها البنادق

(1) فما اجمل هذا التعبير ! وما اصدقه على المعاناة التى يعيشها الشاعر عند التسابـق بيـن فرسـان الحلبة فى مضمار المساجلة ، حيث تتصاعـد انفـاسه وتلح دقات قلبه ، حتى تكاد تنفطر منه الجوانح ؟

اقتراح بعض السياسيين :

قال الحاكي : ثم طرقنا فى البيت احد المكناسيين من بطانة الخليفة فداخلنا بحديثه ــ وهو محدث لبق، حتى جرى ذكر القصائد التى قيلت فى الخليفة ، فقال : ينقصها شيء واحد يحبه الخليفة ، وهو انه اليوم ــ كما تعلمون ــ افضل اخوته ، وهو بهذا الامر بعد السلطان ، ولا بأس ان قلتم قصيدة ــ ان تشيروا الى هذه الجهة ، اشارة ليست بصريحة ــ فى كلام مثل هذا .

ولما خرج ، قلت لهم : اننى اشير عليكم ان لا تورطوا انفسكم ، وامشوا بمقدار ، فاما الرسموكى فقال : اننى قد ذقت ما بين الملوك ــ فى ايام سيدى على ، وولده سيدى محمد ، وأعدائهما ، وقد كدت اهلك يوم خراب (ايلغ) ، فالله يحفظنى ان أتداخل فى مثل ذلك ، وانما اجعل نفسى كالطير يلتقط ما سنح من الحب ثم يطير ، وقد صدق فى ذلك ، ولم يتورد فى قصيدته التى قالها ، بخلاف اصحابه .

ولا نريد ان ندخل فى تفاصيل هذه الندوة ، منها بقصيدة الرسموكى التى يقول فيها :

اخى كل وقت التقى واللواحيا
فيا ويلتا ما للواحى وماليا

كفانى الذى بى من غرام مقلقل
ولوعة قلب كان بالوجد لاظيا

فهل فى فضل بعد ذلك للذى
يقرع منى شاحت الجسم ضاويا

فما ديدنى الا التململ والبكا
متى ابصرت عيناى برقا يمانيا

اظل نهارا فى اختلاء وفكرة
وأسهر طول الليل للنجم رانيا

سهاد ووجد وانتحاب ويالها
نواغل حيرن الطبيب النطاسيا

فلولا أمانى التواصل لم أبل
متى ما قضى دهرى الذى كان قاضيا

أحباب قلبى والذى بعشقهم ت
ارى مثلا بين الاحاديث ساريا

ومن بهم روحى تعاودنى متى
أشم برق وصل منهم كان كافيا

انا لكم كونوا كما شئتم فلا
أميل وان يرم الهوى بى مراميا

فيا طالما عنفت فيكم فلم أعر
صماخا لما كان العمنف واعيا

بل ازداد بالتعنيف وجدا ولوعة
فكيف اللظى بالعاصفات سوافيا

ألا ليت شعرى هل اعيش لحقبة
ارى الوصل ايضا مثل ما كان ضافيا

فاسترجع اللذات خضرا نواضرا
ارى لى فيها يانع العيش دانيا

فيرجع لى عهد سعيد كأننى
أراجع جلاس الخليفة ثانيا

أولئك قوم لاحظتهم سعادة
فلاحظهم من كان شهما منافيا

وأى اعتلاء فوق من كان خير من
تناسله خير الورى عنه راضيا

فيا فرحى ياقوم اذ كنت بينكم
جليسا برضوان الخليفة حاليا

فكم مرتج هذا المقام وغابط
لمن كان فيه طالع النجم ساميا

(1) ثم يذكر المؤلف ان الادباء الاربعة ، اقاموا نزهة فى احدى الضواحى ، وجرت بينهم مساجلة طويلة فى ذم العبيد ، ناقضوا فيها ما قالوه من المساجلة الآنفة الذكر ، ــ صنيع ما فعل ابو الطيب المتنبى مع كافور الاخشيدى ، مما يدل على الروح الشاعرة التى تطفح بها نفوس هؤلاء الادباء ، ولم نوردها لا تدخل فى صميم موضوعنا (الامير وندواته الادبية) وان كانت تحوى طرائف وملحا ادبية ، وفوائد جليلة قد لا تجدها فى غير هذا الكتاب .

تصاقب مولانـا الخليفـة سامعـا
مجيبا فشكر اللـه ابيض صافيـا

فخرنا به والفخر حظ ومن ينل
كنـوزا عظامـا يغتـدى متساميـا

جلسنا الى العبسـى لكنه اذا
تدفق درسا يستحيـل البخاريـا

كأن احاديـث البخـارى جميعهـا
وأبحاثها والمشكلات العواصيـا

تسطر فى عرض الجدار امامـه
متى يردها يرسل الطـرف رائيـا

الى ان يقول :

اليـك قصيـدا مستجـادا منقحـا
يـروق تـرويق الخبيـر ليـاليـا

نعم انه قد قالهـا العبـد لحظة
ولكن رأى نقدا مدى الحول قاليا(1)

الشعـر صعـب طـويـل سلمـه
والشعر لا يستطيعـه مـن يظلمـه

وبعد : فهذه فصول فى النقد والادب ، احتفظت لنا بهما مخطوطة (نزهة الالباب)، التى نجهل عنهـا ـ ويا للاسف ـ كل شيء ، حتى اسم مؤلفها، وقاتل الله الاهمال ، فكم من تراث ضاع ، وكم من عالـم طواه النسيان .

وأرجو ان اكون لفت الانظار الى شعراء افذاذ ، لم نكن نعرف عنهم اى شـىء ، وبالاخـص اميرنـا الاديب النقادة ابـا عبد الله العالـم ، الذى نحن فى حاجة الى دراسة تحليلية ، لآرائه النقدية ، ومؤهلاته الشخصية والادبية ، فالرجل ـ كم يبدو من خـلال هذه الندوات التى تطفح بروح شاعرة ، ونقدها دقـ بناء ، له فكر وقاد ، ورصيد ممتاز فى اللغة ، وهو الى ذلك ـ يتمتع بصفاء الذهن ، وحـدة البـادرة ، وحساسية مرهفة فى النقد ، ولعل النكبة السياسية التى اطاحت(1) به ، هى التى غطت على كل محاسنه، وسدلت حجابا كثيفا على ادبه وتراثه الاصيل ، ولنا عودة الى الموضوع فى فرصة اخرى بحول الله.
من خلاف ، لشقه عصا الطاعة على والده ـ فى 15 صفر سنة 1116هـ ـ 1704م ـ كما يقـول صاحـب الاستقصا ، وفى النشر انه توفـى سنـة (1118هـ) ، وربما كان اقرب الى الصواب ، لوجود رسائل قريبة من هذا التاريخ نسبت الى ابيه .

---

(1) نعم اضحى الشعراء يخشون نقده ، ويحسبون الف حساب للوقوف امامه ، فالكلمة الشاعرة لهـا جرسها وموقعها ، وليس النظم شعرا ، ولا الرغام تبرا ، فينبغى ان تبقى للكلمة حرمتهـا ، وللشعـر هيمنته :

اذا ارتقى فيـه الـذى لا يعلمـه
زلت بـه الـى الحضيـض قدمـه
يريد ان يعربـه فيعجمـه

وانما سمى الشاعر شاعرا ، لانه يشعر بمـا لا يشعر به غيره ، ولكل ميدان اهله .
وانظر عمدة بن رشيق 116/1

(1) كانت وفاته بمكناس ـ بعد ان قطعت يده ورجله
وكانت وفاة ابى عبدالله العالم فتنة كبرى بالمغرب، كما يذكر اكنسوس ـ كادت تطيـح بكثيـر مـن الرؤوس ، لما كان يربطها به من قربى رحم الادب ولما كانت تكنه له من عطف وتقدير ـ ولكن اللـه سلم !
انظر الاستقصا 91/7 ـ 92 .

تحريف التاريخ
أهم مظاهره وأساليبه

للدكتور ابراهيم حركات

اذا تم تحريف التاريخ قصدا او عفويا فان ظروف الزمان والمكان تكون أيسر وسيلة لذلك . فالحدث الذى يرويه شخص واحد ، والمعركة التى يحكى تفاصيلها الطرف المنتصر ، وقيام نظام حكم بالقوة مكان آخر ، وانفصال مجموعة من الناس عن اطار اجتماعى او مذهبى ، وعدم توفر وسائل التحقيق او الاثبات او النفى ، ما هى الا بعض النماذج من المنزلقات التى تخلقها الظروف وتعين على تشويه الحقيقة . نعم ، ان العقل الانسانى بصورة عامة ، يتميز بأنه :

1 ـ يفكر حتى يصل الى الحقيقة .

2 ـ يتصور الحقيقة عقليا اذا لم يصل اليها .

3 ـ يتخيل بعض الصور والظواهر ويسجلها كحقيقة .

4 ـ يخلق من نسج خياله عن قصد ، احداثا يقدمها كحقيقة او يخلط الواقع بما أنشأه من مرويات لا اصل لها .

ويتميز العالم بأنه فضلا عن كونه يفكر ، فهو يلاحظ ويستخدم كل وسائل النفى او الاثبات التى يمكن أن تصل اليها يده . وهذا تماما وضع المؤرخ أى الذى يدون الاحداث ويبحث ظواهرها وبواطنها ثم يخرج منها بصورة عامة ودقيقة . فاذا كان الوصول الى الحقيقة التاريخية يتطلب من المؤرخ كل هذا الجهد ، فهو أبعد ما يكون عن الخيال والتصورات السهلة .

وحيث انه لا يوجد فصل نهائى بين العلوم والمعارف ولن يكون كذلك ابدا ، فان الحدث التاريخى صحيحا أو ظنيا قد يعثر عليه فى غير مظان التاريخ. اى فى كتاب أدب أو اجتماع او اقتصاد أو غير ذلك من المصادر ، كما أن العكس صحيح بالنسبة للعلوم والفنون الاخرى . ولما كان الذين يحرفون التاريخ هم كالذين يحققونه من حيث انهم يبحثون جميعا عن الوسائل الممكنة للوصول الى الهدف المنشود ، فان الفئة الاولى هى التى تهمنا قبل أن نتعرف على ما يمكن ان تتخذه الفئة الثانية من طرق لعمل تاريخى هادف .

ويعمد أصحاب الفئة الاولى الى التحريف ، أو يساعدون عليه بوسائل مختلفة هذا ايضاح أهمها :

1 ـ الغموض :

1 ـ فى تاريخ الدول والاحداث والانظمة اكثر من مثال للغموض ، فبوادر الانبعاث الاوربى فى العصر الوسيط أصبح تحديد ظروفها الزمانية موضع جدل، فبعد أن كان من المقبول ارجاعها الى القرن الحادى عشر الميلادى ، اى ما يوافق القرن السادس الهجرى وهى الفترة التى بدأت المعارف الاسلامية فيه تأخذ طريقها الى العالم الغربى ، نشأت نظريات حديثة

متضاربة بعضها يرجع بهذا الانبعاث الى القرن العاشر م. وبعضها الى القرن التاسع م.

وبديهي أننا في كل هذه الاحوال بعيدون عن عصر النهضة العلمية الشاملة التي نشأت مباشرة اثر سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين في القرن 15 م وانتقال عدد كبير من مثقفيها الى ايطاليا حيث ساهموا هناك بوفير حظ في هذه النهضة.

ان تقدم مجتمع ما مرهون في كل حين بتطوره في ميادين العلم والتقنية والاقتصاد واثبات الشخصية السياسية، أي في كل هذه الميادين مجتمعة، وبالقياس الى العرب خلال القرون الوسطى، والى البيزنطيين في أوج حضارتهم وعزهم لم يحقق الغرب تقدما يذكر فيما بين قيام الاسلام ونهاية القرن الخامس عشر اى لمدة تناهز تسعة قرون. ولكن اذا راعينا بعض الجوانب الحضارية وبعض المجتمعات الغربية فيما قدمته من عطاء جزئي، فنحن في هذه الحال لا نتحدث عن الغرب ككل، ولا عن الحضارة كعطاء شامل. وهكذا فقد اظهر النرمنديون مثلا منذ القرن التاسع م. براعة كبيرة في النشاط العسكرى البحرى ولكنهم متاخرون في ميادين حضارية اخرى. وبرهن سكان انكلترا وحكامها عن تعشقهم المبكر للحكم الديموقراطي، ولكن التنمية الاجتماعية والاقتصادية ظلت جامدة او بعيدة عن التطور لقرون عديدة قبل القرن الخامس عشر، حتى ان سكان البلاد كانوا من القلة بحيث لا يمكنهم ضمان حمايتها ولا استغلال ثرواتها بكفاية.

واذا كان القصد من ابعاد الغرب تاريخيا عن المؤثرات الخارجية التي ساعدته على أن يخطو الى الامام سياسيا وحضاريا هو بالذات التنكر لهذه المؤثرات، فان هذا لا يمكن اعتباره خطأ فحسب، بل هو اسهام في تحريف التاريخ لا يعذر اصحابه بحسن نيتهم. وبالمقابل، لا يمكن لليابان مثلا ان تتنكر للغرب بجحدها لفضل الحضارة الغربية عليها، ولايمكن للعرب ولا الافارقة أن يتناسوا فضل التقنية الغربية الحديثة في تطور مجتمعاتهم والسير بها نحو غد أفضل، بقطع النظر عن انظمتها السياسية وتخلفها بالقياس الى الغرب.

أليس الغموض يكتنف بدرجة أولى تاريخ الهنود الحمر الذين لهم دور في ماضي القارة الامريكية ولهم معالم من حضارتهم الاصيلة ما تزال قائمة؟ هل سيعترف لهم في يوم ما بحقهم في أن يشغلوا مكانا عادلا من الدراسات العلمية الهادفة المتجردة، وأن يتصدر ماضيهم كل عمل تاريخي يدرس المجتمعات الاصيلة في هذه القارة؟

ولقد كان من عجائب التاريخ العربي ما نسب الى عبد الملك بن مروان وهو المعروف بمبادراته الكبرى في ميدان التعريب وغيره، من انه عندما انحاز اهل الشام الى عبد الله بن الزبير، منع عبد الملك الحج الى الكعبة، وبنى المسجد الاقصى وقبة الصخرة ببيت المقدس، وانتدب الناس الى الطواف حول الصخرة ونحر اضاحيهم هناك يوم العيد، وتولى اخوه عبد العزيز الوقوف بعرفة (؟) حيث يقول ابن تغري بردي في الجزء الاول من النجوم الزاهرة (ص 188) بهذا الشان ما نصه: «.. وصار اخوه عبدالعزيز ابن مروان صاحب مصر يعرف الناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة». فمثل هذا الحدث الخطير من شخصية عظمى كعبد العزيز بن مروان بحاجة الى تحقيق. وراويه ابن تغري وهو عالم تركى قديم لم يذكر مصدره. وقد اثبت في صفحة سابقة (186) أن عبد العزيز بن مروان أقام عرفة بمصر، وهو اول من فعل ذلك بها. واذا تأكدنا من تصرفات الحجاج بن يوسف حين قذف الكعبة بالمنجنيق من غير ان يحاكمه عبد الملك بن مروان على عمله هذا، ترجح لنا مدى الغضب الذى كان يثير نفس عبد الملك على المعارضين للحكم الاموى من أهل مكة والحجاز، وبالتالي وجدنا أن سياق الاحداث لا يسير لصالح عبد الملك، وبذلك تتقوى الحقيقة فيما رواه ابن تغري. ولكنها لا تثبت بصورة نهائية الا اذا استندنا الى مزيد من الشهادات وحاولنا ان نعود بمختلف الروايات الى اصلها الحقيقي ثم نتعرف على مدى نزاهة المصدر الاصلي، وليس القصد أن يبرأ عبد الملك ولكن أن يثبت ما له وما عليه. وهذه الدراسة تقف عند هذه الاشارة حتى لا تتحول بدورها الى بحث في حادث تاريخي.

2 ـ الايهام بقدرية الاحداث

اذا كان المومنون يتفقون في عامتهم على ان تصريف الاحداث في هذه الدنيا موكول الى القدرة الالهية فان تجريد الانسان من حرية الاختيار والارادة التي خصته بها القدرة الالهية نفسها امر يقع على تلك الطائفة

من المتدينين الذين اختاروا ان يتملصوا من مسؤولياتهم ويدعوا غيرهم من المومنين الى الانسياق معهم فى اختيارهم ، ومن عجب ان نظرية قدرية الاحداث التاريخية انما جاءت بها المسيحية فكست هذه الاحداث ثوبا من القصور الانسانى كان يحق بادنى بكثير مما حلى به الله بنى الانسان من قوة التفكير والاستعداد التلقائى لمواجهة الاخطار ، ومن ثم اتيح للهيمنة البابوية أن تلعب دورا كبيرا فى مصائر الشعوب قبل ان تنفصل السلطتان : الزمنية والروحية فى العالم المسيحى ، وبقدر ما نبذ التاريخ المسيحى لحقبة متطاولة ، ذلك التفكير الفلسفى الاغريقى الذى يجعل من الانسان أداة كبرى لتحريك الاحداث الانسانية على الرغم من تطفل الآلهة المتعددة على هذا التفكير بقدر ما جردت القوى الانسانية فى أعمال مؤرخى الاسلام من ارتباطاتها الوثيقة بالنتائج السلبية للاحداث ، ولكأن الذين سكتوا للمقدور من رجالات التاريخ الاسلامى فيما رووه عن هزيمة العقاب التى دحر فيها الجيش الموحدى بالاندلس ، وعن سقوط صقلية فى يد النرمنديين واسترجاع الاسبان للاندلس ، نسوا العديد من آيات القرآن التى تحدد مسؤولية الانسان من حيث هو ، فى كل ما يقرره هو نفسه من أعمال : «ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين؟» . «ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها» . «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره». الى غيرها من الآيات ذات الحكمة العميقة .

وهكذا نرى ان مجرى الاحداث فى التاريخ المسيحى أولا ، ثم فى التاريخ الاسلامى ثانيا ، قلما يخضع لنقد موضوعى يضع فى الاعتبار كل الظروف والملابسات بقدر ما ينظر الى أبعاد الحادث من أعلى ومن أدنى ، أى من حيث الاسباب العميقة والنتائج المرتبطة بالحادث ، فالنظرة الى التاريخ بهذا الاعتبار القدرى هى نظرة ازلية لا تعنى الفعل الانسانى من قريب ولا من بعيد ، وما من شك فى أن هناك أشياء كثيرة تسير بعكس الخطة المقررة . وأكثر من دولة اشتراكية أو رأسمالية فى العصر الحديث وضعت تخطيطات ثلاثية او خماسية أو غيرها على مدى معين، وجندت لها أكفأ اختصاصييها وخبرائها فطرأت عوائق حالت دون تطبيق التخطيط بالكيفية المرغوبة، والمسلم الذى لا يفهم من الحكمة المتداولة ، الانسان مسير لا مخير ، سوى كون الشخصية الانسانية مفقودة الارادة انما يخطىء فهم هذه الحكمة نفسها من حيث كونها تقتضى أن المرء يسير الى نتائج يجهلها مقدما، بينما حتمية الانسانية موجودة ولكن لا اختيار لصاحبها فى مصيرها . ومثلها كمثل من ركب سيارة بقصد أن يصل الى بيته بعد ساعة فاذا الطريق مقفل فلم يصل الا بعد ثلاث ساعات ، ولو كانت حتمية البطء مفهومة من قبل لدى السائق لاتخذ الاحتياط الكافى لحركته وهدفه . ورجل التاريخ لا يمكن بهذا المنطق الموزون أن يغفل عن تشخص الاحداث كما لو عاشها هو فعلا ويحتفظ للفعل الانسانى فيها بتلك الطاقة العقلية والارادية التى بها يخطىء الهدف أو يصيبه، ما لم تطرأ نتائج لم تكن طاقته الفكرية مع جهدها لتتوقعها .

واذا كان المؤرخ يعنى بقيمة الانسان فى توجيه الحدث، فهو يعنى من جهة ثانية بنهاية الحدث، ذلك أن لكل حدث نهاية أو هدفا ، والانسان بالطبع هو أداة تحريك الحدث ، بينما بلوغ الهدف كما نعلم ، ليس ضرورة بيد الانسان استمرارا .

فلننظر الى الرسم المبسط التالى :

(السهم هو الانسان فى حركته ، والنقطة هى الهدف والنهاية) .

نفس المعنى ، لكن السهم المنحرف هو حركة رجوع لوجود عراقيل امام الهدف ، وقد رمز الى العراقيل بعلامات اعتراض .

● نفس المعنى السابق لكن السهم هنا يتخطى العراقيل ويصل الى الهدف .

ولكى نجمل موضوع الرسم فهو عبارة عن حركة الحادث الانسانى الذى هو تماما مادة المؤرخ ، فهذه الحركة اما أن :

1 ـ تسير نحو هدفها الذى قرره الانسان بفعله الارادى من غير عائق .

2 ـ او تقف حيث تجد عراقيل لم تكن متوقعة أو لم يدخلها التفكير الانسانى فى حسابه او تجاوزت ارادته .

3 ـ أو تتخطى كل العراقيل حيث وجدت حلولا اضافية أو عاجلة لتخطيها وبلوغ المرمى .

فيتبين والحالة هذه ، أن الصنف الثاني تلعب فيه الظروف الفكرية دورا فائقا بالنسبة لوجهة نظر المؤرخ التقليدي الذي يرى حتى في الحالتين الاخريين أن الحادث الانساني قدر له أن يصل الى الهدف . وهذه النظرة الانهزامية الى الاحداث تتعارض بوضوح مع الآية القرآنية الكريمة : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى » .

ومهمة المؤرخ في جميع الاحوال ان :

1 ـ يحدد ظروف الحادث التاريخي زمانا ومكانا .
2 ـ يحدد نهاية الحادث بعد أن حدد مقدماته .
3 ـ يمنطق نهاية الحادث وآثاره على أحداث اخرى

وبالطبع ، فان معوقات الوصول الى الهدف ، والتي أشير اليها في الرسم السابق ينبغي ان تكون موضع مناقشة عميقة معززة بالبراهين ، وكل هـذا يجمع المؤرخ المتمسك بالدين مع المؤرخ الذي لا يحكم الا العلم والعقل ، حول مائدة واحدة ، بصرف النظر عن تفكير كل منهما داخل هذا الاطار .

3 ـ الكذب والتزوير :

هل من حاجة الى التاكيد أن جزءا كبيرا من مرويات التاريخ ولا سيما ما تقادم عليه العهد او افتقدت الحجج المقنعة لاثباته كحقائق ، انما هو مزيج من الصدق والكذب، ومن الثابت والمزور، اذا لم يكن كذبا فقط، أو زورا فقط ؟ فمن الكذب مثلا، أن نعتبر ديموقراطية الحكم الروماني في أزهى عصوره نموذجا تاريخيا لديموقراطية الشعوب لان الطبقية في هذا الحكم كانت اشنع منها في دول اخرى ، ومن الكذب ايضا ما نسب الى عبد الحميد العثماني من تنازل عن الحقوق الشرعية لسكان فلسطين ، لصالح الآفاقيين من اليهود ، وهـذا ما برأته منه شواهد ثابتة، لان الصهيونية كانت تناهض الحكم العثماني الذي لم يكن في الواقع بريئا من المساوىء لا سيما في المشرق الذي خضع لسلطته. ولقد مزجت الدعاية الصهيونية ايضا ، الحقيقة بالبهتان فيما أغرقت به سمعة عبد الحميد هذا من تشويه في سلوكه ، ولم تعمد الدولة التركية الى رد الاعتبار لهذا الرجل الا مؤخرا فكشفت من الحجب عن حقيقته ما كانت الصهيونية بوسائلها الجهنمية تحرص على اخفائه. وانما يهمنا هنا الموقف السياسي في حياة هذا الداهل، أما حياته الداخلية فليست مما يعنينا في حد ذاته .

ومما تفاخر بعض المصادر الغربية أن الفضل يرجع الى الغرب في تحرير الانسان من الرق في العصر الحديث . ولعل هذا صحيح الى حد ما من جهة المبدأ ، اما من حيث الغاية ، فما كان تحرير الزنوج في افريقيا هدفا لذاته ، وانما كان وسيلة لادماجهم في بوتقة المسيحية حتى يكونوا في خدمة الانسان الغربي وأهدافه . وهل من حاجة الى اثبات أن مغامرة ولفنجستون في مجاهل افريقيا انما كانت بالذات لهذه الغاية ؟

وهكذا يتضح أن معظم الايديولوجيات القديمة والحديثة تنطلق ظاهريا من المبادىء النبيلة ، ولكن غاياتها الخفية كثيرا ما تتناقض مع ما بنته من مبادىء لانها تؤطر فئات لا تومن كلها في صميمها بنفس الافكار ، حتى أن اتباع الايديولوجية أخرى تأطروا فيها من قبل، فتجتمع المتناقضات داخل نفس الجماعة المنطلقة مبدئيا من نفس الاتجاه ، وحينئذ ، فان الديموقراطية الغربية كممارسة لا يمكن قبولها كحقيقة ثابتة تاريخيا الا باعتبارها حالات زمانية ومكانية معينة ، وهي فقط ، سلوك نسبي راق اذا قيس بأنظمة سياسية في جهات اخرى من العالم، ولكنها بعيدة عن التجرد المطلق الذي تتطلبه الديموقراطية المثالية بل هي تتناقض في مواقفها حسب الظروف ، ولكي يتجنب المؤرخ مزالق التحريف والكذب حتى لا ينساق مع اي فكر لا يخدم الحقيقة ، فليضع أمام عينيه أقرب مثال لتناقض الايديولوجيات فيما بين مبادئها وممارستها . وهذا المثال هو اعتراف أربع دول كبرى بحق اليهود في اقامة دولة وبضمان وجود هذه الدولة بالقوة ، في الوقت الذي قبلت فيه تشريد الشعب الفلسطيني واغتصاب ترابه لصالح مهاجرين من الآفاق. وبديهي أن ممارسة هذه الدول لايديولوجياتها قد اختلفت ولا تزال بحسب الظروف وتبعا لقوة التحدي والضغط الذي يمارسه الطرف الآخر .

ولتزوير النصوص والمعالم والافكار اكثر من شاهد في مدارج التاريخ . فلقد زور أكثر من حديث نبوي، ولنقل هنا «انتحل» اي نسب افتراء الى الرسول عليه السلام ، وكم سمعنا من حديث في فضائل مدن أحدثت بعد اجيال عديدة من وفاة الرسول وفي محاولة التفرقة بين العنصر العربي وغيره ، وفي

الاستهتار بشخصية المرأة وما الى ذلك مما تنقضه الاحاديث الصحيحة فضلا عن آيات القرآن. وحيث ان الاسلام لا ينفصل عن السياسة فى شىء وأن الحديث مصدر لتشريعه فقد وجد دعاة التفرقة والعنصرية ضالتهم فى نحل الاحاديث التى لا أصل لها ، أو التى لم يقطع بصحتها ، لان الاحاديث النبوية لم تدون فى وقتها لاسباب معروفة .

وعمدت دولة الموحدين وهى دولة عظمى فى تاريخ البحر المتوسط خلال العصر الوسيط الى طمس معالم الدولة المرابطية فى كل من تلمسان ومراكش حتى لا يثبت للمرابطين أثر ولو دينى يستحق الذكر ، وكانت دعوى التجسيم غطاء لحقيقة تاريخية لا سبيل الى تحريفها ، ذلك ان المرابطين انطلقوا من مذهب ثابت موحد ، مهما كان من عدم تفتحهم على الفكر الفلسفى ولا الفكر الحر. والغريب أن المرابطين وهم أيضا دولة ذات شأن وعطاء سياسى ودينى هدموا عشرات المدن والقرى فى ثورتهم العارمة على الزناتيين والبرغواطيين فضحوا بالتطور العمرانى والاجتماعى فى سبيل بناء عقيدة موحدة . ويجب أن يعترف التاريخ من غير تردد بأن فضل المرابطين على الوحدة المغربية سياسيا وعقائديا لا يزال يؤثر بعمق فى اقامة هذه الوحدة على الرغم من وجود افكار حديثة ومذاهب اقتصادية تأخذ بها الاجيال الصاعدة وتختلف غاياتها بناء وهدما ، وهكذا فان الثورة الاصلاحية الموحدية التى بذلت جهدا كبيرا فى اقناع الشعب المغربى بجمود الفقهاء الذين استندت اليهم الحركة المرابطية ، وهذا شىء لا سبيل الى انكاره بوجه عام، لا تستطيع أن تقنعنا بكونها حاولت أن تطفو بالشعب المسلم فى المغرب الكبير نحو تفتح أكبر ، الا بفضل التنظيم المحكم الذى شمل ميادين عديدة من الاصلاح والذى كان لابن تومرت اكبر نصيب فى اقامته، ومن ثم كان الموحدون فى غنى عن محاولة اخفاء معالم المرابطين التى كتب لها أن تنكشف تدريجيا خلال القرن الحالى والذى قبله على يد الاثريين .

وبالمقابل ، فنحن نجهل معظم الحقائق عن البرغواطيين وخوارج المغرب ، وليس بين يدينا فى جل الحالات الا ما يدين الاولين وما لا يغنى شيئا عن الاخيرين ، ولا سبيل الى اعتبار مصادر الادانة فى أية حالة كأحكام نهائية ، والانحراف العقائدى الذى اشتهر عن البرغواطيين لا يمنع من كونهم اسهموا فى حركة التعمير والنشاط الفكرى والاقتصادى .

وكنموذج للتعقل والنزاهة فى الحكم التاريخى، وبالتالى فى التزام الصدق وتجنب البهتان والافتراء، لا بأس من ايراد المثال التالى لمؤرخ حديث هو آلان دولان مؤلف كتاب «التاريخ العالمى» حيث يتحدث عن فيليب الثانى ملك اسبانيا الذى تولى تنصير بقايا الموريسكوس فى اسبانيا :

قال دولان : لقد اشتغل (فيليب الثانى) بأعمال الدولة باستمرار ، يساعده عدد من الشخصيات التى كانت ثقته فيها محدودة ، وعدة مجالس ، كمجلس قشتالة ، ومجلس أراغون، ومجلس الهند ، ومجلس البلاد الواطئة (هولندا) ، والمجلس الحربى ، الخ.. وكان حذرا عبوسا متعصبا ، حكم كملك مطلق ، وعمل على اقرار وتمتين الوفاق الاسبانى وكسر شوكة الزناديق ونصب نفسه بطلا للكاثوليكية) .

ففى هذا الوصف التاريخى الموجز والمركز تجتمع جملة من الحقائق التى يمثل بعضها ما هو لصالح الموصوف وبعضها الآخر ما ليس كذلك. وهذا هو ما يتعين أن نطلق عليه بموضوعية، الحقيقة التاريخية ، أى الصدق فى الاخبار بالمعرفة التاريخية سلبا وايجابا .

4 ـ أسطورية الاحداث :

ربما كان قليل من الناس يعلمون ان أصل العلوم الانسانية كان منطلقه من الاساطير والسحر ، بما فى ذلك الطب والفلك والهيئة . وهكذا كان الفلك عند البابليين والعبرانيين ، والطب فى مراحله الاولى عند الفراعنة ، فليس غريبا اذا ، أن يكون للادب حظ عظيم من الاساطير والخرافات التى أغنته لغة وخيالا ، كما أن أصل التاريخ أخبار تروى وقصص تحكى وتمتزج بالاوهام والمبالغات ، وقد تتحول أساطير تختلق اختلاقا اما بعضا أو كلا ، حتى ان تاريخ الاغريق وعرب الجاهلية وشعوب اخرى اذا جرد من الاساطير لا يبقى الا قليل منه مسايرا للمعلومات الثابتة التى تأكدت بطرق مختلفة : آثار فنية وعمرانية ، نقوش ، معلومات أوردها مفكرون بارزون ، الكتب المقدسة ، لا سيما القرآن .

والشعوب التى تناقلت معارفها بالطرق الشفوية هى شعوب ينقصها الوعى حتى ولو سبقت لها آثار مكتوبة ضاعت ، وحضارة متقدمة انهارت ، والشعب الواعى هو الذى يدون معارفه ونشاطه بأثبت الطرق الممكنة ، ولا ريب أن الكتابة أرقى الوسائل للتعبير وتدوين الفكر بالنظر لاستيعاب المعرفة المكتوبة وشموليتها ، غير أن عملية تدوين الاساطير فى بدايتها ما هى الا مرحلة انتقالية نحو النقد واعادة بناء المعرفة من أوثق الطرق، وانما يحتفظ الادب المكتوب وحده باحتضان الاساطير والخرافات كجزء لا يتجزأ من تفكير الشعب وتعبيره فى زمن ومكان معين ، بينما يظل التاريخ فى مرحلة بدائية طالما جعل من الاساطير مستنده ووثيقته .

على أن الشعوب ذات الخيال الخصب تتميز أكثر من غيرها بتداول الخرافات والاساطير وتظل متأثرة بها بشكل أو بآخر ، ولا تتحول نحو الفكر والعمل العقلى الا ببطء وتحت ضغط الظروف ، ومهما يكن من أمر ، فان التشبث بالخرافات والاساطير حيث يتعين النقد والتمحيص واستخدام العقل والاستقراء انما هو ضرب من التخلف الفكرى وانعدام الوعى العلمى .

ولقد استند التاريخ العربى فى مرحلة غير قصيرة من الزمن ، الى أساطير الجن والشياطين، ولا سيما ما يتعلق بالعصر الجاهلى ، حتى ان الازرقى فى «أخبار مكة» روى اشياء غريبة عن بعض الحيوانات التى تطوف بالكعبة (ج 2، ص 15) وأمثال ذلك مما لا يفيد فى شىء قدسية المكان . وحقا لقد تحدثت الكتب السماوية عن قصص الجن وأعمال الشياطين، وبالتالى عن كائنات غير انسانية ، لكن الصورة التى قدمت بها هذه القصص تختلف فى مضمونها عن الاساطير الشعبية الطافحة بالاهوال . والقصص السماوية يدخل بحث موضوعها الآن فى جملة من العلوم الموازية لعلم النفس وهى علوم تتناول الروحانيات وليس هذا مجال مناقشتها .

وفتح المجال التعبدى للديانات بابا واسعا للاساطير والكرامات المتناهية فى الغرابة لدى طبقات من الرهبان والاحبار والفقراء من كل نحلة ودين ، حتى لقد أعطيت لكثير من الاحداث السياسية والطبيعية تفسيرات ذات صلة بهذه الكرامات والخوارق ، واذا كان ثمة ظواهر غير عادية فى حياة عدد من الاتقياء والمتدينين فان غياب الوعى لدى الطبقات الشعبية يجعلها تومن بكل ما يروى وتقبله حقائق مسلمة ، ولحسن الحظ ، فان الاحداث البارزة فى التاريخ قلما تؤثر فيها الاساطير بنفس العمق الذى تؤثر به فى الاحداث العادية .

وعلى الرغم من أن أى دين سماوى لا بد فيه من درجة من الايمان الـ..دنى بجملة من شعائره وشرائعه فان هذا لا يسمح بحشوه بالاساطير والتأويلات الخرافية . فهل ثبت تاريخيا مثلا ، أن آدم عليه السلام مر بقبة الصخرة فوطئت قدمه المكان فاذا أثر هذه القدم الى اليوم ؟ وقيل ان أثر القدم لابراهيم الخليل ، كما قيل غير ذلك، وهل الهزائم العسكرية والفتوحات الحربية تتم ارضاء لرغبة ولى أو راهب وما اكثر الكرامات التى تروى فى هذا الباب ؟ وهل مناجاة جان دارك للملائكة فى ثورتها ضد البريطانيين مما يدخل بحق فى نطاق الاحداث التاريخية ؟

ان استسلام المؤرخ للاساطير مهما كان من درجة ايمانه الدينى لا يساعد فى الواقع الا على تحريف الحقائق وتغطيتها أحيانا بالزيف من حيث لا يشعر ، وهو على أى حال مطالب بالتحرى والتأنى فى استقرائه واستنتاجه . وبالمقابل ، وكما سبقت الاشارة الى ذلك ، فان للعديد من الاساطير اصلا من الحقيقة . ومهمة المؤرخ أن يتولى تمييز الحقيقة من غيرها ، وهذا ليس بالهين اذا انعدمت مقاييس التحقيق ولم تتوفر الشواهد ، ولذلك لا يسع المؤرخ فى كثير من الاحيان الا ان يفترض ويقدر الاحتمالات ، ولكن هذا باب لا يولج الا عند العجز واليأس ، وللظواهر غير العادية نظائر فى العصر الحديث عالجها العلم أو وقف بدوره عاجزا عن تفسيرها ، فما كان من الظواهر مشابها لمثيله فى الماضى ، فالاشكال يرتفع بالقياس ، وما لم يوجد له نظير الآن ، فان على المؤرخ أن يتحرى الحقيقة قبل أن يسقط فى الترهات .

5 ـ عدم الموازنة بين دور الافراد ودور الجماعات

هل للفرد دور ما فى صنع التاريخ ؟ ان الجواب بالايجاب ترفضه النظرية المادية للتاريخ بصفة عامة، لان الجماعة هى التى تحرك الاحداث المرتبطة بالجماعة نفسها فى مفهوم هذه النظرية ، غير انه لا يمكن انكار الدور الكبير الذى يقوم به أفراد هم عادة أقلية متناهية فى المجتمع فى توجيه الاحداث

الجماعية . واذا جرد الافراد من هذا الصنف من قيمتهم الممتازة فى التفكير والتدبير والخلق والابداع وبالتالى من التأثير على الجماعة ، فلا بد والحالة هذه ، أن نحذف من التاريخ أسماء وأعمال أمثال قادة معروفين كحانيبعل وخالد بن الوليد وماو تسى تونغ ، وعباقرة الفكر البارزين كأرسطو والفارابى ومونتيسكو. وبنفس الطريقة يجب أن نحذف من لائحة المنوه بهم كلا من ماركس ولينين وصن يات صن. كذلك فسيكون من التناقض ان لا تكون مسؤولية عدد من الافراد محددة فى غير الجرائم والاخطاء كما هو الشأن فى نيرون وهتلر والحجاج ابن يوسف ، وأن لا يكون الافراد المتفوقين تفكيرا وشخصية فضل ما فى تقدم المجتمعات وتطويرها.

من يدفع الفرد الذكى الى الخلق والابداع، والعمل لصالح الجماعة ؟ هو من جهة ، ذكاؤه وخبراته الخاصة ، ومن جهة ثانية ، ظروف الجماعة التى يتعامل معها ويعمل من أجلها. فالجماعة دافع لا ريب فيه، وهى دافع سلبى وايجابى ، بمعنى أن ظروفها السيئة تحمل قلة ما من أفرادها على العمل لانقاذها او تطويرها نحو مركز أفضل ، ويتميز من بين الافراد فى النهاية واحد بنبوغ يفوق نبوغ زملائه أو تساعده الظروف على السيطرة والامساك بزمام القيادة .

وكذلك تعمل الجماعة التى بلغت درجة كبيرة من الوعى على أن تخلق الظروف الملائمة لرعاية العبقريات والذكاءات الفردية التى لن تلبث أن تقوم فى النهاية بأعمال جلى لصالح الجماعة ، وقد تكتفى الجماعة بأن تعطى ثقتها لافراد معينين، من تلقاء نفسها فيبرهن هؤلاء الافراد عن حنكة قد تبلغ حدا كبيرا من الايجابية .

ومن الواضح أن الفرد يحتاج الى الجماعة بالدرجة الاولى ، لكن الجماعة لا يمكن أن تسير بغير قيادة ولو جماعية يكون لافراد معينين فيها دور خاص يفوق دور الآخرين . وهكذا فالتفاعل بين الفرد والجماعة عملية لا بد منها لخلق مجتمع متماسك، والا انعزل كل منهما عن الآخر فتفقد الجماعة كفاءة الفرد ويفقد هذا سند الجماعة .

لكن مؤرخى العصور الماضية قلما احسنوا التمييز بين طموح الافراد وطموح الجماعات ولا بين مردود هؤلاء ومردود اولئك ، وانساق مؤرخو الغرب على سبيل المثال فى أخبار تافهة أو ثانوية عن القادة : أشياء ترتبط بسلوكهم الشخصى وحياتهم الداخلية ومظاهر من الحياة العامة تعنى قلة ولا تعنى اغلبية الجماهير ، وغذى الادب أعمال هؤلاء المؤرخين بكل شاذة وفاذة عن الجوانب الخاصة من حياة هؤلاء القادة . وبينهم من قاموا بعمل كبير فى نشر المعرفة وتنشيط الحركة الاقتصادية وخدمة الحضارة، ولكن المجتمع العربى الاسلامى وتطلعاته ومدى استجابته واستفادته من التدابير التى تتخذ على الصعيد العام لم ينل عناية تذكر من أعمال المؤرخين، وحتى أعمال القادة المصلحين فى هذا المجال وهم قلة ، لا تنال من الاهتمام الا كلمات او جملا تضيع فى ثنايا الاحداث السياسية والحروب والمواجهات. ومن أجل ذلك نتطلع الى معرفة ما كان يجرى ولو ببعض التفصيل فى الاسواق العربية من نشاط وما يتخذ من تدابير تنظيمية فى البوادى والمدن، وكيف كانت تحل مشكلات السكنى فى المراكز الحضرية وحتى أنواع المساكن الشعبية ، الى غير ذلك مما نعرف عنه اكثر بكثير فى نطاق الحضارة المصرية وحتى عند الرومان وأمم أخرى ، فننتهى الى فراغ مخيف فى كل هذه المجالات التى تجاوزت نطاق الحروب والفتوحات والانتصارات والهزائم . فالتاريخ العربى والحالة هذه ، متخلف الى حد يدعو الى الاستغراب ، بالقياس الى التقدم العربى فى الفلسفة وفى تدوين اللغة والطب ومعارف أخرى ، ويجب أن نستثنى مقدمة ابن خلدون من الحساب ، فهى العمل العربى الوحيد الذى تمكن حتى فترة التاريخ المعاصر من دراسة النفسية العربية فى اطارها الاجتماعى على الرغم من أن القسم الاكبر من المحيط العربى الذى تناولته المقدمة ينحصر فى اطار المغرب الكبير والقبائل الهلالية التى هاجرت اليه .

نعم، ان التاريخ الاسلامى وليس فحسب، التاريخ العربى، ظل أمد اطويلا تطبعه الروح الاوليغارشية التى انبثقت فى هذا المجتمع الكبير من الروح القبلية اصلا ، فقبل آلاف من السنين كان العرب قبائل وأسرا ، وليسوا مجتمعا متماسكا بالمعنى السليم . وجاء الاسلام فلم تمح به الروح القبلية، ولم يختف عداء الاسر البورجوازية فيما بينها، ولا محل هنا لاعادة ما حدث من نزاع فتاك بين القيسية والمضرية فى كل من الشام والاندلس ، ولا بين أسرة عبد الله بن الزبير وأسرة بنى أمية ، ولا بين

هذه وبين العلويين ، ولا بين هؤلاء وبين العباسيين، وكذلك نجد الاسر تلعب دورها داخل المدن وفي البوادي ، تتصارع على السلطة وينتصر كل منها لمذهب يحتمي به ويذود عنه . وهكذا فان فسيفساء المذاهب التي عرفتها الجماهير الاسلامية تعكس في عامتها والى حد كبير التمزق القبلي والانقسام الاجتماعي في صفوفها . فخوارج المغرب الكبير هم في أغلبيتهم الساحقة من زناتة. ومعظم خوارج جزيرة العرب من شرقيها حيث حرم السكان من امتيازات القبائل الاخرى ولا سيما قريش التي تنعم بالحظوة المادية والمعنوية ، والفرس يدخلون الى السلطة من بابها الواسع في العصر العباسي فتدخل معهم مذاهب تساير تحررهم أو ميولهم الكسروية كالاعتزال والتشيع في صوره المتطرفة فضلا عن أشكاله المعتدلة . والامثلة أكثر من أن تحصر.

ولما ألفت كتب التاريخ الاولى كانت أخبار قبائل: أخبار باهلة، مثالب باهلة، اخبار قريش، أخبار بني كلاب الخ..

ولا يزال للتفكير القبلي والتأثير الاسروي دور ملحوظ حتى الآن فيما يصدر من بعض كتب التاريخ في البلاد العربية ، فهناك العديد من تواريخ المدن وتواريخ عدد من القبائل كتبت في جملتها بطريقة الجمع والتدوين والاخبار ، وقليل منها يأتي بدراسة مصممة ومفصلة للجوانب العمارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وقد يكتب بعضها بدافع العطف وتوفر الوثائق وليس بدافع الكراهية للمجتمع أو الاطار الجغرافي الذي ينتمي اليه هذا الصنف من المؤرخين .

وعندما كتب ابن خلدون كتابه في التاريخ عالج العرب والبربر قبائل لانه لم يكن يسعه ان يتملص من حقيقة وتجربة مشهودة . فقد كانت بيعات هؤلاء وأولئك الى الملوك توجه باسم القبائل ، أي أن لكل قبيلة شخصيتها الاجتماعية والسياسية والجغرافية ولذلك لن ندهش اذا علمنا أن حكم المرابطين مثلا انتهى الى الجزائر العاصمة شرقا بينما هناك منطقة توكورت البعيدة جدا في شرقي الجزائر تبعث بيعتها اليهم . وكذلك عندما يحكم الحفصيون منطقة ليبيا فهناك مراكز كثيرة بها لا تعترف بحكمهم وتتشبث باستقلالها . وفي كل المثالين يتعلق الامر بقبائل عربية وبربرية .

فالتاريخ العربي قد اهتم ببعض المجتمعات الصغرى التي ليس لها شخصية متميزة عن باقي المجتمع أي دور خاص في المجالات القومية الاسلامية ، ومع ذلك، فهذا الاهتمام محدود الجوانب: ان الصراعات التي لا تنتهي هي طابعه الاساسي، ثم نفتقد بعد ذلك معظم اسس التاريخ الخاصة بهذه المجتمعات الصغرى .

وبالمقابل ، هناك حركات ذات أهمية لم يلتفت اليها التاريخ على العموم الا من حيث كونها حركات دموية من غير أن يعالج ظروف ثورتها ولا ان ينظر في أخطاء الذين أدوا الى نشوبها ، أي بالاضافة الى وجود عداوة طرفين ، حاكم ومحكوم ، هناك عداء يناصبه مؤرخون ، الحدث التاريخي نفسه . وكل حركة نصت على مبدأ أو لغير مبدأ ، فهي تمثل شكلا من أشكال الصراع الطبقي الذي هو حتمي في التاريخ ولن يتوقف قط . وفي الواقع لا يكون الصراع بناء الا اذا انطلق من مبدأين متعارضين أحدهما أصلح من الآخر باعتبار ظروف الزمان والمكان ، أو أحدهما يصلح بكيفية جذرية أخطاء الآخر . أما اذا انتصرت الفوضوية أو الفاشية أو الافكار المتزمتة فان الصراع لا يكون بناء بانتصار الفريق المسيطر من هذا الصنف

وانما يهمنا هنا أن نلاحظ أن المؤرخ الحديث ينبغي أن يحتاط في الحكم على الصراعات الطبقية من كل صنف . فاذا كان لحركة الزنج مثلا من أبعاد جماهيرية ايجابية ، بحكم أن المؤرخين اتفقوا على أهم الاسباب التي أدت اليها وأنها كانت تهدف الى تحقيق عدالة اجتماعية لصالح هذه الفئة ضمن الجماهير، فان الفاشية التي سيطرت بالقوة على الحكم في ايطاليا وأصبح زعيمها وحده بسرعة مصدر السلطان كلها لا يمكن اعتبارها حركة بناءة ، وقد كانت تعد الاطفال الصغار ليكونوا أعداء لمن لا يومنون بالفاشية وفتكت بعشرات الزعماء والمناضلين المناهضين .

وكذلك فان ثورة بوحمارة بالمغرب في أوائل القرن العشرين لا يمكن اعتبارها ثورة اصلاح لسبب بسيط ، هو ان قائدها تنازل عن معادن الحديد بالشمال لاسبانيا مقابل أن تمده بالسلاح ، ولذلك واجه المعارضة ثم المقاومة من طرف سكان المنطقة نفسها ، وبمعنى آخر ، فان هذا الصراع الطبقي حتى مع نشأته في ظروف سيئة بالمغرب افتقر الى المبدأ الوطني اللازم لاقناع السكان بشرعيته وقيمته.

وكذلك يختلف الامر كليا بالنسبة لحركة عبد الكريم الريفي التي قامت ضد السيطرة الاستعمارية .حقا ان حركة بوحمارة لم تنجح ، وكذلك حركة عبد الكريم، ولكن هذه أثرت بقوة على مستقبل حركة المقاومـــة ليس فقط داخل المغرب، بل وخارجه أيضا. وكذلك نرى مرة أخرى أنه لا يمكن الاستهانة بما لعــدد من الافراد من مسؤولية وتاثير قوي في سير أحداث التاريخ سلبا وايجابا حينمـا يصلـون الى مستـوى القيادة .

ومن أجل ذلك يتعين على المؤرخ أن يوازن بيـن دور الجماعة ودور الافراد الذين يتولون قيادتها بأية صفة فيعطى لكل ذى حق حقه، اى يحدد مسؤولياته ومظاهر نشاطه وابداعه او تهاونه وعجزه .

والآن وقد حددنا جملة من مظاهر وأساليب تحريف التاريخ وهى كثيرة ، يحسن الانـتقال فى الدراسة الآتيـة الى منهجية التاريـخ كمساهمة فى عــلاج البحث التاريخى لا من الوجهة الشكليـة ولكن من الوجهة الموضوعية .

ابراهيم حركات





— 1 —

سألني صحفي قبل ايام : «هل تعاني مشاكل من تصرفات اولادك ؟ فاجبته : « مشاكل ! ولماذا اعاني المشاكل منهم» ؟

واستغرب الصحفي من جوابي ، وسرد على ما يعانيه الابوان من تصرفات اولادهم ، وقص على امثلة من تمرد النشىء الجديد على ابويهم ، ثم ذكر ان السيطرة على المراهقين والمراهقات بخاصة والشباب والشابات بعامة صعبة جدا ، وان الوالدين فقدا السيطرة على ذريتهما من الجيل الجديد !

ولم اكن بحاجة الى سرد تلك الامثلة وسماع تلك القصص وضرب تلك الامثال ، لانني اعرف ما يعرف واسمع ما يسمع وارى ما يرى . ولكني اختلفت معه فى شىء واحد ، فقد صب اللوم كله على الاولاد ، وزعم ان الابوين لا يستطيعان ان يفعلا شيئا لاستعادة سيطرتهما على اولادهما. اما انا فصببت اللوم كله على الابوين، وذكرت له كيف يستطيع الابوان فرض سيطرتهما على اولادهما بسهولة ويسر ولمصلحة الاولاد بالدرجة الاولى ومصلحة الاسرة بالدرجة الثانية

لم اصب اللوم كله على الابوين عبثا ، فقد درست حالات كثيرة عن علاقة الاولاد بالابوين ، فوجدت ان الوالدين يجنيان غرس ايديهما ، فلو احسنا لاحسن اولادهما ، ولكنهما اساءا التربية او قصرا فيها او اهملاها اعتمادا على غيرهما من الناس او المدارس، فكانت النتيجة وبالا عليهما وعلى اولادهما على حد سواء .

وسأتحدث هنا عن تجاربي العملية فى تربية الاطفال وتوجيه الشباب ، مستمدا هذه التجارب من تربيتي الاولى حين كنت طفلا ثم ترعرعت فاصبحت شابا ، ومن اسلوب تربية اولادى ضمن نطاق اسرتي ، ومن توجيه الشباب فى الجيش حين كنت اعمل فيه .

تلك ثلاثة مصادر لتجاربي العملية فى التربية : الاولى متعلما من الذين سهروا الليالي الطوال على تربيتي فى البيت والمدرسة والكلية ، والتى كان من ثمراتها ان اصبح كما يعرف الناس متمسكا بديني ، مدافعا عن عقيدتي ، محبا للعلم ، مقدرا للعلماء ، مطيعا لوالدي الى ابعد الحدود .

والثانية معلما فى مجالين : مجال عائلتي الصغيرة التى هي اسرتي ، ومجال عائلتي الكبيرة ، التى هى الجيش ، وكان من ثمراتها تربية اطفالى ليطيعوا نتيجة للاقتناع لا للقسر وللثقة لا للخوف .

والثالثة معلما ايضا فى الجيش ، لان من جملة واجبات الضباط القاء المحاضرات الثقافية والتهذيبية والعسكرية ، وتربية الجنود وضباط الصف تربية سليمة ليكونوا عناصر مفيدة فى الجيش وفى الحياة المدنية على حد سواء

وكم اتمنى ان يقرا هذا المقال كل عربي من المحيط الى الخليج، وكل مسلم من المحيط الى المحيط،ويتدبر معانيه،ليعمل به مستفيدا من تجاربي العملية وخبرتي الطويلة اذا اقتنع بها اقتناعا كاملا ، فاذا لم يقتنع فيسرني ان يبدى رايه لاستفيد ويستفيد غيرى من تجاربه . المهم ان نجد الطريق السوى فنسلكه جميعا لننقذ اطفالنا وشبابنا من الضياع ، اذ لست متفائلا ولا اظن غيرى من الذين يحرصون على حاضر الشعب العربي والامة الاسلامية ومستقبلها متفائلا، وهويرى ابناءنا وبناتنا يبتعدون بسرعة مذهلة عن تعاليم الدين الحنيف والمثل العليا ، وينحدرون بسرعة خاطفة الى مهاوى الانحلال والتفسخ ، حتى اصبح التماسك العائلى مهددا بالزوال ، واصبح الرباط

بين افراد العائلة رباطا مصلحيا والمفروض ان يكون رباط مودة ورحمة وزحم .

ومن الصدف ان أشاهد ندوة فى الاذاعة المرئية طالب فيها قسم من النساء بحقوقهن ، وزعمن انهن مظلومات بالنسبة للرجال ، وانهن يردن المساواة الكاملة بالرجل . وكنت قبل ان اشاهد هذه الندوة اعتقد ان المساواة التي تطالب بها النساء تقتصر على حقوق التعلم وتسنم المناصب الحكومية وممارسة الاعمال الحرة والمهن التي يمارسها الرجال ، ولكنني بعد مشاهدة هذه الندوة فهمت معنى المساواة، فقد قالت احدى المشاركات فى الندوة : «لماذا يسمح لاخي بالخروج من الدار فى وقت ولاية جهة دون رقيب او حساب ولا يسمح لى » ؟ ثم قالت : « لماذا لايحاسب اخي حين يمكث حتى الهزيع الاخير من الليل خارج الدار واحاسب انا ؟ ما هو الفرق بيني وبين أخي حتى احاسب ولا يحاسب » ؟ !

حينذاك فقط فهمت معنى المساواة على حقيقتها ، وفهمت معنى شعار : حرية المراة ، التي دابن وداب قسم من اشباه الرجال على ترديده بمناسبة وبدون مناسبة .

وهكذا تكون المساواة، وهكذا تكون الحرية، والا فلا! ان محاسبة الابوين للاولاد على تصرفاتهم الخاطئة ضروري للغاية ، والابوان اللذان لا يحاسبان الذكور على تصرفاتهم الشاذة يفسحان المجال للاناث بالمطالبة بمثل هذه المساواة وهذه الحرية .

وليس من مصلحة الذكور والاناث السهر خارج الدار الى وقت متاخر من الليل فى اماكن مشبوهة او مع رفاق السوء ، فلا بد من وضع الامور فى نصابها، والافالابوان مقصران فى صميم واجباتهما الابوية .

— 2 —

واذا كانت التربية السليمة التي تؤدي الى « بناء الرجال والنساء » ضرورية لكل مجتمع فى كل زمان ومكان فان هذه التربية السليمة اصبحت قضية حياة او موت بالنسبة للعرب والمسلمين فى هذا الوقت بالذات؛ لان اشاعة التحلل الخلقي والفساد والترف والابتعاد عن تعاليم الدين الحنيف لايخدم احدا كما يخدم اسرائيل واعداء العرب والمسلمين ، اذ ان الملوث جنسيا او الملوث جيبيا لا يمكن ان يقاتل كما يقاتل الرجال .

فكيف نربى الاطفال ، وكيف نوجه الشباب ؟

وأبادر الى ابراز اهمية « المثال الشخصي »

فى التربية والتوجية ، فاذا كان المربي او الموجه مستقيما : يطبق ما يامر به غيره على نفسه اولا ، ويلتزم بما يقوله التزاما صارما ، ويفعل ما يقوله ، فانه ينجح فى تربيته وتوجيهه نجاحا باهرا ؛ ويطبع اطفاله فى البيت وتلامذته فى المدرسة وطلابه فى الجامعة بطابعه المتميز ، ويكون قدوة حسنة لهم يقتدون به ويقتفون آثاره ويسيرون على هديه ، ويكون مثلا اعلى لهم فى حياتهم الخاصة والعامة .

مثل هذا المربي اوالموجه ، يبنى الرجال والنساء ويفيد دينه وامته ووطنه ، وترفع على اكتافه صروح الحاضر والمستقبل على هدى وبصيرة .

اما اذا كان المربي او الموجه منحرفا ، لا يطبق ما يامر به غيره على نفسه اولا ، ولايلتزم بما يقوله التزاما كاملا ، ويقول ما لايفعل ، فانه يخفق فى تربيته وتوجيهه اخفاقا تاما ، ويطبع اطفاله فى البيت وتلامذته فى المدرسة وطلابه فى الجامعة بطابعه المنحرف ، ويكون قدوةسيئة لهم ، يقتدون به فى النفاق ، ويقتفون آثاره فى التلون ، ويسيرون على نهجه فى التذبذب ، ويكون مثلا ادنى لهم فى حياتهم الخاصة والعامة .

مثل هذا المربي او الموجه ، يحطم الرجال والنساء ، ويضر بدينه وامته ووطنه ، وتنهار على يديه اعمدة الحاضر والمستقبل ، وتحل به وبامثاله الكارثة على المصلحة العليا للبلاد .

ان واحدا من المربين او الموجهين ، يعمل بما يقول ، اكثر نفعا واعظم تأثيرا فى الاطفال والشباب من آلاف المربين او الموجهين الذين يقولون مالا يفعلون ، ولو كانوا من ابلغ الناس خطابا وبيانا اذ ان الكلام الذي لا يصبح عملا فى نفس صاحبه يبقى كلاما ولا يصح عملا فى نفوس الآخرين .

وشتان بين الاقوال والاعمال .

— 3 —

وابادر ايضا الى ابراز اهمية تطبيق تعاليم الدين الحنيف فى التربية والتوجيه ، وان يكون المربي او الموجه متمسكا بهذه التعاليم ، ليكون قدوة حسنة لاطفاله وتلاميذه وطلابه وجنوده وموظفيه وفلاحيه وعماله ، كل حسب واجبه ونطاق عمله : رب اسرة ،

اومعلما او مدرسا او استاذا او ضابطا او رئيسا فى دائرة حكومية او مزرعة او مصنع ... الخ ...

ان الدين الاسلامى بالاضافة الى تعاليمه فى العبادات ، منهج للحياة وطريق للعمل الصالح وسبيل الى الخير ، يتضمن تعاليم مفصلة تتصل بالعلاقات الفردية والجماعية ، والمعاملات بين الناس ، وهى تعاليم اخلاقية سامية ، فهو يامر بالعفة والحياء والامانة والصدق والاستقامة،والكرم والسخاء والصبر والشجاعة والاقدام والتقوى ، والقناعة والاجتهاد فى العمل والاتقان فيه ، والطهارة والنظافة والعدل ، والاحسان والمروءة والعفو ، والرحمة والشفقة وايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدين المعاملة ، وصدق عليه افضل الصلاة والسلام : (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .

هذا الدين العظيم ، يامر بالادب والرقة ، والتودد فى معاملة الناس ، والتوسط فى ازالة الخلافات بين الافراد والجماعات، والطاعة لاولي الامر ما اطاعوا الله ، واحترام الوالدين ، وينهى عن سوء الظن والغيبة والتجسس والنفاق ، والتولي يوم الزحف والفحشاء والمنكر ، والبغي ، وشرب الخمر ولعب الميسر ، واكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله .... الخ ....

ولو مضيت فى تعداد ما امر به الاسلام من مكارم الاخلاق وما نهى عنه من الرذائل ، لطال بى السرد ولخرجت عن صلب الموضوع .

فان كان الابوان يطبقان هذه التعاليم الاخلاقية الرائعة ، فانهما بدون شك يهيئان المناخ المناسب لتربية اطفالهما تربية سليمة صالحة موفقة .

وما يقال عن الابوين ، يقال عن المعلم والمدرس والاستاذ والضابط والمسئولين فى الدوائر الحكومية والمصانع والمزارع والنوادي والمساجد والمصالح الخاصة والعامة .

اما اذا كان الابوان بواد ، وتعاليم الدين الحنيف بواد آخر ، وكان المسؤولون عن توجيه الشباب والناس عامة كذلك ، فانهم لايؤدون واجباتهم كما ينبغى فى التربية والتوجيه ،لان فاقد الشىء لايعطيه ، وواقعنا المرير خير دليل على ما اقول .

وصدق امام المربين وسيد الموجهين رسول الرحمة ونبي الامة عليه أفضل الصلاة والسلام : « من خاف على عقبه وعقب عقبه ، فليتق الله » .

4

ان الآباء والامهات الذين يريدون ان يفرضوا سيطرتهم على اولادهم بعد ان شبوا عن الطوق ، دون ان يكلفوا انفسهم عناء تربيتهم تربية صالحة منذ ايام الطفولة يخفقون فى فرض سيطرتهم كل الاخفاق ، كما نلمس ونسمع ونشاهد اليوم ، حيث اصبحت السيطرة التامة بيد الاولاد على الابوين لا بيد الابوين على الاولاد ، مما ادى الى تصدع بناء الاسرة وحلول الكوارث الاخلاقية ، وارخاء العنان للاولاد طوعا او كرها .

ان ولد اليوم هو رجل المستقبل ، فيجب ان يكون الهدف من تربيته هو بناء المثل العليا فى نفسه لتكون طبيعة فيه ، حتى يتسنى له عندما يحين الوقت المناسب ان يؤثر فى الآخرين الى ما فيه الخير .

وهناك امر يجب الا نخطىء فيه ، وهو ان غرس اسس المثل العليا فى الطفل ، يجب ان يتم فى البيت وان التربية الاساسية يجب ان تبدأ هناك . هذه التربية هى التى تؤثر فى الطفل وتوجهه طيلة حياته ، اما الى الخير واما الى الشر . وعلى اسس التربية السليمة التي تقام فى البيت ، سيبني المعلم تربية الولد عندما يلتحق بالمدرسة ، فان لم تكن تلك الاسس قد غرست فى البيت من الابوين فى الطفل ، فلا يستطيع المعلم او اى شخص آخر ان يفعل شيئا فى تنمية التربية السليمة .

وما نسمعه اليوم عن « انحراف الاحداث » و « آثام الاحداث » ، سببه الرئيسي بدون شك هو اهمال الابوين فى تربية الطفل .

وتجربتي العملية تحملني على الاعتقاد بأن أسس التربية السليمة يجب ان تغرس فى الطفل من اول شعوره بالحياة وابتداء فهمه لما يجرى حوله من اعمال : يتساءل عنها تارة ، ويقلدها تارة اخرى . وبصورة عامة ، تبدا تربية الطفل عندما يصبح فى الثالثة من عمره ، فيرى والده يصلى مثلا فيسأله : ماذا تصنع ؟ ! فيقول الوالد : هذه صلاة لله . فيسال الطفل : ومن هو الله ؟ فيقول الوالد : الذى خلقنا والذى يرزقنا ، والذى يوفقنا فى الحياة ..

وبأسلوب بسيط يجري افهام الطفل عما يتساءل عنه ، وحينذاك سيصلي الطفل بدون متطلبات الصلاة وباى شكل ، لكنه بالتدريج يتعلم ما ينبغي ان يفعل فى الصلاة ، فيكون من واجب الوالد تشجيعه ماديا ومعنويا ، فلا يبلغ السابعة من عمره الا ويكون قد اتقن اقامة الصلاة ، تلك الصلاة التي بدا فى اقامتها تطبعا وتقليدا ، وبمرور الوقت اصبحت فيه طبعا وعقيدة .

وما يقال عن الصلاة ، يقال عن غيرها من اعمال البر والخير .

ان الطفل يجب ان يربى تربية تجعله يميز بين الخطأ والصواب ، ويتحلى بالصدق والاستقامة وحب الخير .

ولعل تعليمه الصلاة ، والصلاة عمود الدين ، بداية مباركة تعلمه بالتدريج كل خصال الفضيلة ، وكل فضائل الخصال .

ومن المناسب فى ايام الجمع والاعياد ، مرافقة الطفل الى المساجد للصلاة ، حتى يتعود ارتياد المساجد ، وحتى يتشرب بروح المسجد . وسيجد الطفل فى ارتياد المساجد نوعا من التسلية فى بداية الامر ، حتى اذا كبر اصبح ارتيادها محببا الى نفسه ، يجد فيها راحة وسلوى واطمئنانا وامنا .

وللمسجد فوائد للطفل والشاب ولغيرهما ايضا ، من هذه الفوائد ان يتعرف الطفل او الشاب بأصدقاء طيبين اخيار ، يفيدون ولا يضرون ، ويبنون ولا يهدمون .

5

ويسير الطفل الى جانب والده فى الطريق ، فيجدان فقيرا او محتاجا يسال الناس ويطلب المساعدة ، فيعطى الوالد شيئا من المال لولده ، ويأمره ان يقدم المال للفقير او المحتاج، ويسال الطفل أباه : لماذا ؟ فيقول : لا بد ان نساعد الفقراء والمحتاجين ، حتى لا يبقى اولادهم بدون طعام ولا ثياب . ثم يذكر الاب لطفله فوائد الصدقة ، وأن الله يبارك فى اموال المتصدقين ويدفع عنهم الضرر والعوز .

واذا طرق فقير او محتاج باب الدار، فان الابوين يقدمان للطفل نقودا ليقدمها بدوره الى الفقير او المحتاج ، ويعود الى ابويه فرحا مستبشرا. وبمرور الزمن ، يتعود الطفل مساعدة من يحتاج الى المساعدة من ماله الشخصى ، ويجد راحة نفسية فى ذلك.

وعلى المائدة يبدأ تناول الطعام باسم الله ، ويكرر ذلك على مسمع من الطفل ، حتى يتعلم الطفل ما يسمعه ، ويردد ما يردده ابوه وامه .

فاذا طرق الباب ضيف او فقير ، بادر الاب الى الترحيب بالضيف ودعوته الى تناول الطعام ، وتقديم كمية من الطعام الى الفقير .

من ذكريات الطفولة ، التى لا انساها ، أن جدتى لوالدى آثرت ان تبقى جائعة لتقدم طعامها الى ضيف قدم على غير ميعاد .

ومن ذكرياتى عنها انها قدمت طعامها الذى كانت تتناوله الى فقير طرق الباب ، وهى تقول فرحة مستبشرة : «سهمى فى الجنة» .

وجاءها مرة فقير ، فلم تجد ما تقدمه له ، فخلعت ثوبا وكسته به ، وحين عادت الى غرفتها لترتدى ثوبا آخر ، كانت مسرورة بعملها سرورا لا يوصف .

وكانت تردد كلما اكملت تناول الطعام : « اللهم أطعمتنى ، فأطعم كل فقير» .

تلك ذكريات قليلة مما كانت تفعله ، أثرت فى نفسى فى حينه ولا تزال تؤثر فى نفسى حتى اليوم.

ولكننى لم اكن ادرى يومها ، انها كانت تفعل ما تفعل ، بالاضافة الى ما كانت ترجوه من اجر وثواب من الله ، أنها كانت تلقننى دروسا عملية فى التربية، مكتفية بالتطبيق العملى حينا ، ومفسرة موضحة بالكلام البسيط بعض ما كان يخفى على من معان حينذاك .

والواقع ان هذه الجدة الامينة ، أثرت فى تربيتى بورعها وتقواها ، مالم يؤثره فى كبار العلماء من القدماء فى مؤلفاتهم ومن المحدثين فى تماسهم الشخصى بى تلميذا وطالبا وزميلا .

ومرة ثانية ، فان المثال الشخصى له اعظم الاثر فى التربية ، لانه عمل يصبح فى النفوس عملا، وليس كلاما لا يلبث ان يتلاشى .

— 6 —

واذا كان الابوان هما المثال الشخصى لاولادهما : يقلدهما الطفل حتى يعقل ، فاذا عقل اصبحا اسوة حسنة له ، يقتفى آثارهما ، ويسلك سلوكهما، ويرى ما يفعلانه حسنا فى نظره ورأيه، فان المعلم والمدرس فى المدرسة ، والاستاذ والمؤلف فى الجامعة ، وضابط الصف والضابط فى الجيش ، والرئيس المباشر فى العمل ، والشيخ فى الطرق الصوفية ، هم المثال الشخصى الذى يؤثرون فى التلميذ والطالب والجندى والعامل والفلاح والصوفى .. الخ ،،

والامة التى تريد ان تربى شبابها تربية مثالية ، عليها ان تعد المعلم والضابط اعدادا مثاليا ، فهما رأس كل خير ، كما انهما رأس كل بلاء ايضا .

انهما رأس كل خير ، اذا احسنا فى اداء واجبهما، وهما رأس كل بلاء اذ اساءا .

وقد كان وراء كل عظيم اب او ام عظيمة او ابوان عظيمان ربياه تربية صالحة ، او كان وراء هذا العظيم معلم عظيم او استاذ عظيم ضابطا كان او مدنيا .

وكل واحد منا ، اذا راجع نفسه ، يجد وراء كل خصاله الحميدة قدوة حسنة من اب او ام او معلم او استاذ ، او قريب او صديق .

وكل واحد منا ، اذا راجع نفسه ايضا ، يجد وراء كل رذيلة من رذائله قدوة سيئة من ام او اب او معلم او استاذ ، او قريب او صديق .

واذا كان لدى ما انصح به شباب اليوم فهو مطالبتهم بالاستقامة وعمل الخير ، والاستفادة من اوقاتهم فى العلم والتعلم ، والحرص على المصلحة العامة وايثارها على المصلحة الخاصة .

ان التربية المستمدة من تعاليم الدين الحنيف ، هى التى تيسر كل هذه الخصال .

المسلم الحق صادق لا يكذب ، نزيه لا يتلوث ، قوى لا يضعف ، امين لا يخون ، طاهر الذيل لا يزنى ، مخلص لا يراوغ ، كريم لا يبخل .

لا يخاف الموت ، ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوة فى الارض ، يقول الحق ولو على نفسه ، يسالم ولا يستسلم، ولا تضعف عزيمته الاراجيف والاشاعات ، لا يستكين للاستعمار الفكرى، ويقاوم الغزو الحضارى، ولا يقنط ابدا او ييأس من رحمة الله .

هذا المسلم الحق يقظ اشد اليقظة ، حذر اعظم الحذر ، يتأهب لعدوه ويعد العدة للقائه ولا يستهين به فى السلم او الحرب .

ان التربية الاسلامية تعد المسلم ليكون عنصرا مفيدا فى الامة الاسلامية من الناحيتين العسكرية والمدنية ، لذلك حمل المسلمون عندما كانوا مسلمين حقا للعالم حضارة عظيمة وكانوا فى الحرب لا يغلبون من قلة ابدا .

7

تلك لمحات مختصرة مما اراه ضروريا لاعادة بناء الرجال والنساء ، لعل فيها فائدة لاخوتى واخواتى من الآباء، والامهات ولاولادى وبناتى من الاطفال والشباب .

وألمح من بعيد قسما من القراء يقولون : هذه تربية قديمة ، ونحن بحاجة الى تربية جديدة .

وأفترض حسن النية فى هؤلاء المعترضين ، لان تربيتهم فى البيت والمدرسة والجامعة لم تكن كما يرام .

هذه التربية المنحرفة فى عقر دارها ، والمستوردة حسب مخطط مشبوه ، هى التى ادت الى انحراف الاحداث والشباب ، فاصبحوا يفكرون بانفسهم ولا يفكرون بغيرهم ، ويرون الحياة ، (مادة) بحتة تتركز فى البطن والجيب والفرج ، خالية من (الروح) بما فيها من سمو وخير وبركة .

هؤلاء الذين اصبحوا نتيجة لتربيتهم المنحرفة المشبوهة ، يعانون من مركب النقص تجاه التربية الغربية وعقدة مركب العظمة تجاه التربية الاسلامية .

ولهؤلاء وحدهم لا لغيرهم من الذين انعم الله عليهم بالايمان ، سيتركز حديثى عن آراء المشير مونتكومرى فى التربية التى سطرها فى كتابه الاخير: «السبيل الى القيادة» ، وهو آخر مؤلفاته بعد ان بلغ الثمانين أو اكثر .. لعل فى آرائه ما يقنعهم بوجهة نظرى ووجهة نظر السلف الصالح من علمائنا الابرار.

وأشهد اننى قارنت بين آراء مونتكمرى التربوية وآراء الامام الغزالى التربوية فى كتابه : «احياء علوم الدين» ، فوجدت آراء الغزالى عليه رضوان الله اكثر وأشمل تفصيلا وأدق بحثا وأوضح منهجا ، واقوم اسلوبا واقرب الى الواقع من آراء مونتكمري !

ولكن ما حيلتنا مع الذين استهوتهم شياطين الغرب، وبهرتهم مدنيته وحضارته ، واستحوذ عليهم الاستعمار الفكرى البغيض ؟ ؟ !!

كانت المسيرة الخضراء أعظم شريط حي شاهدته البشرية فى القرن العشرين .. أخرجه الملك الحسن الثاني من أعماق التاريخ الاسلامي ، وأروع بحث سوسيولوجي ميداني قام به لابراز خصائص المجتمع المغربي .

وكانت ثورة تحريرية شعبية ، اسلامية الفكر والعقيدة والقيم والشعارات ، اعادت الصحراء الى المغرب وموريطانيا قبل أن يعود متطوعوها الى بيوتهم .

خصائص ظاهرة الإستمرار في المجتمع الاسلامي المغربي من خلال المسيرة الخضراء

2

للدكتور ادريس الكتاني

(2)

2 ـ استمرار روح النظام والامتثال لاوامر الخليفة او السلطان :

بالرغم عن مظاهر الفتن والاضطرابات الداخلية التي عرفها المغرب فى فترات متقطعة من تاريخه ، وخاصة فى عصور التخلف الاخيرة ، والتي ترجع فى الحقيقة لسوء التنظيم الاداري ، وانتشار الجهل ، وقلة الرجال الاكفاء ، وسوء المواصلات ، وغيرها من العوامل التاريخية العابرة ، فان المجتمع المغربي مع ذلك ظل يحتفظ فى اعماقه بقيمة اسلامية اساسية لوجود أية دولة أو أمة ، هي قيمة الطاعة والامتثال لاوامر الخليفة او السلطان الحاكم ، فهذه القيمة ، فضلا عن كونها ضرورية من وجهة نظر علم الاجتماع، لضمان الامن والنظام والاستقرار للمجتمع ، فان الاسلام الح عليها ، بصفة خاصة ، لتساهم بدورها فى توحيد القبائل العربية والتحامها ، وتعويدها على تقديس العمل الجماعي ، والشعور بالروح الجماعية، وتجنب كل ما من شأنه ان يؤدي لصراع قبلي او طائفي ، يستثير العصبيات الجاهلية ، لنشر الفتنة والخلاف داخل المجتمع الاسلامي الجديد ، وهو المجتمع الذي قام على اساس وحدة الامة الاسلامية، ومحاربة كل عوامل التفرقة والخلاف .

ولدعم هذه القيمة ، وتركيزها فى عقيدة وسلوك المجتمع الاسلامي ، جاءت آيات كثيرة منها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تاويلا » .

وفى حديث رواه البخاري عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى من اميره شيئا فكرهه فليصبر ، فانه ليس احد يفارق

الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » . فهذا الحديث يبرز اهمية هدف الوحدة في بناء المجتمع الاسلامي ، فالخروج عن الجماعة الاسلامية بدعوى كراهية سلوك في اميرها ، ونشر الفتنة والشقاق في صفوفها ، أشد خطرا على الامة نفسها مما تكرهه من اميرها ، ومع ذلك ، فان قبول هذا المكروه مشروط بما لم يبلغ حد الامر بالمعصية ، فقد روى البخاري عن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

واذا نحن لاحظنا أثر قيمة الطاعة والامتثال للسلطان الحاكم المسلم في المجتمع المغربي ، وخاصة اذا كان من آل البيت النبوي الشريف ، بعد اربعة عشر قرنا من صدور الامر بها في القرآن والسنة النبوية ، فسنجد انها لا تزال مستمرة ، وذات فعالية كبيرة ، وانها كانت احد العناصر الرئيسية في نجاح المسيرة الخضراء ، وفي تحقيق هدفها السياسي الكبير وهو استرجاع الصحراء .

فلنلاحظ اولا ان جلالة الملك الحسن الثاني لم يصدر قانونا رسميا يجبر بمقتضاه فئات من الشعب، او عددا معينا منه ، على التطوع في المسيرة الخضراء، وانما دعا الشعب الى التطوع تلقائيا بواسطة خطاب عام في الاذاعة والتلفزة ، وحدد عدد المتطوعين في 350.000 ، فلبى نداءه ضعف هذا العدد ثلاث مرات في اقل من اسبوعين .

ولعل أخطر موقف لامتحان قيمة الطاعة والامتثال عند الشعب المغربي ، لا يتمثل في تطوع 350.000 مواطن ومواطنة ، وقطع مئات او آلاف الكيلومترات في الشاحنات والقطارات ، ثم الزحف الى الصحراء المحتلة مشيا على الاقدام ، بقدر ما يتمثل في الموقف المعاكس ، وهو امر هذه الجماهير الزاحفة بالتوقف نهائيا عن مواصلة سيرها الى مدينة العيون، بعد ما قطعت 30 كيلو مترا في قلب الصحراء ، ولم يبق لها الا نحو 50 كيلو مترا لهذه المدينة ، ثم امرها بعد ذلك بالعودة الى بيوتها مقابل وعد سياسي بأنها حققت هدفها ! ، انه لامر شاق جدا ان يتقبل الشعب المغربي عامة ، وفرق المتطوعين في مسيرة بهذا الحجم الضخم ، امرا بالرجوع من « نصف الطريق » في ساحة المعركة ، دون انتصار فعلي محقق ، او هزيمة محققة ، ومع ذلك فقد امتثل 350.000 مواطن ومواطنة لامر قائدهم الاعلى ، دون حدوث اضطرابات او فوضى او تمرد ! ، ان هذه الطاعة الفورية السليمة ، التي انقادت لها جماهير المتطوعين لا عن اقتناع باطني ، ورضى نفسي ، ولكن خضوعا للنظام العام ، ولتقاليد وقيم حضارتهم التي لم تكن وقتئذ محل مناقشة . هذه الطاعة لامير المؤمنين اذهلت الاعلام العالمي كله ، ولم يجد لها تفسيرا بالنسبة لمنطقه ومقاييسه وحضارته المادية، اذهلت 600 صحفي اجنبي جاءوا ليشاهدوا اغرب احداث التاريخ في القرن العشرين .

وفي طرفاية جرى الحوار التالي بين صحفي فرنسي كان يقيم في مخيمات هؤلاء الصحفيين ، والدكتور ابراهيم دسوقي اباظة :

— الصحفي الفرنسي : ارجو ان لا يكون قرار المسيرة من قبيل المغامرة ، والا ستكون العواقب خطيرة .

— الدكتور اباظة : لا أعتقد بأن هناك مجالا للمغامرات في اجراء سياسي من هذا النوع .. ان كل الخطوات التي اتخذت حتى الآن توحي بوجود حساب سياسي دقيق .

— الصحفي : هل تعتقدون ان أقوى العقول الاليكترونية قادرة على التكهن بما يمكن ان يحدث كفعل ، او كرد فعل ، على مسيرة قوامها 350.000 مواطن ؟ كيف يمكن السيطرة على هذا العدد الضخم في التقدم أو في الانسحاب اذا ما وقع عنف من جانب او من آخر ؟ .

— اباظة : انت لا تعرف طبيعة المغاربة ومضمون الظروف السياسية والنفسية التي تكشف هذه العملية ، انهم يعيشون مشكلة الصحراء ويلمسون ابعادها كل يوم بمشاعرهم .. وهم مقتنعون بأن الصحراء لهم ، وليست لغيرهم ، وفوق ذلك فهم قوم تعودوا منذ قرون بعيدة على النظام والانضباط تحت امرة القيادة ، ثم انهم أخيرا مسلحون بأخطر سلاح على وجه الارض .. سلاح العقيدة .. الا تعلم انهم يعتبرون قضية تحرير الصحراء قضية جهاد ؟.. وبالتالي فلا حل لها الا النصر أو الموت !! .

— الصحفي : (في اندهاش !) ما زلتم رغم كل هذه القرون تتصورون حل القضايا السياسية على هذا النحو ؟ ! .

— اباظة : نعم .. وهل ترى نحوا آخر فى القرن العشرين يمكن ان تحل على اساسه قضية وطنية ؟ ! .

— الصحفي : حتى الآن لا يوجد حل آخر .. ولكنني لا اعتقد ان هذا هو الحل الامثل ، هناك مخاطر كثيرة يمكن ان تتعرض لها المسيرة ، اولها.. اطلاق النار عليها ، لا من الاسبان وحدهم ، ولكن ايضا من البوليزاريو ، وثانيا .. هلاك عدد كبير من المتطوعين اذا ما قطع التموين عنها باجراء عنيف مباشر .

— اباظة : يبدو انك متأثر ببعض الاذاعات فى المنطقة .. فهذه المخاطر كلها متوقعة ومحسوبة ، واشار اليها جلالة الملك فى خطابه .

— الصحفي : انني اسمع راديو مدريد والجزائر كل ساعة ، ولا اعير وزنا لحرب الاعصاب التي يشنها هذه الاذاعات لاضعاف معنويات المتطوعين فى المسيرة .. ولكنني اقدر الامور بصورة موضوعية ، ومن الصعب اقناعي بأن اسبانيا والجزائر سيتخليان عن مخططاتهما فى الصحراء بسبب هذه المسيرة .

— اباظة : وانا اعتقد ان اجراء المسيرة ، الى جانب اجراءات اخرى ، يمكن ان يشكل اداة ضغط هائلة على السلطات الاستعمارية فى المنطقة ، يدفع بها الى قبول المفاوضة والتخلي عن مواقفها المتشددة.

— الصحفي : سنرى غدا قيمة هذه النظريات

— اباظة : اذن الغد بيننا (1) » .

ان هذا الحديث يعطينا صورة عن الفكر الغربي تجاه حدث المسيرة عموما ، وتجاه مشكلة انقياد متطوعي المسيرة للنظام وامتثال أوامر القائد الاعلى وقواد المسيرة ، ولهذا كان يستحيل نجاح مثل هذه المسيرة فى دولة غربية ، لمواطنيها — كهذا الصحفي — منطقهم ومقاييسهم ومشاعرهم الخاصة ، التي تختلف اساسا مع قيم حضارتنا الاسلامية ، وفى طليعتها قيمة الطاعة والامتثال للنظام مهما كانت التضحيات ، اذ لو فكر متطوعو المسيرة تفكير هذا الصحفي ، واقتنعوا مثله بأن المسيرة مجرد مغامرة، وستنتهي بكارثة يذهبون ضحيتها دون فائدة ، لما تطوعوا فيها .

وعلى خلاف التقديرات والتوقعات الاجنبية ، فمما لا شك فيه أن جلالة الملك كان واثقا مائة فى المائة ، من تلبية الشعب لندائه ، وامتثال أوامره التي هي فى صالح شعبه ، ومع ذلك فقد عبر عن اعتزازه واندهاشه فى آن واحد ، للنتائج التي اسفرت عنها المسيرة ، خاصة بالنسبة لقيمة الطاعة والنظام والامتثال ، حيث قال :

« .. فما اعجب تلك الفترة شعبي العزيز ، فيما بين اقل من شهر ، قلنا لك تطوع فتطوعت .

ثم قلنا لك سر فسرت .

ثم قلنا لك اجتز الحدود فاجتزت الحدود .

ثم قلنا لك قف فوقفت .

ثم قلنا لك ارجع فرجعت .

كلمات خفيفة على اللسان ، ثقيلة فى الميزان ، ناصعة فى كتاب التاريخ وسجل المؤرخين ، لقد مضت سنة وانا افكر فيما تنطوي عليه من حكم ودروس . اعتقد شعبي العزيز ان هذه المسيرة سوف تطبع مغربنا لمدة جيلين او ثلاثة (2) » .

3 ـ استمرار روح الصمود والمقاومة للاستعمار :

شجاعة المغرب فى الحروب ، وصموده فى مقاومة وردع المعتدين والمستعمرين ، شيء معروف فى تاريخ المغرب القديم والحديث ، وقد برزت هذه القيمة جلية فى معركة استرجاع الصحراء ، وخلال ايام المسيرة الخضراء ، بشكل انهارت امامه كل تخطيطات واحلام الحكومتين الاسبانية والجزائرية ، فى اقامة دولة مزيفة صحراوية ، ثمانية عشر مليونا من المغاربة رجالا ونساء وأطفالا ، خرجوا للشوارع فى جميع المدن المغربية ، يصيحون فى عز وإصرار : « الصحراء مغربية » ، وخلال هذه

---

(1) الدكتور ابراهيم دسوقي اباظة : « وعادت الصحراء » ص 174 .
(2) من خطاب جلالته فى يوم عيد المسيرة 6 نونبر 1976 .

الايام كانت شوارع وساحات العاصمة الرباط تموج باكثر من مائة الف متظاهر صباحا ومساء ، وتحاصر السفارة الاسبانية من غير اعتداء عليها ، ولم يبق اقليم من اقاليم المغرب الثلاثين الا خرج سكانه جميعا لوداع عشرات الالاف من متطوعيهم فى المسيرة الخضراء ، وداع الخارجين للجهاد وتحرير الاراضي الوطنية المغتصبة ، وتحقيق وحدة البلاد .

وتتمثل شجاعة وصمود 350.000 متطوع ومتطوعة فى المسيرة الخضراء ، فى انهم لم يتاثروا فقط :

1) بتهديدات الجيش الاسباني فى الصحراء، وهو مزود باحدث الاسلحة المتطورة لحروب الصحراء، ويفوق عدد جنوده سكان الصحراء (75.000 جندي) وقد صرح قائد هذا الجيش بانه اعطى الامر بضرب كل من يتجاوز حدود الصحراء بميتر واحد .

2) بتهديدات الاذاعات الاسبانية المتواصلة التي كانت تردد وتؤكد كل ما كانت تقوله الاذاعات المتطوعين ، وتحطيم معنوياتهم .

3) بتهديدات الاذاعة الجزائرية المتواصلة التي كانت تردد وتؤكد كل ما كانت تقوله الاذاعات والصحف الاسبانية المعادية ، وتصف المسيرة الخضراء بانها عملية التجارية سيذهب ضحيتها المتطوعون المسخرون ، وهم لا يعلمون !! ، وستكون اكبر مجزرة عرفها التاريخ !! .

وهذه اعترافات بعض المتطوعين تؤكد ايمانهم وصمودهم بالرغم من هذه التهديدات ، يقول السيد المرابط احد متطوعي الدار البيضاء :

« لقد كنت من بين المتطوعين الذين وهبوا ارواحهم فداء لهذا الوطن ، ورغم التهديدات باطلاق النار .. ورغم التخويف والاساليب التي كان الاسبان يحاولون بها ترهيبنا ، فقد مضينا فى طريقنا نحو الصحراء ، ولم نبال بذلك ، رائدنا كتاب الله الذي كنا نستمد منه العون (3) » .

ويقول السيد المحجوب من متطوعي قرية آيت بتحدو :

« .. ان اللسان يعجز عن وصف تلك اللحظات .. الطائرات الاستطلاعية الاسبانية تحوم فوق رؤوسنا قصد التخويف والرهيب ، والمواطنون سائرون غير عابئين ، بين ايديهم كتاب الله ، والعلم المغربي ، والجميع يردد : « الله أكبر » (4) » .

ويقول السيد محمد السامي من متطوعي مكناس :

« .. كنت على راس فرقة من 60 متطوعا ضمن عشرة آلاف متطوع من مكناس .. ورغم الاخطار التي كانت تحدق بنا .. طائرات استطلاعية وحربية اسبانية تحلق فوق رؤوسنا .. تهديدات اسبانية باطلاق النار على كل من يقترب من الحدود الوهمية .. فقد تحدينا كل ذلك بايمان وقوة (5) » .

4) جلالة الملك الحسن الثاني نفسه لم يغرر بالمتطوعين ، فى خطاب دعوته للتطوع فى المسيرة حذر باسهاب من احتمال الهجوم على المتطوعين ، وذكر بمواقف المقاومة الوطنية طيلة عهد الحماية ، وفى معارك التحرير والاستقلال ، واكد بان مغاربة اليوم ليسوا اقل من مغاربة الامس، وانهم ايضا قاوموا العدو بدون سلاح ، غير سلاح ايمانهم ، وانتصروا عليه ، وهكذا كان المتطوعون على اتم وعي وادراك بجميع الاخطار المحتملة التي كانت تنتظرهم ، ولكنهم مع ذلك كانوا على اتم استعداد معنوي لتقبلها ومواجهتها .

5) اقلمت مجموعة من المتطوعين على مغامرة يستحيل ان يقوم بها الانسان الغربي ، حيث توجهوا على اقدامهم الى « الحدود العسكرية الملغومة» التي حذر الاسبان من الاقتراب منها ، بعد انسحابهم داخل الصحراء ، للبحث عن هذه الالغام بايديهم وارجلهم ، وازالتها دون خوف او رهبة ، فلم يجدوا لها اثرا ، وتاكدوا من زيف تلك التهديدات .

6) بعد قرار المسيرة ، تسللت مجموعة تتكون من 51 متطوعا فى جنح الظلام ، ليواصلوا

---

(3) جريدة العلم 5 نونبر 1976 .
(4) نفس المرجع .
(5) جريدة العلم 4 نونبر 1976 .

مسيرتهم الى مدينة العيون ، رغم جميع الاخطار التي كانت تهددهم ، ولم يعلم احد بهم الا بعد ان أعلن الاسبان نبأ القاء القبض عليهم في مدينة العيون ، وظلوا في السجن الى ان دخلت القوات المغربية للمدينة ، وتسلمت سلطة ادارتها ، فقامت بتسريحهم

7) ومن بين التهديدات التي واجهها المغرب حكومة وشعبا ومسيرة ، وكان يمكن ان ينعكس ثقلها واثرها على معنويات المتطوعين خاصة ، البرقية التي وجهها الامين العام للامم المتحدة لجلالة الملك طالبا منه ايقاف المسيرة ، وذلك على اثر اجتماع مجلس الامن ، ومعارضة الاتحاد السوفياتي لموقف المغرب ، وهذه البرقية تعني ان المغرب يتحمل مسؤولية ما قد ينتج عن المسيرة من اخطار ، ولم يكن بين الشعب المغربي من لم يتحمل هذه المسؤولية، وفي طليعته المتطوعون انفسهم وعائلاتهم .

وكانت المسيرة تواجه خطرا غريبا آخر لا يمكن ان يخطر على بال أحد في القرن العشرين ، وهو من الاسرار التي افضى بها الجنرال سالازار الحاكم الاسباني للصحراء ، الى الاستاذ احمد ابن سودة مدير الديوان الملكي ، بعد ان عين عاملا على الصحراء، وتسلم السلطة من الجنرال المذكور ، يقول الاستاذ ابن سودة : بعد ان زالت الكلفة بيننا ، سألته عن خواطره عندما علم بالمسيرة الخضراء ، فأجابني الجنرال سالازار بالحرف :

« بصراحة كنت اتلقى انباء تجمعاتكم على مشارف الصحراء ، وآخذ في استعراض ما عندي من مصفحات وآليات فأضحك ساخرا منكم واقول : ليتفضل المغاربة وسوف أريهم ... ولا تعجب اذا قلت انني اعددت لكم طائرات لترميكم وترمي حشود المسيرة بالحجارة من السماء .. وقد استوحيت هذا من قرآنكم الكريم حيث تقول الآية : « الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول » ، ولكني عندما تحركت المسيرة ، ودخلت الصحراء ونظرت اليها من خلال المنظار المكبر من بعيد ، عدت فنظرت من جديد الى دباباتي ومصفحاتي ، فبدت لي امام هذا الموج من البشر كعلب الكبريت (6) .

هذه الشهادة من قائد الجيش الاسباني السابق في الصحراء المغربية ، تظهر من جهة ، نوعا من رد الفعل المناسب لقرار المسيرة الخضراء، من طرف العسكريين الاسبان ، الذين اعتقدوا انه في مستواها غرابة وتاثيرا وحتى مصدرا ، ومن جهة اخرى ، تظهر بجلاء مدى تاثير المسيرة كقوة سلمية ، مخيفة ومرعبة، لا من حيث حجمها فحسب، ولكن من حيث معنوياتها : شجاعتها ، وصمودها ، وعزمها على ان تصل لمدينة العيون مهما كلفهم ذلك من تضحيات . ولا شك ان الجنرال سالازار كان احد ركاب الطائرات العسكرية التي كانت تمر فوق رؤوس جماهير المسيرة تهديدا وتخويفا ، وكان يراقب عن قرب ردود فعل هذه الجماهير ، فيلاحظ انها لا تتوقف عن المسيرة ، وان احدا لا يخرج عن صفه او موكبه فزعا او فرارا ، حتى لو رماهم بالحجارة او الرصاص ، فهم ماضون الى العيون ، ولا بد ان يصلوا اليها ولو أبيد نصفهم في الطريق ، وهذا ما يفسر تصريحات القادة العسكريين بأنهم لن يقبلوا اهانة الجيش الاسباني ، وكانوا يرون في احتلال مئات الالوف من المدنيين المغاربة للصحراء اكبر تحد لقواتهم العسكرية ، التي تقف عاجزة عن مواجهتهم بنفس السلاح . وعندما زار الملك خوان كارلوس مدينة العيون صرح هو الآخر بانه يرفض كل ما يمس بشرف وكرامة الجيش الاسباني ، ولم يكن امام حكومته لارضاء الجيش ، وايقاف الزحف المغربي السلمي ، الا الدخول في مفاوضات مع المغرب ، ليسترجع صحراءه بالاتفاق مع الاسبان ، والمحافظة على كرامة الجيش ، وليس بجعلهم امام الامر الواقع ، وصرح مندوب اسبانيا في الامم المتحدة بان حكومته وافقت على تسليم الصحراء للمغرب وموريطانيا بعد ما فشل مجلس الامن في منع مسيرة الحسن ، وذلك ليبرر عدول حكومته عن سياسة انفصال الصحراء ، الى الاعتراف بمغربيتها تحت ضغط المسيرة الخضراء .

« للبحث بقية »

(6) من حديث افضى به الى رجال الصحافة ، جريدة « المسيرة الخضراء » 28 يناير 1977 .

أحمد حسن الزيات

ودوره في الحركة الأدبية المغربية

للأستاذ أحمد زياد

اذا صح المثل السائر القائل : ان ذاكرة الشعوب ضعيفة ، فان هذا المثل ربما يكون أكثر صحة فى سلوك الشعوب العربية واخلاقها ، فهي من غير شك تعاني من ضعف الذاكرة فى جملة ما تعانيه من آفات اخرى ، بل ان هذا الضعف فى ذاكرتها هو بكل تاكيد الذي حال بينها وبين اخذ العبر والدرس مما يوالي وما يزال يتوالى عليها من محن ونكبات فى ماضيها وحاضرها ثم ان الضعف فى الذاكرة ، قد تتجاوز « اصاباته » ، الوقائع والاحداث ، لتمتد الى الجماعات والافراد ، ولئن كان جوهر هذا الموضوع بالذات يعد بحرا لا ساحل له – كما قيل – فان ما حرك هذه الخاطرة فى ذهني هو عينة واحدة – وربما تكون صغيرة – ومن اصناف الالوان التي تمثل ضعف الذاكرة ، وتتمثل هذه العينة او هذا اللون فى شخصية من بين شخصيات عديدة حاك ضعف الذاكرة حولها خيوطا من عناكب النسيان بألطف تعبير وأرهف تصوير ، انها شخصية المرحوم الكاتب الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات وما اظن أن مثقفا عربيا على طول الساحة العربية بل ومنخارجها لا يعترف بأفضليةهذا الرجل وبما اسداه من خدمات جلى للثقافة العربية كيفا وكما ومن من افراد جيل المثقفين فى أوائل الثلاثينات والاربعينات، لم يتلمذ لمدرسة احمد حسن الزيات فى كلية « مجلة الرسالة » وعبر كتبه المفيدة الموضوع منها والمترجم على السواء حتى أنه وعلى طول المسافة فى تاريخ الصحافة العربية كلما ذكر اسم « الرسالة »



احمد حسن الزيات

كمجلة الا وينصرف لرسالة الزيات ، التي كانت بحق رسالة غمرت باشعاعها الفكري مجموع الرقعة العربية من المحيط الى الخليج ، وآنست بقية المغتربين العرب فيما وراء البحار .

لقد الف الاستاذ احمد حسن الزيات كتابه « تاريخ الادب العربي » فأتاح لجيل الثلاثينيات والاربعينيات فرصة دراسة هذا الادب والتعرف عليه فى غير عسر وبدون تشعب ولا تعقيد .

ولم يكن بدعا ان تتلقاه المدارس الحرة فى المغرب خلال تلك الحقبة وكأنه هبة من السماء الى ارضنا فى وقت كانت فيه تلك المدارس تعاني من

قلة الامكانيات المادية والمعنوية منها على السواء ، مثلما كانت تعاني من اشباح الحروب الصليبية ولكانه رحمه الله اراد وكما جعل ذلك شعار لمجلة الرسالة" ان يوصل ماضي الامة بحاضرها ويعمل على رسم آفاق مستقبلها .

فاصدر مجلة « الرسالة » التي استطاعت فعلا ان توصل الماضي بالحاضر ، وتكون اداة « للآداب الرفيعة » وسرعان ما التف حولها صفوة من طليعة النهضة الفكرية فى تلك الحقبة الذين داب افرادها على اثراء صفحاتها بالدراسات القيمة والمقالات الرصينة الهادفة في مختلف « الآداب والفنون » فكان من بينهم الدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك والعالم الباحث صاحب النفس الطويل الاستاذ احمد امين والاستاذ مصطفى صادق الرافعي وغيرهم من الشخصيات التى كان اصحابها مصنفين فى عداد عمالقة الفكر ، والمعرفة ، فكان لكل منها اتجاهه الفكري ، واسلوبه التعبيري واختصاصه الدراسي ، وتفتحت مجلة الرسالة على الثقافة العالمية فكانت تترجم من الآداب الاخرى كل ما يمكن ان يوصف بالجودة والابداع من قديم الآداب الاجنبية وحديثها فتولى المرحوم الاستاذ دريني خشبة ترجمة اوديسيا هوميروس بينما اضطلع الاستاذ فليكس فارس بترجمة كتاب الفيلسوف الالماني نيتشة « هكذا قال زرادشت » وخلد الاستاذ فخري أبو السعود دراسة ربما لا يوجد لها نظير الى يومنا هذا فى موضوع الادب المقارن بين الادبين العربي والانجليزي ، كما ان مجلة « الرسالة » كانت اول من اكتشف موهبة البحث العلمي ذي السرد الادبي فى شخصية الدكتور احمد زكي رئيس مجلة تحرير العربي رحمه الله وذلك من خلال سلسلة مقالاته : « قصة المكروب وكيف كشفه رجاله » .

ونذكر فيما يذكره الذاكرون من روائع الانتاج فى رسالة الزيات وصحبه ، اعدادها الممتازة التي كانت تصدر فى طليعة كل شهر محرم ، حيث تتبارى الاقلام فى تحديد معالم الرسالة المحمدية ونضال صاحبها عليه افضل الصلاة وأزكى السلام ، وتستخرج لها صورا زاهية من بين المواد الخام المعقدة فى كتب السير الاخرى وتصوغها فى بيان مشرق تكون افتتاحية الاستاذ الزيات عقدا تتلالا احجاره الثمينة فى جيد كل عدد من تلك الاعداد .



مجلة الرسالة

وبعد حين من صدور مجلة الرسالة وما حظيت به من « اتساع فى الذيوع والانتشار » بادر الاستاذ الزيات الى تعزيزها باختها مجلة « الرواية » التي خصصها لترجمة الآداب الاخرى الى لغة الضاد فجاءت كمثل الرسالة ، عامرة باحسن القصص واروعه فى آداب الغرب .

وبذلك فتح الزيات رحمه الله نافذة اوسع للقارىء العربي ليرى من خلالها ما يجري على غير ساحته العربية من الوان الانتاج الفكري الغربي قديمه وحديثه الكلاسكي منه والابداعي — على حد تعبير الاستاذ الزيات — وعلى مدى عشرين سنة تمكنت مجلة « الرسالة » من تعميق الفكر العربي واثرائه وسدت الفراغ الهائل فى الوطن العربي وجمعت حولها كتابا وقراء ربطت بينهم روابط متينة على الرغم من شط المزار وتباعد الديار .

كما انها كانت قبل ذلك وبعد ذلك منبع عطاء فكري تميز بخصوبته وبطابعه الاصيل فى الآداب والعلوم والفنون .

وبذلك أصبحت مجلدات « الرسالة » تشكل تراثا للفكر العربي بداية من أوائل الثلاثينيات الى أوائل الخمسينات ، وهى فترة أعتبرت بحق فترة متسمة بالحيوية والرصانة مثلما طبعها الانتعاش ثم الازدهار .

ومن من افراد جيل هذه الحقبة من لا يتذكر وبشيء غير قليل من الانتشاء تلك المعارك الادبية التي جرت فى ميدان الرسالة حول تلك القضية التقليدية ، قضية القديم والحديث ، التي ما تزال « الحاسة السادسة » لاستكشاف المتعة الادبية تتذوقها وتتلذذ بل وتنتشي بها ، مضمونا وتعبيرا ، الى يومنا هذا وفى زمننا هذا ؟ ؟

حتى اذا احتجبت مجلة « الرسالة » متأثرة بظروف الحرب وعواقبها ، تركت ذلك الفراغ الهائل الذي ما اظن ان مجلة اخرى قد تمكنت من سده رغما عن كثرة اسمائها وتعداد اماكن صدورها واختلاف مذاهبها وطرائقها « وموضاتها » كذلك ، وذلك فى وقت مني فيه الفكر العربي بآفة اخرى تجلى مفعولها فى صراع « الطوائف » المذهبية الذي كلما ظهرت فيه طائفة لعنت اختها .

بينما بقيت آفة العقوق تطارد صاحب الرسالة الاستاذ الزيات حيث لم يجد من الاهتمام او السند ما يساعده على ما كان يامله من القيام بعملية بعث لمجلته فضاعت نصائحه وتوجيهاته واقتراحاته فى أجواء مشحونة بالصخب والضجيج .

لما قيل عنه يومئذ من انه « عملية تحول او تحويل » للثقافة العربية وهي عملية لم تزد على ان حققت لمثولة ذلك الغراب الذي روى انه اراد تقليد الحمامة فلم يوفق فى تقليدها ولما اراد العودة الى مشيته وجد نفسه انه نسيها وتولى الاستاذ المرحوم الاستاذ أحمد حسن الزيات فى أواخر ايامه رئاسة تحرير مجلة « الازهر » وظل يتفرج على ما يجري فى الساحة العربية من الشيء ونقيضه فى الحقل الثقافى الى ان لقي ربه مثلما يلقاه كل ذوي الرسالات الصادقة فرحمه الله وجزاه خيرا على ما قدمه من خدمات جلى للثقافة العربية وآدابها ، وما اردت ان تكون كلمتي هذه كدراسة شخصية ولا لتأثير « رسالة » فتلك مهمة تحتاج الى جهد ووقت و « مزاج » بالاصطلاح المصري ، وانما هي مجرد خواطر عابرة اردت لها أن تكون بطاقة تعريف ، او استمارة لحالة مدنية عسى أن يرى فيها الجيل الحاضر صورة من همة اولئك الرجال الذين وفق المرحوم احمد الزيات فى أن يجمعهم حول مجلته ، وما من واحد منهم الا وقد أسهم بفكره فى بناء صرح نهضة فكرية شامخة البنيان عز سد فراغها بعد غيابهم .

فرحمة الله على الاستاذ الزيات ، وانها لكلمة وفاء وتقدير فى شهر ذكراه ، وذلك بالاصالة عن نفسي وباسم كل من استفاد من رسالة الزيات فى هذا البلد وجعل من اقتنائها بابا فى ميزانيته الاسبوعية حتى ولو كانت اليد قصيرة لان الزمن يومئذ كان يقاس فيه الناس بما يعرفون لا بما يملكون ، فسبحان مبدل الاحوال .

أحمد زياد



مدخل لدراسة الصحافة المغربية

بعد سنة 1332هـ - 1912م

للاستاذ زين العابدين الكتاني

بالرغم من ان المغرب كان من أول الدول العربية التي عرفت الصحافة الوطنية العربية خصوصا بعد الوقوف على خبر صدور جريدة (النفحات الزكية فى الاخبار المغربية) سنة (1306 هـ 1889 م) من طرف مغربي ، وربما من طرف حكومة المغرب .. فان الدارس لهذه الصحافة قبل سنة 1956 يجد نفسه امام فترتين كل واحدة تستقل عن الاخرى من جميع الجوانب ، وكل من الفترتين هي :

1 ــ فترة ظهور الصحافة من سنة (1820 م الى 1912 م) .

2 ــ اما الفترة الثانية فهي من سنة (1912 م الى سنة 1956 م) .

ولكل من الفترتين طابع خاص .. وذلك ما استهدف فى هذا المدخل الذي حاول ان يعطي صورة تقريبية لكل من الفترتين ..

وهكذا فاذا كان ظهور الصحافة بالمغرب بكل صوره قد ارتكز واقترن فى الحقيقة بظهور الصراع الاستعماري الدولي ، والنشاط الديبلوماسي المتحالف ضد المغرب وضد وحدته ، فان هذا النشاط قد تبلور بصورة واضحة بعد عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 م .

واذا كان هذا الصراع قد ضاعف الشعور بالوعي الزائد ، مما يؤكد لنا ما تمخض عن هذه الحقبة من ان الشعور بالانزواء الذي اتهم به المغرب لم يكن كذلك اذا ما تصفحنا ردود الفعل الشعبي لهذا الصراع ، ومواجهة الاوساط الشعبية والنيرة للحاكمين الاقطاعيين الذين (خدعوا الامة والسلطان) (1) فان ذلك ما دفع بهؤلاء الاقطاعيين وعملاء السفارات لان يتتبعوا الحركة الوطنية او حركة الانبعاث واليقظة الثورية (2) التي كانت تعرف بدقة واقع المغرب ، وواع بالظروف التي يعيشها المغرب فى الداخل والخارج حيث كان هؤلاء يومئذ يعملون بكل دقة ،

(1) مجلة (سنان القلم) الصادرة بفاس سنة 1907 .

(2) انظر ما ذهب اليه W. LISGERBER فى كتابه: Au Seuil du Maroc Moderne p. 183/184



5e ANNÉE (nouvelle série) N° 1

السنة الخامسة (سلسلة جديدة) عدد ١

الجنوب المغربي

(مجلة اخبارية سياسية ادبية اقتصادية)

قيمة اشتراكها	اجرة الاعلانات	محل ادارة المجلة
عن سنة ثلاثون فرنكا	يتفق فيها مع الادارة	نهج الطبيب موشان
ثمن العدد ١ ٢٥ فرنكا	بمراكش	عدد التلفون ٣٣ ١

١٢ شوال ١٣٤٥ ✻ 15 Avril 1927

EL DJENOUB EL MOGHREBI

Revue d'informations politiques, littéraires et économiques

Rue du Dr Mauchamp — Marrakech — Télép. 1 - 33

فهرست

تحية من بطل الجنوب الى الجنوب المغربي

خطبة المجلة

الاصلاحات الكبرى بمراكش

كلمة في الحبس

اللغة العربية والمخترعات العصرية

الغادة الهيفاء في وصف مراكش الحمراء

الصحة العمومية

الكهرباء بمراكش

لاجل الرحامنة

برنامج سفر صاحب السعادة المقيم العام لمراكش

برنامج العام لمعرض مراكش

اعلان رسمي

صور

صورة المعرض

— ان الدفوعات كيفما كانت يجب ان تكون بتوصيل مذيل بترقيم المدير —

مجلة « الجنوب المغربي » التي اشرف على تحريرها شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم

ويحرصون بكل ما لديهم فى الخفاء .. الى ان تدخل الاستعمار الفرنسي بصورة (رسمية) فى 30 مارس 1912 م واتبعه التقسيم الى مناطق نفوذ بين كل من اسبانيا وفرنسا ومنطقة دولية فاصبح بمقتضى الوضع السياسي الجديد للمغرب عاصمة بالشمال هي تطوان ، وعاصمة بالمنطقة السلطانية هي الرباط ، وعاصمة للمنطقة الدولية هي طنجة ، حيث اصبح الوضع السياسي فى المغرب الموزع يسيطر على جميع مظاهر الحياة العامة والخاصة ومن ضمنها الصحافة ، فبادرت السلطات الاستعمارية يومئذ الى نقل جريدة (السعادة) من طنجة الى الرباط (ابريل 1913) بينما نظمت هذه السلطات محاربة شديدة ضد الصحف التي كانت لا زالت تصدر فى طنجة وخاصة جريدة (اظهار الحق) فى الوقت الذي ضاعفت فيه هذه السلطات حصارها على سائر الجرائد العربية التي كانت ترد الى المغرب من الشرق كمصر وسوريا والجزائر وتونس وغيرهم من الاقطار الاسلامية والعربية والتي كانت تصل بانتظام الى الاسواق ، والى عدد من المشتركين ، ومن طرف بعض الذين كانوا يعيشون خارج المغرب .

وهكذا فلم تتوقف حركة الصحف والنشرات المغربية الوطنية كثيرا ، بل يرجع الفضل فى ذلك الى روح المعركة التحريرية التي كانت منتشرة فى مختلف نقط المغرب فتجددت حركات « **كفاح سرى نبلور اولا فى ميدان الصحافة ، وكان الطلبة (3) فى فاس وغيرها يصدرون عدة جرائد ومجلات منها (الاصلاح) ونشرات سرية (4) توزع على الذين يرغبون فى الاطلاع والاستفادة على الشؤون السياسية والادبية والعلمية ...** » ووجدت هذه الحركة صدى واسعا بين مختلف الطبقات الشعبية والناشئة التي كانت الهدف الاساسي للذين كانوا لا زالوا يحملون مشعل الثورة فى جميع البلاد ضد المستعمرين ..

= × =

واذا كان المغرب قد سجل بكل فخر قاعدة اساسية منذ اول يوم ظهرت فيه الصحافة فان « تمتع جميع هذه الصحف ، الصادرة فيه سواء كانت عربية او اجنبية بحرية كاملة حتى فى انتقاد الحكومة المغربية ، وبالتالي اعمال السلك الديبلوماسي الاجنبي (5) » فان تغيير المغرب بعد ذلك فى نهاية مارس 1912 وتحويل هذه القاعدة جعله يدخل فى وضع بل وفى فترة اقترنت بحجر كامل على الحريات، وبالخصوص حرية القول والاجتماع مما دعى لان يبقى المغرب يعيش مدة تفوق العشر سنوات بجريدة عربية واحدة هي جريدة (السعادة) على ما نعلم — بالاضافة الى قائمة من الصحف الفرنسية الجديدة التي كانت تشرف عليها الشركات الاستعمارية التي اصبحت تحول السوق المغربية نحو اسواقها الغربية. **كجريدة (لا فيجي ماروكان) و (ليكو دي تطوان)** و (**لا بريس ماروكان**) المعتدلة وغيرها ، حيث استمر هذا الوضع هكذا الى ان سجلت سنة 1918 ان الشاعر المرحوم السيد محمد اليمني الناصري احد مؤسسي الجماعة السرية (انصار الحقيقة) قد « **اقتحم دار الحماية مع جماعة من لداته ، وبيدهم طلب بانشاء مجلة مغربية ، غايتهم منها التعبير عما يختلج فى صدورهم باسلوب ظاهره نشر العلم والادب، وباطنه التشهير بالاعمال القبيحة التي تأتيها الحماية (6)** » .

وبعد ذلك ظهرت عوامل جديدة ادت الى ان الصحافة بالمغرب بدأت تأخذ طريقها الجديد بعد سنة 1930 مباشرة ، بعد ظهور مجلة : (**الدولة العربية**) بجنيف للامير شكيب ارسلان .. التي لعبت دورا مهما فى تجديد الوعي المغربي ..

ومن هذا التحول نرى ان الوضع اصبح بعد سنة 1912 فى المجال الصحافي كما يلي :

1 — **جريدة (السعادة)** التي اصبحت ناطقة باسم الاقامة العامة الاستعمارية بالرباط منذ 1913

(3) جريدة العلم (10 / 9 / 1962 ص : 8) .
(4) (مجلة المجلات) و (أم البنين) و (الدين القيم) و (السيف القاطع) و (القمر) و (الاسلام) كما صدرت بسلا نشرة (الوداد) التي تحولت فيما بعد الى صحيفة (فى تقييد خاص يوجد بخزانة الكاتب) .
(5) جريدة (العلم) (ص : 6 — 26 / 3 / 1966)
(6) انظر جريدة (الشعب) (ع : 1112 — ص : 2 و 3 — 11 يونيه 1971) .

وقد لعبت دورا هاما ودقيقا سنتناوله بتفصيل .

2 ـ **الجرائد الفرنسية والاسبانية** التي اسستها الشركات الاستعمارية فى المنطقتين الخليفية والسلطانية وفى طنجة ، اما الجهات الصحراوية المغربية فلم تشهد ميلاد اى صحيفة باستثناء منطقة ايفني .

وهذا الوضع لا يعني جهة بعينها ، ولكنه يشمل المغرب الذي كان موزعا بين فرنسا واسبانيا والمنطقة الدولية فى حدوده الحقة .

اما العودة الى الصحافة الوطنية فقد بدات مع ظهور الجيل الذي اصبح بحكم تاثير البقية الباقية من الرعيل الاول للحركة الاصلاحية الوطنية .. هذا الجيل اليه يرجع الفضل فى الثورة المركزية التي حققت المعجزة والمتاثرة بالروح الصوفية المجردة التي كانت تهدف الى انبعاث امة قوية ، تربط حلقات المستقبل بامجاد الماضي ، وتبني آفاق المغرب على اسس قوية تستهدف فى نفس الوقت بناء المغرب الجديد .

والحقيقة ان المغرب لم يشهد اي نشاط صحافي جدير بالتنويه والاهمية من سنة 1912 م سوى صحيفتي (الترقي) و (اظهار الحق) الطنجاويتين فى طبعة جديدة سنة 1913 وجريدة (النظام) التي اصدرها مصري سنة 1924 بطنجة ايضا ، وصحيفة (الاخبار المغربية) (7) التي كان يصرف عليها بالدار البيضاء سنة 1921 السيد بدر الدين البدراوي وجريدة (اخبار المغرب) (8) بالدارجة سنة 1915 .

كما صدرت جريدة (الجنوب المغربي) بمراكش سنة 1927 ، ونشرة عربية بفاس تحمل اسم : (اخبار تلغرافية) وكانت تهتم ببعض الاخبار الداخلية والخارجية (9) واخبار الحرب العالمية الاولى ، وجلسات المجلس البلدي بفاس مما يؤكد ان هذه النشرة ربما كانت صادرة عن هذا المجلس ، وأكد لي ذلك غير واحد ، فى حين كانت تظهر بين الفينة والاخرى مجلة كانت تصدر كل ثلاثة اشهر تحمل اسم (الاتحاد الفنمي) والتي كانت تصدر فى بلدان المغرب العربي باسم (**الاتحاد الفنمي بشمال افريقيا**) (10) وقد صدر اول عدد من هذه المجلة بتونس سنة 1929 .

= × =

اما فى المنطقة الشمالية فقد كانت تصدر بعض الصحف المماثلة .. فصدرت باسم السلطات الاسبانية جريدة (الحق) سنة 1911 باللغة العربية، وصدرت بعدها فى سنة 1913 جريدة (الترقي) ثم صدرت بعد ذلك صحيفة (الاصلاح) وهي شبه رسمية سنة 1916 وكان مقرها بتطوان وتحمل شعار : (جريدة سياسية اخبارية علمية ادبية تجارية اسبوعية) وكانت هذه الصحيفة لا تختلف عن جريدة (السعادة) من حيث الهدف ، كذلك كانت تصدر مجلة (الاتحاد) سنة 1927 وكانت هذه المجلة تهتم بمختلف اقاليم المنطقة الخليفية (11) .

= × =

والحقيقة ان الصحافة الوطنية التي ظهرت فى هذا الظرف لم تكن تستهدف « **الدعوة الى الاصلاح القضائي والمالي والعسكري،والدستوري والتعليم..**» فحسب (12) ولكن كانت ترتكز فى الحقيقة على استمرار الثورة المغربية بعد حروب التهدئة حيث « **انتشر الصحفيون المراكشيون فى فرنسا ينشرون فى صحفها فضائح الاستعمار** ، وقد اصدروا صحيفة فرنسية فى باريس باسم (**المغرب**) (13) وصدرت

---

(7) اصدرها الفرنسي الاشتراكي كاربط بوفى
(8) خاصة بالجنود
(9) شبه نشرة دورية .
(10) مجلة تربية الغنم والاتجار فى انتاجها .
(11) جريدة (الاصلاح التطوانية) (ع : 269 / 9 ـ 6 ـ 1928) . (والعدد : 460 / 8 ـ 7 ـ 1932
(12) كتاب (الصحافة السياسية) لانور الجندي (ص : 27) نفس المصدر (ص : 28) .

في باريس جريدة (**عمل الشعب**) (14) بالفرنسية وظهرت في الشمال مجلة (**السلام**) (15) وجريدة (**الحياة**) (16) وبصدور هذه القائمة بدأ تغير الوضع الصحافي في المغرب فكانت سنة 1930 بداية الدخول في معركة سافرة مع السلطات الاستعمارية وجها لوجه كما صدرت (**مجلة المغرب**) (17) التي انشاها السيد صالح ميسة الموظف الجزائري باحدى الادارات بالرباط ، وانطلق المسؤولون عن جريدة (**السعادة**) لاغراء الادباء والشباب الذي أصبحوا يشعرون بمسؤولياتهم للكتابة بهذه الصحيفة وبملحقها (النبوغ (18) .

ويجب أن نسجل هنا بكل فخر لمنطقة الشمال نشاطها الصحفي حيث نشأت مباشرة بصدور جريدة (الحياة) عدة صحف ومجلات : (الوحدة المغربية) و (الحرية) و (الريف) ومحاولات أخرى في مجال المجلة مما تعتز به مدرستنا الصحافية حتى الان .

زين العابدين الكتاني



الشاعر السيد محمد اليمني الناصري هل كان أول مغربي حاول اصدار صحيفة بعد 1912 ؟

---

(13) أول عدد صدر في جوييه 1932 .
(14) سنة 1932 .
(15) اول عدد اكتوبر 1933 .
(16) اول عدد 31 مارس 1935 .
(17) اول عدد صدر في جوييه 1932 .
(18) اول عدد صدر في يوليوز 1939 .

نقد التحليل الماركسي للفلسفة الإسلامية

للأستاذ محمد العزيبي الناصر

فى هذه السنوات الاخيرة نشطت دراسات تحليلية للفلسفة الاسلامية وخاصة الفلسفة المشائية المتأثرة بالتراث اليونانى ، على أساس من المنهج المادى الجدلى ، لتعرية ورد كل الدراسات السالفة ، من حيث انها لم تف بالمطلوب فى البحث كاملا ، فقد تركت تلك الدراسات السالفة جانبا مهما وأساسيا ، حسب ما يقول التحليل الماركسى ، ألا وهو الاساس الاجتماعى والاقتصادى الذى أثر وطبع الفلسفة الاسلامية بطابعه ، بل والذى كان العامل الاساسى فى وجودها ونشوئها وتطورها .

ورغم ان التحليل الماركسى يتناول افكار العصر بالتحليل، تبعا لذلك، ويتناول افكار الفلاسفة انفسهم بالتحليل ، ويبحث عن المؤثرات الداخلية والخارجية، فان المهمة الاساسية تبقى بجانب الاستئناس بكل ما سبق ، هى الوقوف على المؤثرات المادية الاقتصادية الاجتماعية فى كل أفكار العصر وأفكار الفلاسفة . وبالتالى توضيح السمات الاساسية لذلك فى التحليلات المقدمة مما يجعل افكار العصر وأفكار الفلاسفة ثانوية فى التحليل أمام الهدف الاكبر والامثل . الهدف الذى يكشف العلاقات الوطيدة كما يقولون بين الوجود والفكر ، وأسبقية الاول على الثانى ، كما يكشف العلاقات الوطيدة بين الماضى والحاضر .

والتحليل الماركسى يقوم بهذا المجهود الضخم لغاية ايديولوجية اخرى وهى محاولة اثبات جذور الاتجاه المادي او النزعة المادية فى تاريخ الفكر الاسلامى ، حتى تكون هناك جذور وأصالة فى الاتجاه الماركسى السائد حاليا فى العالم العربى . فهم لا يودون أن يوصموا بأصحاب الاتجاه الدخيل. فكلمة الدخيل او المستورد حاليا هى التى جعلت اخوان الصفا يتقوقعون فى نظام سرى ، وهى التى جعلت الفلاسفة المشائين يندفعون الى التوفيق بين الشريعة والفلسفة وهى التى تجعل الماركسيين اليوم يبحثون عن جذور وأصول مادية فى التاريخ الاسلامى .

فما هى منطلقات هذا التحليل ومساراته وسمات منهجيته ؟

منطلقات التحليل الماركسى

للتحليل الماركسى منطلقات متعددة ، منها ما هو موضوعي ومنها ما هو منهجي ، وبينهما خلط عجيب ويصعب حتى الفصل بينهما ، فهذه المنطلقات هى المحور الدائم فى توجيه الموضوعات وتسلسلها وحتى فى تركيبها المنهجى البحت ، ولكن فى اطار مغلف بالموضوع الاصلى الاكبر المطلوب تحليله فعلا .

1 ـ المادة والمادية كعقيدة ثابتة

المراكسة يؤمنون بالمادة ، والمادة فحسب ، ولذا يجعلونها غايتهم الاصلية فى البحث، حيث لا ينطلقون

الا من هذا التصور المادي ، فطيب تيزيني جعـل فلاسفة الاسلام مراحل فى التطور المـادي الهرطقى وتعصب لهم ضد النصيين الغيبييـن اللا عقلييـن اللاتاريخيين . وقد اجهد نفسه فى كـل كتاباتـه ان يرد كل فلاسفة الاسلام الى هذا المنطلق(1).

ومحمد عمارة جعل كتابه ينطلق من المادة والفكر والعلاقة بينهما ، فهما اشكالات الفلسفـة والتفكيـر الفلسفى فى رأيه ، فرد بذلك كل ما كتب ابن رشد يدور حول هذا المحور المادى وأسبقيته على الفكر(2).

ومحمد الجابرى ، يذهب منحى اكثر تغليفا ، فلا يبحث عن المادية والمادة فى كتابات الفيلسوف، وانما يرد كل تفكيره وكل الاشكالات الى الروح الحضارية التاريخية الاجتماعية بكل ابعادها . وبذلك كله اصبح فلاسفة الاسلام اشباحا لفترة ، ومجرد ممثلين لها.. فما أتوا به لا يعود الى قوة مداركهم وقـوة تعقلهـم وتفكيرهـم (3) .

وهكذا فنحن امام ثلاثة انـواع مـن الدراسـات والتحليلات الماركسية. دراسة ترد كل شيء الى المادة وتبحث عن عناصر هذه المادية وتعبيراتها ومنظوماتها. ودراسة تحاول ان تربط بين الفكر الماركسى والفكر العربى مباشرة لتبين تشابه القضايا وتشابه التحليل وتشابه النظرة المادية . ودراسة تحاول ان ترد كل شيء الى الواقع الاجتماعى الحضارى بكـل ابعـاده . ولكنها جميعها تنطلق من استيعاب الفكر الاسلامـى وصبغة بالفكر الشيوعي . او بمعنى كما يقولـون : يقراون التراث قراءة جديدة .

فالكندى عند طيب تيزينى ، كـان الممهـد غيـر المباشر للفكر المادى الهرطقى اللاحق الذى طرح مشكلة الوجود من خلال وحدة ماديـة متماسكـة الى حـد بعيد(4) ، فالفرابى تجاوز الثنائية بين الاله والعالـم وتجاوز مصادرة الخلق من عدم ، عن طريق نظريـة الفيض ، حيث عقد رباطا وثيقا بين المادة (العالـم المادى) والموجود الاول ليس فقط على اساس علاقة سببية بين كلا الطرفين وانما ايضا على اساس علاقة وجودية(5). ولا يبرز فقط هذا الميل المادى الفلسفى لدى الفرابى فى اطار مشكلات الوجـود الاساسيـة الكلية ، بل ايضا فى اطار الفهم الاجتماعى التاريخي. ففى آرائه حول نشوء وتطور المجتمع ملامسات عميقة للفكر المادي الاجتماعي والفرابي افسـح للفكـر المادى الهـرطقى طريقـا عريضـا ايضـا من خلال اخذه بفكرة الفيض ضمن زاوية تاريخية جدلية (5) .

وابن سينا فى تحديده للملامح الجوهرية للمـادة والصورة ، اكد على استقلالية العالم المادى الذاتيـة من حيث هو عالم موجود ماديا وموضوعيا ، واستطاع الاحاطة بالعالم المادي الموضوعي احاطة فلسفية مادية لقد طرح مسألة الوجود العينى والمنعكـس وبذلـك توصل الى النقطة المركزية فى نظرية المعرفة المادية(6)

أما ابن رشد فقد اصبح فيما بعد قمة الفكر المادى العقلانى ، فقد قدم فى اطار نظرية المعرفة متأثرا بآراء ارسطو فى المعرفـة حـلا ماديـا للعلاقـة الفلسفيـة الاساسية بين الفكر والواقع المـادى بيـن الوجـود الفكري (أي الوعى) والوجود المادي (7) وقـد كان هذا الطرح الجديد للقضية المادية ، شكلا متطـورا من اشكال الفكر المادي الهرطقي المعادي للايديولوجية الغيبية التبريرية(8) .

وأن استخدام ابن رشد لغة تعبير دينية فى عرضه للمسالة تلك ودفاعه عنها لا يمكن تفسيره ، حسب ما رأينا ، فقط انطلاقا من الواقع الاجتماعى والفكرى الذى عاش ضمنه ابن رشد والذى تميز كمـا سبـق وقلنا بالارهاب الفكرى الذى مارسه المتعصبون مـن

---

1) مشروع رؤية جديدة الى الفكر العربى الوسيط طيب تيزينى .
2) المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد، محمد عمارة
3) اقلام – العدد 1 (السنة 1976) مقال مشروع قراءة جديدة للفرابي محمد عابد الجابري .
4) مشروع رؤية جديدة الى الفكر العربى الوسيط. طيب تيزينى ص 281
5) مشروع رؤية جديدة ص 292 – ص 295 – ص 300 .
6) مشروع رؤية جديدة ص 317
7) مشروع رؤية جديدة ص 361
8) مشروع رؤية جديدة ص 371

رجال الدين (ومن خلفهم الجماهير الواقعة بين انيابهم ضد الفكر العقلاني المادي اينما وجد ، ومن اى مصدر كـــان) (9) .

وهكذا انتقل تيزيني من فيلسـوف الى فيلسـوف مثبتا ماديته وهرطقته، بل ورادا حتى التعابير الدينية الى الظروف الاجتماعية والارهاب الفكرى الذى مارسه المتعصبون من رجال الدين ، وكأن ابن رشد لم يكن من رجال الدين .

تساؤل ضرورى

فهل حقا ان هؤلاء الفلاسفة كانوا ماديين هرطقيين؟ وهل ما كانوا يطرحونه من مفهوم المادة والعالم المادى هو نفس المفهوم الذي يجرنا اليه الكاتب جرا بالباس المفاهيم المادية القديمة جلابيب المفاهيم المادية المعاصرة؟

اننا نعلم كما يعلمون ان كل المفاهيم المادية فـى كتب هؤلاء الفلاسفة مستقاة من منبعيـن : الفلسفـة الاسلامية والقرآن خاصة، والفلسفة اليونانية وأرسطو خاصة .

والكل يعلم ان الفكر اليوناني ينزع الى التفكير الميتافيزيقى وان الفكر الاسلامى ينزع الى التفكيـر الواقعى ويدعو اليه وحده .

ومن خلال هاتين الحقيقتين نطرح اشكالا آخر، هو أن الفلسفة الماركسية بارتباطها بالواقع تتناقض مع الفكر اليوناني فى كل معطياته المثالية، رغم محاولاتها لقراءته قراءة جديدة لتصنيف المادى فيه والمثالى . وموقفها من أرسطو المتارجح بين المادية والمثالية ، والذى حجر الفكر الانسانى بمنطقه وعطله كل الفترة الوسيطة كما هو معروف عند كل مفكر ، وعلى هذا الاساس فعندما يعتبرون ارسو فيلسوفا طبيعيا ماديا، والقائلين بنظرياته من المشائين المسلمين ماديين مناقضين للمذهب الغيبى الدينى النصى ، يكونـون يغالطون مغالطتين :

1 ـ المغالطة الاولـى ان التناقض بيـن الاتجـاه الاسلامى والاتجاه اليونانى حتمى وضرورى لاختلافات شتى ، فالجانب الـذى يرفـض التـراث الفلسفـى اليونانى كان اقوى تقدمية من الناحية العلمية، فاوربا مثلا التى رفضت أرسطو والفلسفة اليونانية برمتهـا لتتجه اتجاها تجريبيا علميا كانت متأثرة بالمسلمين والاتجاه الاسلامى التجريبى .

فكيف يعقل ان التيار الاسلامى (المهاجم من طرف الماركسييـن اليـوم المؤيديـن للفلسفـة المشائية الاسلامية باعتبارها قفزة عقلية مادية هرطقية تقدمية) يكون رجعيا محافظا غيبيا لمجرد انه رفض التفكيـر المادى الهرطقى للفلسفة اليونانيـة ؟ اليـس هـذا الرفض هو عين التقدمية العلميـة ؟ أوليس الاتجـاه المادى فى الاسلام فطرى وطبيعى هـو الآخر وليـس دخيلا عليه . وبالتالى القول بمفاهيم مادية ليس هو القول بقضايا فلسفية ومفاهيم خاصة. فالمادية كتعامل مع الواقع ليس هناك من ينكرها وليـس هناك مـن عاش فى عالم المعقولات وتعامل فقط مـع المعقـولات دون أن يرتبط بالارض ودون ان يتعامل مع الحياة .

2 ـ المغالطة الثانية : ايهام الجميع بان ارسطـو ماديا والامر عكس هذا حسب المفهوم الماركسى ذاته انه مجرد فيلسوف متارجح بين الواقعية والمثاليـة ولكنه فى اطار تكوينه العقلى وقضاياه التى طرقهـا ليس الا مثاليا وأفلاطونيا فى ثوب جديد. فالجديد فى أرسطو هو معالجته للقضايا الفلسفية بمنهاج يختلف فى تفاصيله عن المناهج السابقة باعتماده على واقعيـة التفكير وعلى المبادىء المنطقية ولكنه مـع ذلك فـى محتواه ظل مهويا ثابتا لا ينظر الى العالـم الطبيعـى الا من خلال الماهيات .

وبالتالى فنحن نستغرب كيف يتشبث الماركسيون فى تحليلاتهم بكلمة المادة والهيولى اليونانية بصفتها ازلية او ابدية ووجودها فى الفكر الاسلامى كذلك ؟! كيف يفعلون هذا وهم متاكدون وبـدون شـك ، ان هذه المادة لا متعينة وبالتالـى فهى مـادة موجـودة بالقوة فحسب ، وليست موجودة وجودا فعليا لان هذا يحتاج الى الصورة مما يجعلها مجرد هيولى، هيولى لا تكون موجودة الا وجود عقلانيا فقط ، وبعيدة كل البعد عن الوجود الواقعى المادى الخارجى للاشياء(10) او كما يقول ابن رشد نفسه : اذا وجدت موجودات

---

9) مشروع رؤية قراءة جديدة ص 373

10) مقال الكندي للدكتورة فوقية حسين محمود،مجلة «المناهل» العدد 7 ـ نوفمبر 76 ص 205 ـ 206

ليست فى مادة وجب ان يكون جوهرها علما وعقلا»(11) .

كيف يفعل الماركسيون هذا وهم يعلمون قبل غيرهم ان المفاهيم المادية عبر التطور التاريخى تختلف اختلافا جذريا عن بعضها البعض ، اذ كانت فى مرحلتها الاولى ساذجة ثم اصبحت ميكانيكية ، ثم اخيرا جدلية ، وهذه الاخيرة فى نظرهم هى العلمية وحدها وما عداها خيالية طوبوية مثالية.. الخ..

فكيف تجاوز المراكسة كل هذا ؟! هل أصبحوا عقلانيين مثاليين ام انها ازمة تفكير وتمرير للامور دون تمحيص لمجرد معارضة التفكير الدينى الغيبى النصى الايمانى كما يسمونه ؟!

2 ـ عقدة فصل الدين عن الحياة

ان جميع فلاسفة الاسلام لم يطرحوا قط مادية العلم منفصلة عن الالوهية ، ولم يطرحوا قط الحياة منفصلة عن الدين، ولم يطرحوا قط التصورات الدينية والمفاهيم الدينية من تفكيرهم الفلسفى، بل جعلوها المحور فلم تناقش الا القضايا الاساس وبمنظور اسلامى فى الاساس.. الا ان الماركسيين يعانون عقدة فصل الدين عن الحياة ، فهذا من المهمات الاساسية عندهم! فهم كما حاولوا اثبات الصبغة المادية على كل تفكير، عمدوا الى فصل كل تفكير ديني عن الفلاسفة وعن الحياة ، اما اللغة الدينية عند الفلاسفة فجعلوها ليست الا نتاج الظروف الاجتماعية ونتاج القمع والارهاب الفكرى ـ كما سبق ـ

هذه الحساسية تجاه الدين تتضح عند الماركسين لتصبح منطلقا فكريا اساسيا ينطلقون منه ويعتمدونه فى تحليلاتهم ويتطاولون به على العقلية الاسلامية ككل وعلى العقيدة الاسلامية خاصة .. فهذا الكاتب الماركسى محمد عمارة يرى ان اللقاء بين الاسلام والماركسية قد تم فى نقط كثيرة ، تم فى البعد الانسانى والبرنامج النضالى ، والروابط الملية والنظرة ، ولم يبق الا البعد الميتافيزيقى للدين والجانب الفلسفى الخالص من الفكر المادى وهو المتعلق بتصور الكون والوجود وبالذات المادة والفكر وعلاقة كل منهما بالآخر(12).

ان هذه العملية او هذه المحاولة شاهد على محاولة المراكسة عزل الاسلام عن الحياة لفسح المجال للماركسية فى العالم الاسلامى ، انهم يفعلون هذا على أساس مترابط بين تقرير المادية ورفض الدين، فهذا تيزيني يرى أن (طرح القضية من هذا المنظور الرشدي شكل من أشكال الفكر المادي الهرطقي المعادى للايديولوجية الغيبية التبريرية.(13)

ويرى أن المادية تعنى فى هذا الاطار الرشدى (تطور الفكر الانسانى من خلال عملية ذات شقين مرتبطين ببعضهما عضويا هما الانفصال عن التصور الغيبى الدينى للعالم . ومن طرف آخر التاكيد على الوجود المادى للعالم(14).

ويرى ان اللغة الدينية عند ابن رشد لا يمكن تفسيرها فقط انطلاقا من الواقع الاجتماعى والفكرى الذى عاش ضمنه ابن رشد والذى يتميز كما سبق وقلنا بالارهاب الفكرى الذى مارسه المتعصبون من رجال الدين ومن خلفهم الجماهير الواقعة بين أنيابهم ضد الفكر العقلانى المادى أينما وجد ومن اى مصدر كان..(15)

فماذا يقصد تيزيني بالضبط ؟ هل يقصد ان ابن رشد كان هرطقيا كافرا بالله ولا يؤمن بنظريات الاسلام الغيبية ، ولم يستطع أن يعلن ذلك نظرا للارهاب الفكرى ؟! أمر خطير على اى ، وادعاء بعيد كل البعد عن الواقع الحق لاسباب نجمل بعضها هنا :

1 ـ ان تيزينى كتب عن ابن رشد وغيره من فلاسفة الاسلام مبرزا ماديتهم ليجعل للتفكير المادى جذورا فى التاريخ الاسلامى ، وترسيخا منه للاتجاه الشيوعى فى العالم الاسلامى ، وهذا هدف لا يرتبط

---

11) المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد ، محمد عمارة ص 55.
12) المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد . ص 20
13) مشروع رؤية جديدة . ص 371
14) مشروع رؤية جديدة ص 372
15)مشروع رؤية جديدة ص 373

بدراسة الفلسفة وانما يرتبط بالتحريف والتزوير للقضاء على التيار الاسلامى .

2 ـ ان الكاتب أهمل تمام الاهمال ما فى الاسلام من اهتمام بالعالم المادى فى المقام الاول قبل اعتنائه بالعالم الغيبى . وما يراه الكاتب ماديا ما هو الا اهتمام اسلامى بالعالم الموضوعى . وهذه ظاهرة خطيرة ورجعية فى التفكير ، لانها تعيد منهجية علماء الكلام فى التأويل مرة اخرى فى ثياب ماركسية، فكل ما يناسب التيار المادى فهو تقدمى مادى وما خالفها فهو رجعي .

3 ـ ان الكاتب يهمل الدراسات القيمة التى توصل اليها كثير من الدارسين ، ففلاسفة الاسلام رغم نقلهم للفلسفة اليونانية فى صلب الفكر اليونانى وتاثرهم بها ، فانهم حوروها تحويرا يتنافى والفلسفة اليونانية لما أقاموه من مذاهب خاصة قائمة على مصطلحات يونانية ذات أبعاد اسلامية محضة ، وان كان الشيوعيون يدعون ان هذا التحوير ليس الا اضافة وزيادة للتقليل من شان دور التأثير الدينى.. وقد قدم على سامى النشار فى محاضرة له بكلية الآداب بالرباط نظرية التراجع فى الفلسفة الاسلامية ، فبينا كيف أن هؤلاء الفلاسفة المشائين اخذوا عن اليونان أولا ثم تفاعلوا مع المجتمع الاسلامى بما أخذوا ، ثم تراجعوا فقدموا عطاءهم النهائى الناضج وفى ذلك تراجعوا عن الفكر اليونانى الذى انطلقوا منه.

7 ـ ان هؤلاء الفلاسفة فى أغلبيتهم كانوا مهتمين بالعلوم الاسلامية متضلعين فيها ، فقد كان ابن رشد قاضيا فى مدينة قرطبة ومن أعرق الاسر الاندلسية وابعدها شأوا فى الفقه والسياسة والقضاء (16)وكان كما قيل : يفزع الى فتياه فى الطب كما يفزع الى فتياه فى الفقه(16).

5 ـ وفصل القول فيما يذهب اليه تيزينى فى نسبة المادية الى ابن رشد ، ان هذا الاخير لم يقل بأن العالم قديما الا تحفظا ، فاسم الحدوث اولى من اسم القدم عنده يقول :

فان الذى افاد الحدوث الدائم احق باسم الاحداث او الخلق من الذى أفاد الاحداث المتقطع (أى الاحداث فى زمان) وعلى هذه الجملة فالعالم محدث لله سبحانه واسم الحدوث به اولى من اسم القدم وانما سمت الحكماء العالم قديما تحفظا من المحدث الذى هو من شيء وفى زمان وبعد عدم ، وهو الموجود الجزئى الذى يحدث من مادة وفى زمان وبعد ان لم يكن موجودا(17) .

ويذهب ماجد فخرى تبعا لهذا فى كتابه (ابن رشد) أن الخلاف فى مسالة القدم والحدوث يكاد يقتصر على الاختلاف فى التسمية ، والغزالى انما عمد الى التهويل فى تطرقه لامر ذلك الخلاف، فخيل للناظر فى هذه المسالة ان مذهب الفلاسفة ومذهب المتكلمين فى القدم على طرفى نقيض وما هو كذلك(18).

6 ـ بل نرى الفرابى كذلك يذهب الى القول بحدوث العالم ، وينفى العالم فى كتابه الجمع بين رأيي الحكيمين: «ومما يظن بأرسطاطاليس انه يرى ان العالم قديم ، وبأفلاطون يرى أن العالم محدث ، فأقول ان الذى دعا هؤلاء الى هذا الظن القبيح المستنكر بأرسطاطاليس الحكيم هو انه اتى فى كتاب (طوبيقا) عند الكلام على القياس بمثال سال فيه : هذا العالم قديم أم ليس بقديم ؟ وزاد ظنهم هذا قوله فى كتاب (السماء والعالم) ان الكل ليس بدءا زمانيا ، فظنوا بعد ذلك انه يقول بقدم العالم ، وليس الامر كذلك ، لان الزمان انما هو ناشيء عن حركة الفلك فكيف يمكن أن يشتمل عليه(19).

بل ويذهب الى ابعد من ذلك ، يذهب الى القول بالابداع عن لا شيء مما يخالف القاعدة اليونانية المشهورة يقول : وهناك اى فى كتاب (الربوبية) تبين ان الهيولى ابدعها البارى جل ثناؤه لا عن شيء وانها تجسمت عن البارى سبحانه ، وعن ارادته ، ثم ترتبت(19).

---

16) ابن رشد ـ ماجد فخرى ص 9
17) ابن رشد ـ ماجد فخرى ص 74
18) ابن رشد ـ ماجد فخرى ص 68
19) من افلاطون الى ابن سينا ، جميل صليبا ص 55

وقد حاول الجابرى أن يرد على هذا التلفيق والتوفيق بأنه توفيق واع ، وأن الفرابى كان يقرأ الحكيمين قراءة ايديولوجية مكشوفة الدوافع والغايات، حيث كان هناك صراع اجتماعى حضارى فى المجال الفكرى وأنه حاول الجمع بين آراء معاصريه فى الرؤية الدينية والفلسفية والسياسية والاجتماعية.. فالفرابى كان يعلم ويشعر فى قرارة نفسه ان كتاب الربوبية منحول يتناقض ما فيه مع ما ورد فى كتب ارسطو الاخرى ومع ذلك كله غالب هذا الشعور وطمسه وأصر على اخفاء هذا التناقض بواسطة مناقشة تبريرية .. فالامر اذن لا يتعلق قط بقراءة بريئة لارسطو وأفلاطون بل بتأويل ايديولوجى ، تأويل هادف ، يحقق رغبة فى نفس المؤول ويستجيب لاشكاليته الفكرية العامة . ويجب أن لا نفهم من هذا أن فيلسوفنا كان يخادع نفسه ويخادع الناس، كلا ، انه كان صادقا بينه وبين نفسه ، وصادقا امام معاصريه ومخالفيه ، اذ كانت حالهم جميعا بمثل حاله لانهم كانوا جميعا يعيشون اشكالية واحدة(20).

من النصين يمكن ان نلاحظ :

1 ـ أن الفرابى كان يعلم بالرأى القائل بأن أرسطو كان يقول بقدم العالم ، ولكن رد هذا القول ليثبت القول بحدوث العالم اعتمادا على كتاب الربوبية المنحول . ومعنى هذا ان قراءته الايديولوجية لارسطو كما يقول الجابرى كانت فى صالح المسلمين الذين قالوا بالابداع عن لا شىء .

2 ـ ان هذا الرد كعملية ايديولوجية كان خاضعا للصراع الحضارى والاشكالية الحضارية للمجتمع او بمعنى ان الفرابى كان يعلم الاختلاف ومع ذلك شوه وزور وخادع .. لانهم جميعا كانوا يعيشون اشكالية واحدة ..

3 ـ لو كان الفرابى ماديا كما ذهب تيزينى ويذهب الجابرى حيث يجعله المعبر عن القوى التقدمية لكان التاويل لصالح الماديين، ولكن والتاويل جاء لصالح الحدوث فنحن امام أمرين :

1ـ الفرابى لم يقل بقدم العالم وهو صادق مع نفسه ولم ينسب هذا لارسطو ونفاه عنه ، ونفى القول المعارض استنادا الى نصوص منسوبة لارسطو على انها له :

2 ـ ان الفرابى قال ما قال وهو يعلم انه يخادع نظرا لقراءته الايديولوجية ، اتهام خطير ، واستنتاج مبالغ فيه ، ولكنه اقل بكثير مما نسب الى الجميع «اذ كانت حالهم جميعا بمثل حاله ، لانهم يعيشون اشكالية واحدة». فعلا ان هذه الجملة تبرير لمعرفة الفرابى بالخلط والتشويه ولكنه تبرير يحمل الجميع الخداع والتشويه ..

واذا تساءلنا لما يتجشم الكاتب هذا القدم فى الفكر الاسلامي والامة الاسلامية ؟ ! لكان الجواب انها تبعية المنهجية فى التحليل الماركسى الذى افترض القوى الجديدة التى تطمح الى تحقيق الوحدة . فقد كان هناك تياران سائدان فى هذا المجال هما تيار النقل وتيار العقل ، التيار الاول تلتف حوله القوى القديمة الاقطاعية وشبه الاقطاعية وغيرهما من القوى المتخلفة ماديا وفكريا فى البادية والحاضرة ، وأما التيار الثانى فلقد كان يعبر من خلال المعتزلة اولا ثم من خلال الفلاسفة ثانيا ، عن القوى الجديدة، تلك قوى التقدم والاندفاع ، وبما أنه لم يكن من الممكن قط رفض الدين بكيفية جذرية نظرا لتوازن القوى بين التيارين ، فان الحل الوحيد الذى تقبله الظروف والمعطيات الخاصة بالمجتمع الاسلامى آنذاك هو تاويله ـ أى الدين ـ بالشكل الذى يخدم التقدم ويحقق سيطرة العقل»(21).

ولا شك أنك تستغرب معى استعمال كلمة (تاويله ـ اى الدين) لانك كما سبق علمت أن الفرابى اول رأيى الحكيمين وردهما الى الاصل الدينى اى اول الفلسفة اليونانية تأويلا دينيا عن طريق نظرية الفيض

وبالتالى تستغرب كيف يجعل كل تيار النقل تيار الاقطاعية والقوة المتخلفة ولا يستعمل العقل ؟! ألسنا فى صميم عقدة فصل الدين عن الحياة ، التقدم والعقل ؟! وان لم يكن الامر هكذا فما معنى ان نجد مثل هذه التقريرات :

---

20) اقلام (المغربية) العدد الاول 1976 ـ ص 19 مقال مشروع قراءة جديدة
21) اقلام ، مقال مشروع قراءة جديدة ، ص 41

« انه جـد (الكندي) ذلك الميل المبكـر لطرحـه لمشكلات الوجود بشكل يختلف بل متناقض مـع الطرح النصي الايماني؟!(22) .

او مثل : كان (ما فعله الكندى) ولا شك خطوة على طريق اضعاف الاتجاه النصي اللاعقلاني آنذاك(23)

او مثل : «ظل الكندى يتحرك على ارضيـة غيبيـة بالرغم من محاولته اكتساب العلميـة اطـارا معلمنـا ورياضيا » (23) .

ما معنى هذه المصطلحات ، النصي الايمانـي ، والنصي اللاعقلاني والارضية الغيبية ان لم تكن عقدة فصل الدين عن الحياة ولو باصطناع هذه المصطلحات التي توهم القارىء هذا الفصل ، ففى اى وقت كانت العقيدة الاسلامية لا تقوم على النظـر العقلـي ؟! ان استغباء القارىء يستمر دائمـا فـي هـذا التحليـل الماركـسي من خلال الهجوم على النصيين اللاعقلانيين، وكأن النص لا يقدم قضية عقلانية.. ان هذه الهجمات لا يستفيد منها بتاتا هؤلاء الفلاسفة ، انها هجمـات المقصود فيها القارىء نفسه ، ليستقر في نفسـه ان هناك ارضية دينية غيبية وأرضية علمانية عقلانيـة.. تكريسا للعقدة الاساسية : فصل الدين عن الدولة ، وفصل الدين عن العلم ، وفصل الدين عن الحيـاة . تلك العقدة العاملة على تجريد الدين من كل امكاناته الواقعية الحياتية حتى يصبح مجرد تصور اعتقـادى لا يتعلق الا بالغيبيات .

3 ــ الانحياز الايديولوجي فى التحليل :

ان التحليل الماركسي يحاول كمـا رأينـا الصـاق المادية بفلاسفة الاسلام وبالتالي يجعلهـم معانديـن ومتصلبين ضد الاتجاه الاسلامي .. وما دام رفـض الدين والمادية متلازمين على الصعيد الفكري فهمـا متساوقان كذلك على الصعيد المنهجي ، ولا علية ولا سببية لهذا التساوق غير المنطلق الثالث فى التحليل الماركسي ، اى اخضاع منهجية البحث والموضوع معا لقالب ايديولوجي منسق ومسبق ، وهذا مـا يمكـن تسميته بالتحيز الايديولوجي فى التحليل .

لتوضيح الامر علينا ان نعود الى منهجية التحليل الماركسي نفسه لنتبين أهم سماتها فيها عمليا. وفى هذا لا نعود الى المنظومة الماركسية فى اصلها بـل نعود الى المنطلقات والمرتكزات المستعملة فى التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية ، التى يمكن اجمالهـا فيما يلي :

1 ــ منهجية الرد والارجاع

تنطلق المنهجية الماركسية من ان النظرة الكليـة مرتبطة بالواقع الاجتماعى العام ، يقول الجابرى : ان هذه النظرة الكلية التى تتناول كل جانب من جوانب تراثنا فى اطار الكل الذى ينتمي اليه والتى تربـط هذا الجزء ــ فى اطار الكل ــ بالواقع الاجتماعى العام الذى يؤسسه ، هى وحدها الكفيلة بامدادنا بصورة عن تراثنا تحتفظ له بخصوصيته وأصالته وبمكانتـه فى الصيرورة الانسانية العامة»(24) .

اذن فالعملية الاساسية فى المنهجية الماركسيـة هى ربط الجزء فى اطار الكل ، اى ربطـه بالواقـع الاجتماعى العام ، وهذا الربط فى حقيقتـه ليـس الا قلبا وعكسا للقضايا من اطارها الفكرى الى اطارهـا الواقعي الاجتماعى ، يقول الجابرى متحدثا عن رئيس المدينة الفاضلة عنـد الفرابـي : ان هـذا الـرئيـس الفيلسوف الذى سيكون قمة الدولة ــ ستكون مهمته انشاء آراء وتشريعات تتكلف النخبة المثقفة الموزعة حسب نظام هرمى بتطبيقها على جميع المجالات ، وعلى كل المستويات ، ان هذا البناء الهرمى الاجتماعى يبدو وكأنه مستوحى من البناء الهرمى الكونى الذى اسسته نظرية الفيض ، ولكن الحقيقة هى العكس : فمشروع التنظيم الاجتماعى فى المدينة الفاضلة هو الذى اوحى بالنظام الهرمى على الصعيد الميتافيزيقي وتلك ظاهرة من ظواهر القلب الايديولوجي المعروفة»(25) .

وقد يقول ماركسي ان هذا العكـس وهذا القلـب الايديولوجي يقوم به الفكر المتافيزيقى حيث لا يرد الامور الى اوضاعها الاجتماعية ، وهذا بطبيعة الحال

---

22) مشروع رؤية جديدة لتيزيني ص 282
23)مشروع رؤية جديدة لتيزيني ص 269
24) مشروع قراءة جديدة ــ مجلة اقلام ــ العدد 1 ــ مارس 1976 ص : 12
25) مشروع قراءة جديدة ــ مجلة اقلام ــ العدد 1 ــ مارس 1976 ص 14

لا يهمنا ، ان الذي يهم ان هناك عكسا وقلبـــا يعكس ويقلب من جديد ليرد ويرجـع الامـر الـى نصابـه وحقيقته .

أما الامثلة على هذا الرد والاجتماع فـلا تعـد ولا تحصى في التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية نقف منها على رد مسالة التوفيق بين الدين والفلسفة الى الصراع بين تيارين ، تيار النقل النصى اللاعقلاني ، وتيار العقل التقدمي ، هذا الصراع الذى يرجع بدوره الى الصراع الاجتماعي الحضاري بين الفئة الاقطاعية والفئة الارستقراطية التجارية. يقول الجابري فى ذلك: من هنا تلك المحاولات التوفيقية بين الدين والفلسفة المحاولات التى كانت تستهدف البحث عن الجسر الذى يصل القوى القديمة بالقوى الجديدة تلك ، حتـــى يتاتى تلافى الاخطار التى تهدد كلا منهما(26) .

ونقف كذلك عـلى الارجاعية التـى تنسحب علـى الدراسات الاسلامية الحديثة حيث ترد الى الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية السياسية. يقول تيزيني: الاتجاه السلفى الحديث يعبر عن العلاقات الاقطاعية القديمة المتخلفة والمتبلدة اما الاتجاه التجديدى فهو تعبير أعلنته العلاقات الاجتماعية الرأسمالية الجديدة ضـد العلاقات الاقطاعية ، غير ان هذا النضال قد تم ضمن تواطؤ تاريخي ، بين الطبقتين الاقطاعية المضمحلـة والبورجوازية العاجزة(27) .

اننا نرى هنا الاحكـام عامـة وصارمـة ولكـن اذا تساءلنا ولما يخرج تيزيني من هذا التواطؤ التاريخي الماديين التاريخيين ؟! فهل هم يعيشون خارج هـذا الاطار الاقطاعي البورجوازي ؟! وان كانـوا خارجيـن عنه فما هو اطارهم الاجتماعي الاقتصادى التاريخي ؟! لا شك ان تيزيني سيجيب أن المسالة هنا هى مسألة وعى بهذا التواطؤ ورفض له ، وبهذا يقع تيزيني فى موقف ايديولوجي عقائدى (دينى) محض لا يستند على أساس اجتماعي اقتصادى خاص به ، وانما يستند الى تفسير خاص لوضع اجتماعي خاص ، له تفسيراتـه الخاصة ، او بمعنى آخر أن الوضع الاجتماعى واحد، ولكن تفسيره يختلف ويتعدد ، وهنا تطرح اشكالية اخرى اذا كان التفسير المادى التاريخي مجرد تفسير من بين التفسيرات الممكنة ، فما هو الدليل الـذى يقوم عليه ، والذى يقدمونه عـلى صـواب العمليـــة الارجاعية الردية فى هذه المنهجية ؟!

منهجية التمرير :

ههنا تبرز خاصية وسمـة اخـرى فـى المنهجيـة الماركسية ، فالتحليل الماركسي لا يقدم اية حجة ولا أى تبرير غير عملية الرد والارجاع ذاتها كمسلمـــة علمية ، وما هى كذلك، يقول الجابرى: اننا لا نحتاج هنا لمناقشة مثل هذه الافتراضات خصوصا ونحـن نحاول قراءة الفرابى على ضوء معطيات عصره ومشاكل مجتمعه ، فلنقرر اذن منذ البداية ان الفرابى كان فى تحليله للمدن المضادة للمدينة الفاضلة ينتقد المجتمع الذى كان يعيش فيه(28).

فالمسالة كما نرى تقرير منذ البداية تقرير تنطلق منه التمريرات لمشكلات ضخمة على أساس القـراءة الجديدة ، فى ضوء معطيات العصر ومشاكل المجتمع، أى ارجاع ورد كل المعطيات اليها، والنماذج والقضايا التمريرية لا تحصـى حـى الاخـرى ، ومن القضايـا التمريرية عند محمد عمارة(29) : (ان الشقة التـى تتسع بسرعة) كما يقول بين المادية والمثالية، يطويها طيا مع الفكر الدينى ، (وهو معدود ضمن انواع الفكر المثالى) ليطرح سؤالا : (هل مـن الممكـن ان يكـون ماديا وفى الوقت ذاته مؤمنا) ثم يجيب بأن (الاجابة جاءت بالايجاب) . وهذه ، هى نفس اللعبة او الخدعة التى اشار اليها الجابرى واتهم بها الفرابى ليعطى فيما بعد لنفسه الحق فى ممارستها(30). فالفرابى كان على علم ووعى بالفوارق العميقة بين افلاطون وأرسطو ومع ذلك وفق ، هو فى ذلك لا يخدع نفسـه ولا يخـدع

26) مشروع قراءة جديدة ـ اقلام ـ 1 ـ ص 42

27) مشروع قراءة جديدة ، تيزينى ص 128

28) مشروع قراءة جديدة ـ اقلام ص 44

29 ـ 31) المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد ص وص 22

30) طرح القضية فى العدد الاول من اقلام فى مقال مشروع قراءة جديدة للفرابى ص 19 ثم تبناها فى العدد الثالث من اقلام فى مقال التاريخ والفلسفة ص 28. مفادها ان المادية التاريخية سنة الله فى الكون.

قراءه بحجة أن العصر والظروف تتطلب هذا التركيب وهذا التوفيق .

ومن القضايا التمريرية كذلك ، أن عمارة وجد تناقضات وتعارضا فى أفكار الفيلسوف ابن رشد ـ كما يقول ـ فتقبلها على علاتها ، ولم يحاول ردها الى الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية ، بل ردها الى ان للشرع ظاهرا وتاويلا ، فالظاهر للعامة والتاويل للعلماء فابن رشد مرة يكتب للعامة ومرة يكتب للعلماء ، ومن هناك كان التناقض والتعارض.(31) ومنها انه : ينفى ان يكون العالم قد خلق فى زمان أى أن يكون قد تقدم خلقه زمان كما ينفى ان يكون قد خلق من مادة. وهذه نظريته للخاصة ، ونظرية يقول فيها أن العالم وقع خلقه اياه فى زمان وأنه خلق من شيء وأن هذه للجمهور(31).

فما ذهب اليه عمارة يخالف ويناقض ما ذهب اليه تيزيني من ان ابن رشد قال بقدم العالم وبالخلق من شيء للخاصة ، فهذا ماخوذ عن الفلسفة اليونانية التى يرفضها عامة المسلمين النصيين ، وهذه مشكلة فى حاجة الى تحقيق دقيق، ولكن عمارة له غرض فى عدم التحقيق فى الامر وتمريره حتى يصل الى الاستغناء عن جميع مؤلفات ابن رشد لانها للجمهور والاكتفاء بكتاب تهافت التهافت يقول : فهذا الكتاب هو بغيتنا اذا شئنا التعرف على الموقف الفلسفى لابن رشد من قضايا العلوم الالهية(32) ويصل بنا الى غايته النهائية ، نفس التوفيق ـ اللعبة ـ الخدعة الواعية لان الظروف تتطلبها كما قال الجابري عن الفرابى . فالماركسية فى ازمة ، وفى حاجة الى توفيق مع الاتجاه الدينى . ولست أدرى بالتالى لما لم يدخل تيزيني هذه اللعبة ـ الخدعة الواعية ضمن التواطؤ التاريخي ؟ ! يقول عمارة مبررا ذلك ، حتى يكون حديثنا عن ابداع ابن رشد لتصور فلسفي للكون والله والعلاقة بينهما يمكن ان يحل محل اتفاق بين الفلاسفة الماديين والمفكرين المسلمين(33) وهذا يذكرنا بتمرير آخر قال به تيزيني من قبل وناقشناه فيه، وهو قول ابن رشد بازلية العالم وأبديته ، اى قوله بالمادية ، ولم يتوقف عمارة ـ وكذا تيزيني ـ مليا عند النصوص التى اوردها بنفسه فى كتابه ليتبين عمق المشكل ، يقول : ان معنى التكون هو انقلاب الشيء وتغييره مما هو بالقوة الى الفعل ، ولذلك فليس يمكن ان يكون عدم الشيء هو الذى يتحول وجودا ولا هو الشيء الذى يوصف بالكون ، أعنى الذى نقول فيه: انه يتكون فيبقى الايكون هاهنا شيء حاصل للصورة(34) .

وواضح هنا أن ابن رشد يلح على الوجود بالقوة الذى ليس بعدم وليس بكون ، وانما هو حالة ثالثة كما يقول عمارة نفسه :

ودرجة اخرى غير حالتى العدم والوجود بالفعل وهى حالة الامكان اى الوجود بالقوة(35).

وبهذا يبقى ما قاله ابن رشد نفسه «الا يكون هاهنا شيء حاصل للصورة» بمعنى ان الازلية والابدية ليستا بشيء حاصل للصورة ، أى ليستا بمادة محسوسة لها صورة . انها امكان فقط وجود بالقوة فقط ، وهذا معقول ومقبول ومتطابق مع ما ذهب اليه من أن الخلق مستمر بنفس القانون والطريقة، وبالتالى فهذا يتمشى مع النصوص التى سبق ان اشرنا اليها سابقا كعدم ذكر الحدوث للتحفظ فقط وهو اولى من لفظ القدم، أو كما قال عمارة نفسه فى نص آخر ان الوجود عند ابن رشد : وجود بالقوة تكون فيه الذات فى حالة الامكان وهذا هو العدم ووجود بالفعل يحدث للوجود بالقوة بواسطة الفاعل وهذا هو معنى الايجاد والفعل والخلق والاحداث اذ «الممكن هو المعدوم الذى يتهيأ أن يوجد وألا يوجد»(36)

اذن فتمرير المفهوم المادى فى صلب الفكر الاسلامي امر صعب للغاية ، وشائك ، يفضح نفسه بنفسه ، ولكن لما كل هذا العناء ؟ ان الماركسيين فى تحليلاتهم هذه يريدون ايهام الجمهور العام والقارىء خاصة ، ان المذهب المادى الذى ينادون به له جذور

---

32) المادية او المثالية ، ص 28
33) المادية او المثالية ص 47
34) المادية او المثالية ص 66
35) المادية او المثالية ص 65 ـ 66
36) المادية او المثالية ص 69

فى التاريخ الاسلامى والمجتمع الاسلامى ، وأنه ليس غريبا عن البيئة الاسلامية ، وهذه دعوى فيها من الخداع والكذب على النفس ، وعلى الناس ، الشىء الكثير ، وهى بالتالى تبرير فارغ من مضمونه ، لان المسلمين لم ينكروا يوما وجود التيارات الملحدة فى العالم الاسلامى، كما انهم لا ينكرون العلاقة بين الفكر والواقع الاجتماعى وما بينهما من تاثر وتاثير غير انعكاسى بالمرة . هذا امر لا يناقشونه ، ان الذى يرفضه المسلمون هو أن يكونوا ماركسيين فى مقولات تفكيرهم ، ان الذى يريدونه هو ان يكونوا ذيلا لايديولوجية يهودية ، وبتخطيط يهودى ، فهم المروجون له والساهرون على تنفيذه ، وبالتالى فهم يرفضون التوفيق (اللعبة ـ الخدعة) ، وينطلقون من الاستيعاب والاحتواء لان الامر اكثر دقة . انه الصراع بين الاسلام والجاهلية .

منهجية الاضفاء والتعميم :

هذا الوضوح وهذه المواجهة تقودان مباشرة الى سمة اخرى فى المنهجية الماركسية وهى الاضفائية والتعميم التى تبرز بشكل أو آخر التحيز الايديولوجى الذى تتبعنا خيوطه ومساراته ، ان الاضفاءات والتعميمات فى حقيقة الامر لا تكشف بالمرة هوية الموضوع المدروس ، وانما تكشف هوية الدارس ، فاضفاء مصطلحات الاتجاه الماركسى على الاحداث والشخصيات والافكار التاريخية لا يهمهم بتاتا، فنحن عندما نقف امام تعبيرات كتعبيرات اهل السنة المحافظين المتزمتين ، او الاتجاه السلفى النصى الغيبى اللاعقلانى واللاتاريخى ، او الذين يمثلون الفكر الغيبى التبريرى المثالى ، او نجد بالنسبة للمعتزلة الحركة العقلانية التقدمية الثورية ، او نجد مفاهيم اليمين واليسار والتقدمى والرجعى ، او نجد مفاهيم الطبقات الاجتماعية والعلاقات الطبقية وعلاقات الانتاج والاقطاعية والبورجوازية والرأسمالية ، والى غير ذلك من الاطلاقات والارسالات التى اطلقوها وارسلوها ، نجدها لا تحدد لنا بتاتا هوية الشخص او الحدث او الفكر الانتمائية قط ، ولكننا نجدها تحدد لنا هوية الدارس فحسب .

هذه الاضفائية التعميمية للفكر الماركسى على التاريخ الاسلامى والمجتمع الاسلامى ، شعر بها ماركسى آخر ، ولغاية فى نفسه ـ يمكن ان تكون التوفيق ـ أقر بها واعترف ، ويمكن على مضض ، او تجاوزا للموقف المسدود الذى وقعت فيه الماركسية بعد هزيمة 67 . ولا نقول مخادعة لان الموقف والظروف الخاصة بالماركسية فى العالم الاسلامى تتطلب هذا . يقول : والمهم ليس هذا المبدأ المنهجى ، بل المهم تطبيقه على الواقع المشخص والتقيد بمعطيات هذا الواقع المشخص ، والسلسلة التى استخلصها ماركس من تاريخ اوربا وانطلاقا من المرحلة الرأسمالية لا تنطبق على التاريخ الاسلامى فلم يعرف هذا التاريخ عصر عبودية كما عرفته اليونان والرومان ، ولا عصر اقطاع بنفس الشكل الذى عرفته أوربا ولا النظام الرأسمالى بنفس الشكل الذى عرفته به أوربا ، اما الاسلوب الاسيوى للانتاج فلم يعرفه التاريخ العربى ولا التاريخ الاسلامى اذا صح الفصل بينهما : اذن هناك خصوصية ، هناك نوع من التطور خاص يجب الكشف عن قوانينه(37) .

هذا النص يرينا كيف أن التحليل الماركسى يضفى ويعمم السلسلة الماركسية ، ويرينا كيف ان الماركسيين انفسهم يرون أن هذا التطبيق لم يعرفه العالم الاسلامى(38) .

ان هذا التطبيق للسلسلة الماركسية تلاقى صعوبات وتقع فى تناقضات ، فهى تنفى المرحلة العبودية فى التاريخ الاسلامى ، وتقرر الاقطاع والبورجوازية وحتى الرأسمالية فى اطار اجتماعى واحد عرف دفعة واحدة ان المسألة مجرد اضفاء وتعميم وتعويم كل أنواع المراحل فى السلسلة الماركسية وكأن العصور الاسلامية تمثل وحدة اجتماعية اقتصادية دامت اربعة عشر قرنا دون تغيير يذكر او كأنها تمثل العصور الحديثة فى كل تطوراتها الاجتماعية الاقتصادية.

أليس مجمل هذا ان العالم الاسلامى لا يخضع للتحليل المادى التاريخى ؟ وبالتالى هل هناك قانون اجتماعى اقتصادى يكمن أن نسميه بالمادية التاريخية؟ ان المسألة مجرد اضفاء وتعميم وتعويم

---

37) مشروع قراءة جديدة ـ اقلام ـ 1 ـ مارس ص 26

38) ماركسية القرن العشرين روجيه جارودى ، وكذا محاضرة له نشرت فى مجلة الطليعة المصرية سنة 70.

المقولات والشعارات، فالامر يتطلب الكشف عن قوانين خصوصية للمجتمع الاسلامي تتسع لكل خصوصيات المجتمع الاسلامي ، وهذا معناه رفض الماركسية والمنهج الماركسي والانحياز الايديولوجي الماركسي .

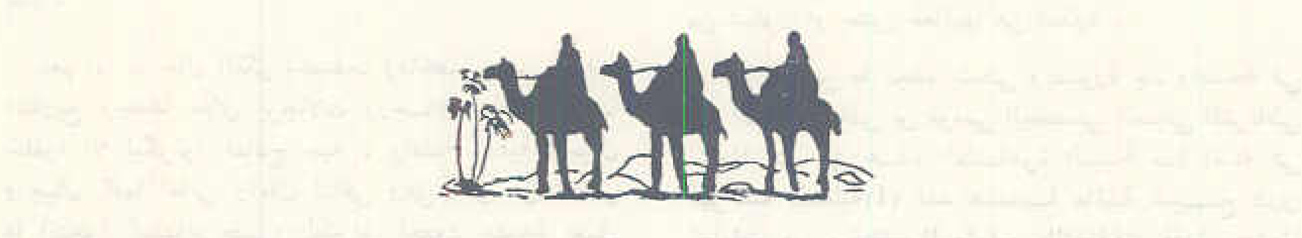
هذه النتيجة التي توصلنا اليها تدفعنا الى تساؤل آخر عن سمة اخرى من سمات الاضفاء والتعميم في المنهج الماركسي : ان هذه المنهجية لا تحدد الا الاطار غير المباشر في الاحداث والوقائع والافكار ، الاطار ذو التاثيرات البعيدة التي يشترك فيها كل المعاصرين لتلك الظروف. وهذا نشعر به تماما عندما نجد انفسنا قد انتقلنا من البحث الفكري الى بحوث تاريخية اجتماعية لا صلة لها بالموضوع الا في الاطار غير المباشر او في تلك الردية الارجاعية القائمة على التمرير للقضايا دون التمحيص والتدقيق او في تلك الاضافاءات والتعميمات التي تفجر الانحياز الايديولوجي دون مراعاة التناقضات الواقعية اثناء تطبيق هذه الاضفائية التعميمية .

منهجية الاحتواء والتوفيق :

لا اشك ان القارىء يتساءل لما كل هذا ؟! هل للتحليل الماركسي من غاية في منهجيته هذه ؟

اننا نلاحظ من خلال السمات الاساسية لهذه المنهجية انها حاولت احتواء الفلسفة الاسلامية ماديا أولا وماركسيا ثانيا ، واستعملوا في ذلك التوفيق كسلاح جديد !

لا نقول انهم لن ينجحوا ، وانما نقول فقط ان عمليتهم الاحتوائية التوفيقية هذه مفضوحة جدا ، وأن فاضحها هو زمان انطلاقتها ، فهي لم تظهر قبل سنة 67 وبعدها الا نادرا ، ولكن بعد سنة 1970 اصبح الامر واضحا والخط بينا ، أن الاتجاه الشيوعي في العالم العربي انهار فعليا بهزيمة 1967 ، فجرد الماركسيون اقلامهم للهجوم على الدين مباشرة كسبب رئيسي في الهزيمة لتغطية عجزهم وانهزامهم، ففجروا قنابلهم الواحدة تلو الاخرى آنذاك ، ابتداء بالانقلابية الايديولوجية لنديم البيطار ، ونقد الفكر الديني لجلال العظم ، والايديولوجية العربية المعاصرة للعروي ، ولكن مرت الايام ، وابرزت الحقيقة ان تلك التهجمات لم تكن الا لطمس حقيقة الانهزام وان الطريق مسدود. شعروا بالحيرة من امرهم واستدعوا خبيرين في الاتجاهات الايديولوجية الماركسية ما كسيم رودنسون اليهودي وروجيه جارودي المسيحي ، ليحاضرا ، بل ليفتحا الطريق المسدود ، ومن يومها اى من سنة 1970 حيث حاضرا في مصر بدعوة من الاتحاد الاشتراكي ، ونشطت الاقلام في مشروع القراءات الجديدة بمعنى الاحتواء والتوفيق ، ونحن نكرر القول بأن هذا الطريق مسدود هو الآخر لكونه مفضوح بالخبيرين اليهودي والمسيحي ، ولا نقول الصهيوني والصليبي تحفظا .



أبو الفضل عياض المعلم

من خلال مشيخته الادبية

للاستاذ عبد الله الجراري

من الجلى ان الناس تختلف درجاتهم ومقاماتهم باختلاف المواهب التى يتوفرون عليها والاستعدادات المطبوعة بطابع النشأة الاولى والتكوين الفطرى للنوع البشرى ـ (لولا مواهب فى بعض الانام لما تفاوت الناس فى الاقدار والقيم) ـ طموع وعمل كنقطتين اساسيتين يتكيف بهما الفرد اليقظ جاعلا نصب عينيه حياة شخصيات انصفها التاريخ فى سجله الامين فكانت نبراسا للاهتداء والاقتداء حفزت وفى قوة نفوسا كبارا سعت للالتحاق بالصفوف والعمل جاهدة لبلوغ الهدف الذى لم يكن وما كان وقفا على طائفة دون طائفة بل كان طيعا وفى خدمة كل من تهون عليه ذاته فى سبيل النبل والكرامة وفى تضحية متلاحقة بكل ما يحب ويهوى من ملاذ ورغائب لا تقوم على بقاء .

نعم اذا ما جال الفكر متصفحا وفاحصا بعض فترات التاريخ وجدها ملاى برجالات ورجالات خلقوا وما خلقوا الا ليكونوا نماذج حية ، وأمثلة واعية لاجيال واجيال كلها امانى وآمال لتلقى وعلى احر من الجمر ما انتجوا كمنهاج يضىء الطريق لجهود جديدة تعمل وفى خلق وابتكار يخطوان نحو الواقع المتجدد والمتطور عبر التاريخ وفى شتى مرافق الحياة علما وفنا ـ فهذا القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى نجده طافحا بالاعلام والمفكرين وعلى اختلاف هواياتهم واتجاهاتهم واستعداداتهم الثقافية ، فعقب تدرجاتهم الطبيعية فى التنشؤ والاخذ بدءا ونهاية نرى البعض وفى نهم تلقائى غير مقتنع بما افاده من شيوخ بلده فقد يكون فى نظره استنفد ما لديهم من فنون ومعارف لا تفتأ تنمي طاقته العرفانية للبحث عن آخرين توفروا على علوم وروايات تسمو بعلمه الى الاوج الذى يطمح اليه كصادق فى الطلب يسعى وفى جهد لتحقيق المطامح واهتبال الفرص للقاءات تفسح له مجالات اوسع نطاقا وأبعد مدى للتطلع على ما قد يكون غاب عن اساتيذه الاول من علوم لها فعاليتها فى تلقيح أفكاره وشحذ آرائه وأيضا اضافة ما لم يكن درج فى مدرسته الاولى .

عوامل لها ابعادها فى تأصيل المعرفة وتمتين القواعد التى لا تعتم تذيب كل ما يمكن ان يساورها من شكوك او يعتور معالمها من شذوذ .

هذا واكثر ما نجده يتجلى وبصورة جد واضحة فى ابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى الغرناطى ـ ولا ادل على هذه الظاهرة النبيلة ما اثبته فى فهرسته الخطية(1) فقد ضمنها مائة شيخ ذوى كفاءات فى مختلف المعارف والثقافات فقها وحديثا وقراءة وأدبا ـ كأبى عبدالله محمد بن عيسى التميمى يقول فيه مترجمنا السبتى : لازمته كثيرا للمناظرة فى المدونة والموطا وسماع المصنفات واجازنى جميع رواياته ونرى هذا السلوك من ابى الفضل يجرى مع عدة شيوخ وفيما يهدف لنوعية تلك المصنفات، والذى

اريد ان اطرقه في مشيخته وفي لمسات خفيفة هادفة هي الناحية الادبية وما كان له فيها من يد طولى وضاءة في كتـابة «الشفـا بتعـريف حقوق المصطفى» رغـم طاقته الثرية في باقي العلوم .

فقد درس على ابى عبدالله بن حمدين التغلبي اجل رجال الانـدلـس وزعيمهـا وجاهـة ونباهـة والنظـر الصحيح في الادب نثرا ونظما قال : جالسته كثيرا وأخذت عنه بعض رسائله ، وورود على الامام ابـي حامد الغزالي كما سمعت منه رسالته لابن الشمـاخ من هذا روايته عن يحيى بن يحيى الليثي المصمودي عن مالك بن انس رحمه الله قال: بلغني ان لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال يابني : جالـس العلمـاء وزاحمهـم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة ، كمـا يحيى الارض الميتة بوابل السماء .

وصية لها فعاليتها في البعث والتكويـن الناشئين عن الاتصال والمثاقفة في احتكاك صادق مع رجال الثقافة الحق .

ونجده ياخذ عن الاديب الراوية ابى عبد الله بن سليمان النغزى عرف بابن اخت غانم ـ كتاب الكامل لابى العبـاس المبرد في منزلـه بقرطبة ، قـال : ودرسته بسبتة سنـة 493هـ علـى الاديـب صاحـب الشرطة ابى بكر الجزيرى ، وسمعت منه كثيرا على شيخنا ابي علي التاهرتي ـ كتاب (اصلاح المنطق) ليعقوب بن السكيت ، وكتاب الالفـاظ له سمـاعـا ومنـاولة لما فـاته منه .

وفي ثنايا هذه المشيخة تتفجر طاقة اخذ المترجم عياض ، وفهمه الفياض ، ومن ثـروة الادب العربـي ودراسة ما كتب فيه وعنه من امهات ـ ككتاب الزاهر لابى بكر الانبارى ، والامالي لابى على القالى البغدادى والتعرف على جميع تآليفه سندا واجازة .

وكتاب الحماسة لابى الفتوح ثـابت الجرجـاني ، وكتـاب مختصر العين (1) لابى بكـر بـن الحسين الزبيدي الاشبيلي وهو وبما كان له من ولوع لغـوي نجده يتلمذ للشيخ ابى علي بن طريـف النحـوي التاهرتي ت : 501هـ فيدرس عليه النحو والادب وجمل ابى القاسم الزجاجى ، والواضح للزبيدى والكافى لابى جعفر النحاس ، وكثيرا من كتاب (المقتضب) للمبرد ،وآداب الكاتب (2) لابن قتيبة الذى شرحه ابن السيد البطليوسى وسماه : (الاقتضاب في شرح ادب الكتاب) والايضاح للفارسى ، وكتاب الفصيـح لثعلب ، وقرأ عليه اكثر كتاب الامالي للقالى ، كما سمع منه الكثير من كامل المبرد .

ومن بين رجالات اساتذته خلف بن فرتون امام النحاة والآداب قال : جالسته كثيرا وذاكرته وتلقيت منه فوائد جمة ، وكان ينشد لابـي وهـب الزاهـد القرطبي الابيات التالية :

انا في حالة كما قد تراهـا
ان تأملت اسعد الناس حـالا
ليس لى كسوة أخاف عليهـا
من مغيـر ولـم تر لـي مـالا
اضع الساعد اليمين وسـادى
ومتى ما اشا وضعـت الشمـالا
قد تنعمت حقبة بامـور
ثم دبرتهـا فكـانت خيـالا

ومن اعيان الاشياخ الذين ثاقفهم وتلقى عنهم مادة الادب الرفيع الاستاذ عبد الواحد بن يوسف البغدادى الفهرى ت : 527هـ والذى يكفى ان تحدث عنه ابو بكر عبد المجيد بن عبدون اليابرى الوزير الكـاتب مما نتنور من بين سطوره مدى الاختيار الذى كان يترسم خطاه باحثا وبالحاح عن رجال المادة المبرزين في علوم العرب ودواوينها وماينبثق عن ذلك من آيات ومفاهيم لها مقاصدها الهـادفة التـى لا تلبث تعرف قاصدها بمزايا اللغة وما تحتضنه مبانيها من اسرار دقيقة نثرا وشعرا وضوحا وغرابة يقول ابو الفضل عن ذي الوزارتين ابن عبدون (3) : لقيته بسبـتة في انصرافه . وأقسم لى انه ما قصـد سبتة الا للقائى والاجتماع بى ، ثم سالنى عن اشياء في نفسه وجرت

1 ـ ترجم نصه وعلق حواشيه وقدم له الاستاذان علال الفاسي ومحمد بن تاويت الطنجي .
2 ـ احد الكتب الاربعة المعتمدة في الادب فيكـون باقى كتب الادباء فروعا عنها كما لابن خلدون.
3 ـ ترجمه صاحب فوات الوفيات ج 2 ص 19 .

بيننا مذاكرات انشدني اثناءها رائيته التي رثى بها ملوك بني الافطس عارضا فيها لمن ابادته الحدثان من ملوك كل زمان مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثــر

فما البكاء على الاشباح والصــور

الى ان يقول :

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة

فدت عليا بمن شاءت من البشر

وهو كالسيل الجارف يندفع فى هواية غريبة متقريا اشياخ الادب والاتصال بهم اخذا ورواية ـ كالاستــاذ النحوى ابى الحسن التنوخي عرف بابن الاخضر كان اكثر دراسته على ابى الحجاج الاعلم 498هـ فحدثنــى بشرح الاشعار الستة لابى الحجــاج ، واجــازنى عنه جميع تآليفه ـ كشرحي الحماسة وشعر حبيب وغيرهما وأنشدنى فى نفس الوقت لبعض شعراء الادب الابيات التالية :

وزاد وضعت الكف فيه تأنســـــا

وما بى الا انسة الضيف من اكـــل

وزاد رفعــت الكـف عنـه تكـرمـا

اذا ابتدر القوم القليل من الثفــل

وزاد اكلناه ولم ننتظــر بــــه

غدا ان بخل المرء من أسوأ الفعل

ولست فى حاجة لشرح الابيات فمد لوليها منها وفيها .

وها هو مرة اخرى يتلمذ لابى لحسين بن عبدالملك الوزير اللغوى الحافظ الذى كانت الرحلة اليه بعـد ابيه فى تقييد كتب الادب والغريب ، ودراسة كتاب سيبويه يقول ابو الفضل : قرأت عليـه كتاب ابـى عبيد القاسم بن سلام كما اخذت عنه كتاب الغريبين قوله :

بث الصنائع لا تحفـل بموقعهـا

فى آمل شكر المعروف او كفـــرا

كالغيث ليس يبالى حيثما انسكبت

فيه الغمائم تربا كـان او حجـــرا

تراه لا ينفك من فينة لفينة يجلب الينا شعــرا لــــه ابعاده فى بث الوعى وايقــاظ النفوس لمكــارم الشيم ومحامد الخلق وهو فى ذات اللحظة يسبح فى خضم الآداب الواعية وفى لمة من زعماء الفن يتدارس واياهم فى عمق ما شرد وعز رغبة فى استكناه اسرار اللغة واستبطان مفاهيمها عسى ان يصيب من فقهها ما تسمو به المدارك ويتجلى فيه الادب الرفيع بمعناه الواسع حيث لا يفوته بما يعطاه اليوم من تعاريف تكسوه حلة الشمــول لمرافق الحيـاة ومـا تهدف اليـه فى شتى المجالات الانسانية .

هذا واكثر ما نراه متجليا وبقلم حى وقتما نتصفح بعض آثاره العلميــة والادبية كـالشفـا، والطبقــات ، والمدارك ، والمشارق والاعلام بحــدود قواعــد الاسلام ، والفهرست خاصة كتاب الشفا الذى كان بحق شفاء للاسلوب والقلوب :

فقالوا اراك تحب الشفـــــا

وتخبر فيه عـن المصطفــى

فقلت لانى عليل الفـــؤا

د وكل عليــل يحــب الشفـــا

وكمثال خفيف يلقى (هوالآخر)اضواء على هذه الظاهرة الرائعة نلمسه ونحن نردد بيتين ارتفع فيهما الى القمة بلاغة وتشبيها يذكرنا على التو بشعر ابن المعتز وقد ساعده محيطه ولكن على مسرح الطبيعة قال :

انظر الى الزرع وخاماتـــــه

تحكى وقد ماست امام الريـــاح

كتيبة خضراء مهزومــــة

شقائق النعمــان فيها جـــراح

ولابد ان يسمو اسلوبه قريضا ونثرا ومـن بين اساتيذ مدرسته خلف بن يوسف بن فرتون النحوى الثقة علما وأدبا اذ كان كعبة الادباء بالاندلس والمغرب جميعا . وبعد فلم يكن ولوع ابى الفضل عياض الادبى وتردده على مدارسه وتكرار نصوصه ومصنفاته كالكامل الذى كان يمتزج بنفسه لكثرة ممارسته وعلى جمهرة من اعلام الفكر والادب لم يكن ذلك لينسيه او يثنى طاقته الثقافية عن باقى العلوم اصولا وفروعا خاصة علم القراءات وتوجيهاتها والتردد على حلقاته وأخذه عن

غيرما استاذ ـ كالمقرى ابى القاسم خلاف المعروف بابن انخاس قال : ناولنى كتاب طبقات القراء لابـى عمرو كما كانت اليه الرحلة وعلم القراءات اثناء العقد الثانى بعد الخمسمائة طالما كان هذا النوع من العلوم القرآنية لدى العهود الاولى ذا قيمة رواية ودرايـــة ايمانا من رجال تلك المدارس المشرقة ان من لــم يتصف بالاستاذية قد لا يوثق بثقافته الاسلامية .

وقد يكون هذا العرض المتواضع كذكرى يقظة تلفت الانظار وانظار الشباب الواعى الى مثقفى السلف وعلمائه وادبائه ومدى انكبابهم على الاخذ وفى جهاد متواصل ورهبانية تنسيهم كل ما يمت بصلة الى المادة وتعرفهم فى ذات الوقت قيمة الانسان الحـــق وما يجب عليه كطالب له طموحه الصادق وهيامه بالمعرفة جاعلا نصب عينيه كنموذج حى امثال مترجمنـــا ابـى الفضـــل عيـــاض .

وتلك الغاية المتوخاة من كتب هذه الكلمات ذات الابعاد المتاججة حيوية طالما بعثت وتبعث من ابنائنا وشبابنا وعيا يهديه الى الحق والى طريق مستقيـــم طريق الذين فنوا ونسوا ذواتهم فى سبيل الارتفاع بارواحهم واضعينها فى بوتقة المعارف وتلـــك اللـــذة الكبرى التى لا يحسها الا من ذاق طعمها وامتزجت بشرايينه .

(من ذاق طعم شراب العلم يدريه
ومن دراه غدا بالروح يشربـــــه)



التفتح الأموي

وإثراء الفكر العربي بالاندلس

للأستاذ الحاج أحمد البوعياشي

يبدو ان بيئة خاصة فطرت عليها اقطار الاندلس، يوم كانت اسبانيا المسلمة تحت سيطرة لغة الضاد تستوعب ميادين الحضارة الاسبانية ، التي كونتها حياة الطموح البشرى ، والتى ضربت طولا وعرضا الى ما بعد المحيط المتعايش عليه ، وهذا الطموح هو الذى جعل احد اسواق تلك الميادين نافقة ، وهى سوق الادب العربى فى المغرب العربى ، الى درجة تبوأ فيه مقامه الرفيع بهمة عشيرة متعاقبة من ادباء ذلك القطر السليب ، الذى أسهم فى هذا التراث العربي الخالد خلود هذه اللغة ، التي استأثرت بهـا لغة الوحى ، الذى لا ياتيه الباطل من بيديه ولا من خلفه .

ان حياة فكرية سادت تلك الاقطار فى فترات الحكم الاسلامى ، كانت مثارا للاعجاب والتقدير ، فقد طبعت الفكر البشرى بطابع الابتكار والاندفاع الى شمولية التعبير بتلك اللغة عن اسرار الحياة كيفما كان ميدانها ، ولولا النكسة السياسية والعسكرية المريرتان ، اللتان اخمدتا تلك الجذوة المتوقدة ، فتعثرت فى سيرها ، لشهدت تلك الاقطار انقلابا جذريا فى صالح الانسانية جمعاء ، ولكن ذلك قضاء الله وقدره .

واذا كنا بصدد دراسة حياة خاصة مستوحاة من التراث الادبى المغربى الذى يستمد قوته من الحكمة المأثورة «الناس على دين ملوكهم» ، فانها تستوجب على هذا الشعب ان ينسجم مع هذه الموهبة الالهية فى شخص ملكه الحسن الثاني حفظه الله ، الذي يرعى سائر المرافق بعناية ربانية ، وهى شنشنة موروثة عن الدوحة النبوية التى أسلس لها قيادة المكرومات ، فانعكس شعاعها الذى اخترق الآفاق .

وقد استلزم هذا ان نلم الماما ولو عابرا ، عن تفتح اسبانيا المسلمة بعد عزلة عن المشرق العربى منبع ذلك الاشعاع الحضارى الذى سرعان ما ترعرع فى الاندلس ونمى نموا تسابق مع الزمن ، فأحدث ضجة ادبية تركت ، دويا ردد صداه اقطار الاسلام والاستشراق فى سائر المعمور ، ولا زال الاندلس هو ذلك الفردوس المفقود ، الذى له ذلك الصدى المترجع .

تفتح عبد الرحمن الثانى الاموى :

ونعنى بذلك التفتح عن المشرق ، ذلك الانقلاب الانقلاب الفجائى الذى احدثه الامير الاموى الرابع المعروف بعبد الرحمان الثانى بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل (176 ــ 238هـ) الذى كسر طوق ذلك الانعزال الذى سلكه اسلافه حيال خصومهم العباسيين ، ولو ان انعزالهم لم يمتعهم من الدعاء لهؤلاء الخلفاء على منابر الجمعة احتراما للمقام الدينى فى نفوس المسلمين ، ولذا لم يستطع هؤلاء الثلاثة والامراء من بعدهم ان يلقبوا أنفسهم بالخلفاء طيلة تعاقب ثمانية منهم على الامارة الاموية بالاندلس ، بل اكتفوا بلقب «ابناء الخلفاء» رغم احتراس الثلاثة الاولين من هذا التفتح ولو ادبيا فرارا من مكايد اولئك الخصوم فى المشرق العربى .

وقد اعقبت مبادرة هذا الامير موجة من رحلات المشارقة الى الاندلس ، كان لها حسن الواقع عند المسلمين باسبانيا ، وتعضد الفكر العربى هناك ، ووصل ما كان منقطعا ، وبذلك توطدت علاقة الاندلس الادبية بالمشرق العربى ، وتأثرت تلك العلاقة تأثيرا

بليغا ، حتى فى عهد العباسيين الذين اقضوا مضجع صقر قريش ، فطار الى حيث يحيى مجد الامويين .

وبدراسة مميزات هذا الامير المتفتح، تتكشف عن خاصيات فريدة ، فالرجل كان مولعا بمطالعة كتب والفنون ، وفوق ذلك كان شغوفا بعلوم الفلك والتنجيم متأثرا بشاعره ابن الشمر الذى كان رئيس المنجمين فى عهده ، ورغم انه احاط نفسه بعلماء الفلك ، فانه كان ولوعا بكتب الطب والفلسفة ايضا، وهو الذى بعث العالم عباس بن صبيح الى الجزيرة العربية ليبحث عن الكتب المنقولة عن اليونان والفرس .

وكانت يومياته مقسمة على :

(أ) ـ العمران والتخطيط لمدينة قرطبة ، التى ازدهرت فى ايامه .

(ب) دراسة السماء لمراقبة الطالع .

(ج) الصيد بالباز فى سهول الواد الكبير .

(د) حضور حفلات الاندية الادبية والموسيقية .

ونظرا لتاثره بالحياة الشرقية ، فانه اعطى لمملكة قرطبة النظام العباسى ، وبذلك كان اهل الاندلس يستقبلون بالترحاب كل من ياتى من بغداد او غيرها من المدن الشرقية ، وقد تبادر التجار لحمل النفائس من هناك الى الاندلس ، ليعرضوها باثمان مغرية .

ولا أدل على تهجير النفائس المستظرفة فى عهد الامير من هجرة المغنى المشهور ابى الحسن على ابن نافع (172هـ) المعروف بزرياب ، تلميذ مغنى البلاط العباسى اسحاق الموصلى ، وهو يعد بحق من التحف النادرة ، لانه لم ينقل غناء الشرق فحسب الى الاندلس ، بل اضطلع بالمعهد الموسيقى فى قرطبة، كما اشاع الحياة الانيقة فى المجتمع القرطبى، حتى شملت نصائحه قضايا الطهى وتنويعه ، طبق ما كان عليه الامر ببغداد ، ونظم مائدة الاكل تنظيما رائعا ، وعلم أهل قرطبة فن التجميل حتى بتفريق شعر رؤوسهم بدلا من تركه خصلات موزعة فوضى ، وشمل التنظيم ايضا الملابس حسب فصول السنة الباردة منها والحارة والمعتدلة ، فاللباس ابيض من اول يونيو الى نهاية شتنبر ، والحرير فى فصل الربيع والثقيلة فى فصل الشتاء .

وفضلا عن ذلك ، فقد تمكن الاندلس بفضل هذا التفتح ، ان يسهم فى ميدان الثقافة العامة ، والآداب العربية وجعلت تنمو على مدى فترات تعاقب السلطات العربية من الامراء الامويين الى فترة خلفائهم انطلاقا من عهد عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لدين الله (277 ـ 350) والى فترة الدولة العامرية القحطانية التى استحوذت باسم الامويين على مراسم الخلافة لما ضعفت ريحهم ايام هشام المؤيد ، حيث بلغ المنصور بن ابى عامر من الجاه والسلطان ما لم يبلغه الامويون انفسهم، اذ اصبحت الدولة والعرش والقصر والخليفة الصبى وصبح ام الخليفة كل ذلك تحت جناحه وطوع يده .

ويبدو ان سلطان الادب قد وصل ذروته فى تلك الفترة ، اذ لم يستاسد العامرى هذا الا لكونه انحدر عن بيت شريف ، كان مسقط رأسه احدى قرى الجزيرة الخضراء، ورد على قرطبة شابا ، فطلب العلم والادب وسمع الحديث ، وبعد ذلك كانت له رعاية على الادب والادباء ، أدى به ذلك الى استوزاره احد فطاحل اللغة والادب وهو ابو العلاء صاعد به الحسن الربعى البغدادى(1) وهو من هو فى الظرف والادب وقد يكون حسن الطالع ايضا ، اذ لما تفاءل فى قصيدته التى أنشاها مادحا المنصور بن ابى عامر التى جاء فيها :

ياحرز كل مخوف وامان كل مشرد ومعز كل مذلل

الى ان قال :

عبد نشلت بضبعه وغرسته
فى نعمة اهدى اليك بأيل

سميته غرسية وبعثته
فى حبله ليتاح فيه تفاؤلى

فوقع فى غده الامير الاسبانى غرسية بن شانجة فى قبضة المسلمين عندما كان يصطاد فاسر وكان أمنع من النجم كما قيل .

امثلة من النشاط الفكرى :

واذ قد اصبحت الاندلس فى هذه المرحلة من التطور الذى تولد عن ذلك التفتح الاموى ثم نما نموا مطردا على مدى فترات الحياة الاندلسية الفكرية، فان الثقافة العربية بلغت أوجها، وقطعت مراحل تاريخية

فى المجهود العلمي الضخم ، الذي شمل ميادين مختلفة من لغوية ودينية وتشريعية وأدبية . وقد نستعرض بعض تلك المظاهر لادراك هذه القفزة البعيدة الشاو : ففي ميدان القرآن مثلا ، تعطى الاندلس مثلا رائعا بأبى عمرو الداني(2) الذى اشتهر بفنون القراءة ورسوم المصاحف وكأبى محمد الشاطبى الضرير صاحب المنظومة المعروفة بالشاطبية، ولد عام 538هـ (1148م) وتوفى عام 590هـ (1194م) وفى التفسير كابن عطية القاضى ، وفى علوم الحديث كابن وضاح ، وقاسم بن اصبغ ، وابن عبد البر القرطبى امام عصره فى الحديث ، له مؤلفات اجملها التمهيد على الموطأ فى اجزاء عدة توفى عام 483هـ (1071م) والقاضى عياض ، وابن سعادة الذى اعتمد المغرب والاندلس نسخته من صحيح البخارى التى كتبها بتاريخ 492هـ. وفى فقه اللغة كابن سيده الاعمى المرسى الذى الف كتابه المخصص فى ثلاثة عشر مجلدا المتوفى عام 458هـ (1066م). وفى القضاء : كالقاضى بن بشير ، وصعصعة بن سلام وابى الوليد ابن رشد الجد قاضى الجماعة بقرطبة وقاضى القضاة ابن عاصم الغرناطى ، وفى الطب كابن رشد الحفيد القرطبى زعيم فلاسفة الاندلس واستاذ حكماء زمانه وكأبى مروان عبد المالك الاشبيلى .

أما ميدان الادب العربى ، فان الاندلس حصل على ثراء نستطيع القول بأنه حلق فى اجواء بعيدة المنال، سواء بالتاليف او قول الشعر او اشاعة المنتديات الادبية التى تزخر بلطائف ادبية سارت بها الركبان.

وفى التاليف نضرب المثل بالعقد (الفريد) لابى عمرو ابن عبد ربه القرطبى (246 ـ 860م ـ 328) «فقد كانت له رياسة وشهرة وجلال بالعلم والادب ، مع ديانة وصيانة ، واتفقت له ايام وولايات للعلم منها نفاق ، فساد بعض الخمول ، وأثرى بعد الفقر، وأشير اليه بالتفضيل ، وقد غلب عليه الشعر ويشبهون بشعر ابن زيدون فى الجمع بين روعة الشرقيين وجزالتهم ، وبين رقة الغربيين وسلاستهم» (3) ، وقد وصف ابن عبد ربه كتابه هذا فقال «محليا بشواهد من الشعر تجانس الاخبار فى معانيها ، وتوافقها فى مذاهبها ، وقرنت فيه غرائب من شعرى ليعلم الناظر فى كتابنا هذا ان بمغربنا على قاصيته، وبلادنا على انقطاعه حظا من المنظور والمنثور » .

ومن عيون المؤلفات ايضا فى ذلك العهد كتاب الامالى لابى على القالى الذى اتى من العراق ، واستقر بالاندلس ، وكان استاذا للخليفة الحكم الثانى ابن عبد الرحمن الثالث ، ويعتبر هذا الكتاب بحق من المراجع الادبية المهمة .

وكما نشط الاندلسيون فى شرح الدواوين الادبية مثل ديوان المتنبى الذى شرحه الاقليلى القرطبى ، وكان شيخ الشنتمرى من شنتامرية القريبة من مدينة شلب ، وتعتبر هذه المنطقة بالنسبة للادباء ، منطقة اشتهر سكانها ببلاغتهم ، وحضارتهم ، وحسن تحدثهم باللغة العربية ، وكذلك الشنتمرى هذا شرح المعلقات الشعرية .

امثلة ممن اثرى الادب شعريا

أما الشعر فانه ميدان فسيح فى الاندلس ، وموضوعاته افسح ، لان الشعراء لم يكونوا يستوحون الطبيعة الاندلسية الخلابة فحسب ، بل قد اشادوا أيضا بعواطف الحب والصداقة ، وأفاضوا فى المدح والهجاء ، واللذة والالم ، والتفاؤل بالحياة، والتشاؤم منها ، وكانوا يصدرون وينتجون عن عبقرية خصبة خاصة بهم ، وبيئة كونتها ظروف متميزة مختلفة عن بيئة ادباء الشرق العربى، ومما اخترعه شعر الاندلس، واختص به ، ذلك الاسلوب الشيق ، الذى لا يمل ، الا وهي الموشحات ، التي قيل ان السابقين الى اختراعها ابن عبد ربه، تلك الموشحات التى قال فيها دحية «انها زبدة الشعر ونخبته ، وخلاصة جوهره وصفوته، وهى من الفنون التى اغربت بها اهل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة ، والضيا المشرق»(4) كما اخترعوا الازجال الشعبية .

الثلاثى القرطبى :

ولادة

واذا كان من صنيع الدارسين الذين عكفوا على تتبع الاخبار الادبية للاندلس، وضعوا أغلب النتائج الرائعة فى محك الثلاثى الادبى المرح المؤلف من الاديبة المشهورة ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن ، أحد الخلفاء الامويين ، التى استطاعت ان تستقطب الادباء وعلية القوم وتحول انظارهم لكى يحجوا الى بيتها كمنتدى ادبى عامر ، تعرض فيه يوميا قرائح الادباء وروائع الشعر ، والمساجلات الادبية ، وكانت بالنسبة لمؤهلاتها فى القمة فى كل شيء ، فهى جميلة وسافرة وشاعرة، تساجل الشعراء وتنافس العلماء ، فضلا عن انحدارها من بيت الخلافة،

الامر الذى أهلها دون نساء المجتمع القرطبـى ، لان تدرك شهرة عالمية نادرة المثال ، واستمرت هـذه الشهرة تشع عن الحياة الادبية فى الاندلس ، التى كانت لولادة احد اعمدتها الفقرية فى كـل الدراسات التى اثيرت عن الادب العربى هناك .

وقد اجمع المؤرخون عن نظافة ذيلها، ونقاوة بيتها، ولم يخدش احد فى مستواها الخلقى والادبى الـذى أضفى على الحياة سربالا من الظرافة والمتعة ، وكانت من نساء اهل زمانها واحدة اقرانها حضور شاهـد ، وحرارة اوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسـها بقرطبة منتدى لاحرار العصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر ، يعشو اهل الادب الى ضياء غرتها ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انسـاب ، وطهـارة أثواب(4)» .

ولكن ومع مرور حوالى 999 حـولا ، فان بعـض الكتاب العرب(5) سمح لنفسه ان يهدر كرامة هـذا الطهر الثميـن ، اذ وصفهـا بأنها كانـت مصابـة بالهيستيريا تحت تأثير الشذوذ الجنسى واستلهم ذلك من تخميناته التى أوحت له أن يهرع الـى آراء علماء النفس لعله يجد مقيسات حدسية ، واعرض عن شهادة شهود عيان ليقوض معلما من معاليم الادب فى الادب الاندلسى ، ولا يمكن للمرء ان يدرك اى باعث حقيقى لهذا الصنيع .

ابن عبدوس

أما ثانى الثلاثى ، فهو ابن عبـدوس غريـم ابـن زيدون ، الذى اثار حفيظـة هذا الاخيـر ، فكانـت السبب لانتزاع محاورات ادبية ، عندما انتهز فرصة ابتعاد هذا الاخير عن قرطبة ابتعادا قسريا ، وغيابـه عن ذلك المنتدى الذى كان يغمره بالسحر الحـلال الذى ملك على الادبية مشاعرها ، فحاول هذا الغريم أن يحل عندها فى المسامرات الادبية محله ، ولكنـه شتان ما بين رجل دلت الرسالة الهزلية التى اقذعه فيها ابن زيدون انه ثقيل الظل لا يستسيغه جليسه لفهاهته وبين رجل خفيف الروح جم الادب واسـع الظرافة مستساغ بنهم لدى جلسائه كابن زيدون «اذ كان غاية منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بنى مخزوم، أحد من خبر الايام خبرا وفاق الانام طـرا ، وصرف السلطان نفعا وضرا ، ووسع البيان نظما ونثرا، الى ادب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تالقه ، وشعـر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقتـرانه(6) وأين هذا من ذلك ، وقد تكون هى التى اوعزت لابن زيدون ان يقدعه فى تلك الرسالة عن لسانها ، التى عدت من روائعه الفنية .

ابن زيدون

اما ثالث الثلاثى فهو الشاعر الذى استقطب الحياة الادبية فى تلك الحقبة من تاريخ الاندلس الادبى التى صفف فيها فى صف البلغاء المستقلين، الذين ابتكروا ولم يقلدوا ، وتخيروا البواعث فأجادوا ، وبد أقرانه فلم يلحقوا به ولم يكادوا ، وبقى فى حلبـة السبـاق الادبى يصارع شعراء تلك الحقبة التى ضمتهم عواصم ثلاثة لملوك الطوائف الادباء وهى :

(أ) قرطبة
(ب) وبطليوس
(ج) واشبيلية

فأما قرطبة التى هى قطب رحى تلك العواصـم ، والتى ضمت الشاعرة ولادة وشدت اليها ايضا الشاعر ابن زيدون رغم الابتعاد القسرى عـلى حياته المليئـة بمقتضى تحركه النشيط الذى اهله ليكـون سفيـرا بالتحاكك الادبى اكثر من غيره من أدبـاء الاندلس ، لدولة بنى جهور لدى جيران عاصمتهم قرطبـة تلـك السفارات التى اوردته محنا اودت به الى السجن ثم النفى على يد اولئك الذين سره ان يرثوا تركة الامويين فى قرطبة ، وقد تحرك الواشون الذين عجزوا عن أن يلحقوا به ليس فى الميدان الادبى فسحب ، بل وحتى فى الميدان السياسى .

فظاهرة ابن زيدون فى حياته العامة، ظاهرة عجيبة تستلفت الانظار ، وقد عاش فى احضان عهـد قـرت عينه زمنا ، ثم قاسى ما قاسى مـن المحـن ، فكـان تتقاذفه الطبيعة المجردة احيانا ، والاشواق المتأججة احيانا أخرى ، كما عاش تحت كابوس سياسة ملتوية نتيجة الحروب المستعرة التى اوحاها اضطراب احوال غرب الاندلس بين ملوك الطوائف ، الـذين بالكثـرة الكاثرة ، حتى كاد الاندلس فى وحدته الجغرافية ان يسعهم ، وقد وسعهم تمزيقا اربا اربا ، تسلق كـل ناعق على طرف منها ، اشباعا للشهوات الجامحة وحب الاستيثار، ضاربين بالمصلحة الاسلامية عرض الحائط ، حتى قيل بحق :

مما يزعدني فـي ارض انـدلس
اسمـاء معتضـد ومعتمـد

القاب مملكة فى غيـر مـوضعهـا
كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

فى خضم هذه الحياة التى اذكت قريحته ، فشملت حياته السياسية التى خفق فيها نتيجة اخفاق السياسة العامة ، بعد الدولة العامرية ، التى طعمت مدة مـن الوقت الخلافة الاموية ، ان «فـل عرش الخلافـة ، وخوى نجمها ، ووهن ركن الامامة وطمـس رسمها ، وصار الملك دعوى ، وعادت العافية بلوى ، استنسر البغاث وصحت الاضغاث ، واستأسد الظبى فـي كناسه ، وثار كل واحد فى ناسه»(7) .

واذا كان ابن زيدون اخذ منه السرور مأخذه ، لان قرطبة رفضت الخلافة الاموية الثانوية فى عهد هشام المعتمد بالله ، وتخيرت وزيره ابا حزم جهور العمرى الذي وصفه المؤرخون بالدهاء ، وبعد الغور وحصافة النقل وحسن التدبير والرياسة فى الدوائر الاموية ، وبالاخص فى عهد الحكم وابن ابى عامر ، ووجد اول الامر فى ابن زيدون خير متفهم لمراميه السياسية ، لما عرف عن هذا الاخير من حنكـة وادب وسـراوة محتد ، وقد كان «وجوه فقهاء قرطبة ، وعيون أدبائها ، ورزق فى الانشاء قريحة طيعة ، وطبعا سليما ، فسمت به كفاءته الادبية الى الوزارة ، حيث ارتفع قـدره ، واشتهر أمره فالقى)أى أبا حزم(اليه مقاليد الامور ، واعتمد سفيرا بينه وبين ملوك الطوائف المحيطيـن بجهات بقرطبة»(8) .

واذا كان ابن حزم من جهته من طبقة الادبـاء المرموقين ، بل من العلماء الفطاحل ، لان له ادبـا ووقارا ، وحلما سارت بـه الامثال ، وعلمـا نـادر المنال(9) وتلقى بذور العلم فى قرطبة عـن فحـول علمائها امثال ابى بكر عباس الهمذانى ، وأبى بكـر الاصيلى(10) وأبى يحيى زكريا بن الاشج .

فانه كان من المنطق ان يكون هذا التطابق فـي المؤهلات تجعله «يوافق شن طبقه» وان ابن زيـدون بالنسبة لابن حزم كقول القائل :

يسقط الطير حيث يلتقط الحب
وتغشـى منـازل الكـرمـا

ولكن ليس هذا ولا ذلك ، كان حائلا دون كدر ابن زيدون ، فقد نشط حاسدوه حتى اغروا صـدر ابى حزم عليه وبالاخص ما يتصل بتلك السفرات لدى جيران قرطبة لتسوية المشاكل ، فوجدت الوشايات آذانا صاغية ، وكان من المفروض ان تكون رقة الادب عند هذا الملك الذى يصف الوردة خمائلها عند ما قال فى ابيات منها :

الورد احسن مـا رأت عينـى واذ
كى ما سقى ماء السحاب الجائـد

ان يتجاوز هذه الوشايات ، ولا تنقلب تلك الرقة الى وحشية كاسرة تزج بأديب بارع يفخر به عهده ، وفوق ذلك صم الأذان حتى عن توسلاته وهو فـي غياهب السجن ، ولم ينفعه انه كتب تلك التوسلات باسلوب يذيب الجماد ، ويسمع الميت ، اذ قرع كل اوصاف الرحمة والاستعطاف فى سلاسة لفظ وبلاغة معنى وعدت من روائعه النثرية .

ولما لم تجده التوسلات ، فانه قرع الحيلة بمثلها وهرب من السجن مختفيا بقرطبة الى ان تشفع لـه ابو الوليد عند ابيه جهور .

ولكن ومع ذلك ، فان لعنة الحاسدين ظلت تلاحقه حتى فى عهد ابى الوليد شفيعه ، فنفاه الى اشبيلية .

على ان بنى جهور ظلوا يلاحقونه حتـى فى منفـاه باشبيلية عاصمة بنى عباد حيث لقى حظـوة وأيـة حظوة عند ملك لم يكن باقل باعا فى الادب والسراوة بل ومقارعة القران ، ذلك هو عباد حيث المعتضـد الذى وصفه «بانه ملقـح الحـرب ، ومنتـج الطعـن والضرب ، الذى صاد الطير تحت اجنحة العقبان وأخذ الفريسة من فم الثعبان»(11) .

ثم حظوة عند ولده المعتمد بن عباد الذى هو اشهر من نار على علم علما وأدبا ونخوة وشهامة وهو الذى قال فيه ابن خاقان «وعليه سيفه المستل ، وحتفـه المحتل ، ابنه المعتمد سهام الاعادى ، وحمام الاسد العادى» .

وقد اثارت هذه الحظوة حفيظة بنى جهور ، فجعلوا ينشرون له مثالب ويذكرون له فى المجامع مساوىء ، قد تكون مفتعلة ، وتعدت اذايتهم الى اقاربه ، الامر الذى أدى بابن زيدون ان يعمد الى الاسلوب السائد

بين الادباء ، وهو طريقة الادب الشعرى الذى كان بمثابة الصحف السيارة ، فسرعان ما تناقلته الالسن، وينشد فى المحافل والاندية الادبية .

وقال فى ابيات مطلعها :

بنى جهور احرقتموا بجفائكم
فؤادى فما بال الدائح تعبق

ويبدو ان هذه القطيعة التى اصبحت فى حقه ستارا حديديا يمنعه من الاتصال بقرطبة مهد مجده الادبى ومسقط رأس صديقته الاديبة ولادة ، فكان من لواعج قلبه ما نفثه فى التشطير الذى كان مطلعه:

أقرطبة الغراء هل فيك مطمع

وفى هذا الصدد فان المحن اذا كانت عقيمة على العموم ، فان محن ابن زيدون خلقت تراثا حمده الادباء ، واذا كان الصدود غير مستحب لدى المحبين، فان الصدود القسرى الذي فرءبين ابن زيدون وولادة حمدناه وآثرناه ، لان ذلك كان بمثابة الزناد فاوقد الحباحب ، ولولا ذلك لما انتزع منه ما انتزع من الشعر والنثر الذى لا زال يحلق به فى اجواء الاجادة والى يوم يبعثون .

فلولا ذلك لما قرأنا الابيات الآتية :

بينى وبينك ما لو شئت لم يضع
سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع

يا بائعا حظه منى ولو بذلت
لى الحياة بحظى منه لم ابع

يكفيك انك ان حملت قلبى ما
لا يستطيع قلوب الناس يستطع

ته احتمل واستطل اصبر وعز اهن
وول اقبل وقل اسمع ، ومر اطع

ولما قرأنا الموشح الذى مطلعه :

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك

اما الثلاثى الثانى ، فقد كونته عاصمتان : الاولى تعرف بأنها احدى روافد الادب الاندلسى وانا تجرى معه فى حلبة السابق ، هى بطليوس عاصمة بنى المظفر ، الذين «كانت ايامهم بمغرب الاندلس اعياد ومواسيم ، وكانوا ملجأ لاهل الادب ، خلدت فيهم ولهم قصائد ، شادت بمآثرهم ، وأبقت على غابر الدهر حميد ذكرهم»(12) ، اولهم محمد بن عبد الله الملقب بالمظفر هو اديب الملوك بدون منازع ولا مدافع وله تصانيف منها الكتاب المعروف «بالمظفرى» فى خمسين مجلدا(13) .

ابن عبدون :

وقد ضمت احد البلغاء المجيدين وان كان مقلا وهو ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد ابن عبدون الذي ابانت قريحته الطيعة عن قصيدته التى وصفت بالقصيدة الغراء والعقيلة العذراء ، التى ازرت على الشعر ، وزادت على السحر ، وفعلت فعل الالباب فعل الخمر ، وجلت عن ان تسامى ، وأنفت عن ان تضاهى ، فقل لها نظير ، وكثر اليها المشير ، وتساوى فى تفضيلها باقل وجر يرفله من عقيلة خدر قربت بسهولتها حتى اطمعت ، وبعدت حتى عزت فامتنعت» .

ومطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر
فما البكاء على الاشباح والصور

ومنها :

فالدهر حرب وان ابدى مسالمة
والبيض والسود مثل البيض والسمر

ولا هوادة بين الرأس تاخذه
يد الضارب وبين الصارم الذكر

ومنها :

بنى المظفر والايام لا نزلت
مراحل والورى منها على سفر

من للاسرة او من للاعنة او
من للاسنة يهديها الى الثغر

من لليراعة او للبراعة او
من للسماحة او للنفع والضرر

او دفع كارثة او دفع آزفة
أو قمع حادثة تعيى على القدر

ومنهـــا :

ويب السماح وويب البأس لو سلما
وحسرة الدين والدنيا علـى عمــر
سقت ثرى الفضل والعباس(14) هامية
تعزى اليهم سماحا لا الـى المطـر

ثـلاثـة مـا رأى العصـر مثلهـم
فضلا ولو عززوا بالشمس والقمر
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقـوا
وكل ما طار من نسر ولم يطـر
ثلاثة كـذوات الـدهـر منـة نـأوا
عنى مضى الدهر لم يربع(15) ولم يحر
ومر مـن كـل شـيء فيـه اطيبـه
حتى التمتـع بالاصـال والبكـر

اين الجـلال الـذى غضـت مهابتـه
قلوبنا وعـيـون الانجم الـزهـر
اين الاباء الذى ارسوا قواعده
على دعائم مـن عز ومن ظفـر

اين الوفاء الذى اصفوا شرائعه
فلم يرد احد منهم على كـدر

ومنهـــا :

من لى ولا من بهم ان اظلمت نوب
ولم يكن ليلها يفضي الى سحـــــر

من لى ولا من بهم ان اطبقت محن
ولم يكن وردها يدعو الـى صدر
من لى ولا من بهم ان عطلت سنن
وأخفيت السن الآثار والسيـر

المعتمد ابن عباد :

اما العاصمة الثانية فهى اشبيلية التـى تولـدت صغيرة ثم ما فتئت ان ترعرعت واتسعت حتى ضمت قرطبة نفسها كما ضمت عاصمة بنى حمود بالجزيرة الخضراء، وعاصمة بنى قرة بروندة وعواصـم مـورور واركس وولبة ونبلة ، وشلب وشنتمرية وغيرها .

واشتهرت فى ميدان الادب بالمعتمد بن عباد ، كما اشتهرت بالوزير ابن عمار .

الا ان هذين القطبيـن فـى الادب يحتاج اثرهمـا الادبى الى دراسة مستفيضة لا يفى بها هذا البحث.

طنجة الحاج احمد البوعياشى

---

1) وفد على الاندلس عام 380هـ (990م) واصبح شاعر بلاط المنصور العامرى، وتوفى بصقلية سنة 1026م
2) وهو عثمان بن سعيد الدانى ولد بقرطبة عام 371هـ (981م) ، ورحل الى المشرق استغرق عامين سمع بالقيروان والقاهرة وسمع من شيوخ المقرئين توفى 444هـ (1053م) وقيل بقرطبة حسبما بيد صاحـــب الجذوة .
3) معجم الياقوت ، وينقسم العقد الفريد الى خمسة وعشرين كتابا سمى كل واحـد باسـم جوهرة مـن الجواهر .
4) نقلا عن كتاب «الاعلام بمن حل بمراكش واغمات واغمات من الاعلام» ص 147 ج بع. المطبعة الملكيـة بالمغرب .
5) وهو الاستاذ عبد الرزاق الهلالى العراقى (نقلا عن العلم الثقافى ــ عدد 262)
6) ابن بسام فى الذخيرة
7) قلائد العقيان للفتح بن خاقان
8) تاريخ الادب العربى
9) عن المطمح لابن خاقان
10) من مدينة اصيلة المغربية كان بالاندلس امـاما فى الحديث والفقه .
11) للفتح ابن خاقان فى قلائد العقيان
12) المعجب فى اخبار المغرب
13) ابن بسام فى الذخيرة
14) هؤلاء هم ابناء محمد بن عبد الله المظفر
15) اى لم ينتقل

أثر المبادئ الاسلامية في تقدم المسلمين

خلال عصور الازدهار

للأستاذ عبد الحليم عويس

اساس عقدى : التوحيد

ليس من شك فى انه مهما يكن الخلاف بين المستويات التى تمنحها كل حضارة للخاضعين لها ، فان الاسس الفكرية الجوهرية التى تنبنى عليها أية حضارة من الحضارات ، هى التى تعكس مدى ما يمكن أن تمنحه هذه الحضارة للمستظلين بظلها .

ان الاسس الفكرية التى تنبنى عليها أية حضارة هى الروح التى تشيع فى كل معطيات هذه الحضارة لونا معينا او طريقا محددا ، وهى ـ أيضا ـ العامل المحددة للاهداف الانسانية التي يمكن ان تحققهـا مسيرة هذه الحضارة ، مهما اختلفت اطوارها .

وفى الحضارة الاسلامية يبدو بجلاء ان الاساس القوى الذى هيمن على روح هذه الحضارة ، ووجه مسيرتها ، هو عقيدة التوحيد ، التى كانت الاساس الفكرى الاول ، الذى قننه القرآن، وظل الرسول عليه الصلاة والسلام ، يبنى دعائمه فى مكة ثلاث عشرة سنة ، من جملة سنوات الدعوة النبوية التى لا تزيد على ثلاثة وعشرين عاما !!

لقد تجلت روح عقيدة التوحيد فى سائر المظاهر السلوكية والنشاطات الخارجية التى انبثقت عن هؤلاء الذين ربتهم تعاليم الاسلام ، على يد النبى صلى الله عليه وسلم او على يد الخلفاء الراشدين او جيل الصحابة والتابعين .

وفى هذه الفترة التى تمثل القاعدة الزمنية والفكرية الاولى للحضارة الاسلامية ، خلت تلك الفترة من كل مظاهر الشرك والوثنية ، سواء فى عالم السلوك او الانتاج الفكرى ، او التطبيقى .

وكانت آيات الوحدانية التى نزلت فى القرآن الكريم من مثل قول الله فى سورة المزمل : «رب المشرق والمغرب ، لااله الا هو فاتخذه وكيلا، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا». ومن مثل قوله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : «قل هو الله احد، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد».

كانت هذه الآيات تجد طريقها الشعورى والسلوكى الحاسم فى حياة المسلمين ، فتدفعهم الى التزام منهج بعيد كل البعد عن ان تلحق به اية شائبة من شوائب الشرك او الوثنية، وهذا الالتزام بالعقيدة كان له أثر كبير فى تحريرهم من استعباد الانسان لاخيه الانسان، وفى شعورهم القوى بانفسهم كأحرار ليس لاحد عليهم حق العبودية ، مهما تكن منزلته ، فليس هناك معبود سوى الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا انطلقوا فى حروبهم لا يستذلهم الخوف، ولا تستعبدهم هيبة العروش الحاكمة المسيطرة على عالم عصرهم ، انطلقوا وهم يوقنون بانهم سادة «ابتعثهم الله لاخراج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده » ، كما ذكر ربعى بن رستم امام كسرى .

وفي حياتهم الداخلية سيطرت هذه الروح عليهم ، فكانوا يشعرون بمساواة نفسية حقيقية تربطهم بحكامهم وأولياء أمورهم ، ولم يتحرج رجل او امرأة عن ان يطالب بحقه امام أعلى سلطة ، وأن يخالف هذا السلطة اذا بدا له ان القانون معه ، وأن يعلن رأيه المستقل دون خوف او وجل .

مظاهر عملية لعقيدة التوحيد :

وقد عكس النتاج الادبي والفني التأثر الواضح بهذه العقيدة ، فلم يعد هناك شعر يتحدث عن اللات او العزى مثلا ، كما ان شعر هذا العصر عمل على تدعيم العقيدة الاسلامية ونشرها ، واتجه كثير من الشعراء المخضرمين الى التكفير عن ماضيهم الشعري، عن طريق وقفات صادقة مع الدعوة الاسلامية في مراحل كفاحها الاولى ، وقد ابى بعضهم بشدة ان يندمج في التزام منهج ادبي معين ، لان ذلك في اعتقاده لم يعد له مجال بجوار القرآن الكريم الذي يضم كل ما يشبع العقل والعاطفة ، ويغني عن غيره، ولم يكن ذلك الا بتأثير العقيدة المهيمنة على روح ابناء هذه الحضارة ، وهي عقيدة التوحيد الصافي .

وحتى في العصور التالية للفترة الاولى من فترات ارساء دعائم هذه الحضارة الاسلامية ، يعتبر النتاج الثقافي الاسلامي خاليا من مظاهر الوثنية ، سواء في الادب او الفن ، و الفلسفة ، و غيرها من مجالات الابداع العقلي ، التي انتشرت في عصور وامكنة الحضارة الاسلامية ، ولم يقف هذا التأثير عند صبغ هذه الحضارة بصبغة خاصة ، وتنقيتها من شوائب الشرك ، وحسب ، بل ان عقيدة التوحيد كانت دافعا للابداع في كثير من مجالات وجوانب هذه الحضارة .

انها اطلقت طاقات الانسان في كثير من المجالات، بعد ان كانت هذه الطاقات مقيدة ، باكبال الحاكمين، وقيود الذين لا عمل لهم الا فرض الوصاية على العقل البشري ، وارهابه بأعراف وتقاليد انزلوها منزلة القانون الالهي أو الوضعي .

كما ان عقيدة التوحيد قد أثرت في مجرى الفكر الانساني كله ، وحولته عن طريق الفكر الاسلامي الى فكر يتسم «بالوحدة في الرسالة ، والوحدة في التشريع ، والوحدة في الاهداف ، والوحدة في البناء الانساني ، والوحدة في وسائل العيش وطراز التفكير ، حتى ان الباحثين - كما يقول مفكر اسلامي كبير(1) - قد لحظوا وحدة الاسلوب والذوق في أنواع الفنون المختلفة المتناثرة ، بين بلدان العالم الاسلامي ، وفي البلدان التي آثرت فيها الحضارة الاسلامية ، وهي بلا شك بلدان كثيرة تمثل خلاصة الوجود الانساني في عصورها .

لقد تركت عقيدة التوحيد آثارها الكثيرة على الحضارة الاسلامية ، وعلى الحضارة الانسانية التي مهدت لقيام حضارة اوربا ، وان آثار هذه العقيدة ليتجلى بوضوح اذا استقصينا انواع التجديد التي طرأت وأثرت في الحياة الانسانية والفكر الانساني عندما ولدت هذه الحضارة على يد الرسول الكريم عليه السلام ، وعندما انتشرت روح القرآن في الآفاق الانسانية التي بدأت تظهر بعد ميلاد هذه الحضارة على أنقاض الحضارات الانسانية .

اساس انساني : تكريم الانسانية

والمتتبع بعمق للاسس الفكرية التي انطلق فيها العقل الاسلامي سوف يلمس بجانب الاساس العقدي - اساسا آخر انسانيا ، نتيجة الشعور بمكانة ممتازة للانسان ، وبأنه المؤهل لتسخير الكون والسيادة على مظاهر الطبيعة.

ومن الصعب ان نجد في التراث الاسلامي تحيزا عنصريا يقوم على اساس احتقار اجزاء من الانسان لمجرد لونها او جنسها او لاى اعتبار مادى آخر ، ان الافضلية للقيم وحدها ، سواء انتمى اليها الابيض أو الاصفر أو الاسود ، فلا شيء غير القيم كاساس للتفاضل ، ومع ذلك فللانسان حقه الابجدي في التكريم ، وله كرامته باعتبار انه آدمي ، كرمه وحمله أمانة الفكر والتكليف وقيادة الارض .

اساس حضاري : العلم

انه ليس من الامور العادية ان يكون استهلال دين سماوي هو ذلك النداء الذي اصبح شعارا ضخما ملء سمع الانسانية وبصرها، «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم» .

---

1) هو الدكتور مصطفى السباعي في كتابه : من روائع حضارتنا .

لقد استهلت حضارتنا بهذا النداء الخالد : «اقرأ»، ولقد تحدد بهذا النداء ان هذا النبى الامى العربى «انما بعث معلما» وأنه قد نيط به أن يفتح للانسانية عصرها الجديد الذى ستمخر فيه عباب البحار وأجواء الفضاء .

ان هذا النبي الكريم قد فتح عصر العلم ، لكن الله سبحانه قد اراد ان يكون هذا العلم، باسمه ، ينطلق منه ، ويهدف اليه ، سبحانه ، لا ان يتحول العلم فى أذهان بعض الناس الى نهج مخالف للدين ، يقابله ، ويقف على النقيض منه . فالحق ان العلم ابن شرعى للوحى السماوى ، قد استمد جذوره منه ، وعاش فى كنفه يوم كان الوحي خالصا من اهواء البشر — قبل الاسلام — ثم لما جاء الاسلام احيى للعلم مهمتـــه ووجوده من جديد .

ان المسجد الذى بنى فى المدينة ، كان المدرسة الاولى التى بدأت تخرج فقهاء وعلماء الحضارة الاسلامية الاولى ، وكان الرسول عليه السلام المعلم الاول فى هذه المدرسة ، ومع انتصار المسلمين فى اول غزوة كبرى خاضوها ضد قافلة الشرك فى «بدر» بدأت الحضارة الاسلامية الناشئة تحاول استكمال بعض جوانبها العلمية، وتغرى أسرى بدر ان يفدوا انفسهم ، مقابل ان يعلموا صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

ولا مجال للشك فى ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى حفل بكل هذا العدد من النصوص التى تمجد العلماء ، وتحث على العلم ، وتفضله على الجهل، وتجعله وسيلة من وسائل التقرب الى الله سبحانه ، وكأنه عبادة من العبادات .

وتتواكب الاحاديث النبوية مؤكدة ومفصلة ما اجمل القرآن ذكره حول العلم وأهميته ودوره ، وهى تؤكد فى النهاية ، ومن مجموعها ، حقيقتين :

الحقيقة الاولى : هى أن العلوم الدينية التى لا تتحقق أمور الدين الا بها فرض عين على كل مسلم ومسلمة يأثم من قصر فى طلبها ، ويأثم من بخل بتعليم طالبيها .

والحقيقة الثانية : هى أن العلوم الدنيوية او المعاشية الاخرى فرض كفاية ، لا بد للامة الاسلامية من أن تتفوق فيها ، فضلا عن ان تتساوى فيها مع غيرها، واذا لم يقم جزء من الامة الاسلامية بالتفوق فى فرع من الفروع ، ويتفوق جزء آخر فى فرع آخر من فروع المعرفة ، بحيث يحقق مجموع الامة تفوقا متكاملا فى سائر الفروع ، يجعل الامة الاسلامية قادرة على الوقوف أمام الدول والامم الكافرة المعاصرة لها ، اذا لم يكن ذلك ، أثمت كل الامة ، وأصبحت عاصية مقصرة فى حق ربها ودينها .

ان هذا المعنى الكبير الذى وعاه صناع الحضارة الاسلامية ، قد حفزهم الى طلب العلم طيلة حياتهم من المهد الى اللحد ، باعتباره عبادة ، يتوجهون بها الى الله ، كما يتوجهون بالصلاة طيلة حياتهم كذلك. وعلى امتداد العصور التي كان المسلمون حريصين فيها على الوفاء بأوامر دينهم الوفاء كله ، كان العلم بابا من اوسع الابواب التى اعطاها المسلمون حقها ، حتى اصبحوا — لاكثر من عشرة قرون من الزمان — الامة المتعلمة التى يتوجه اليها ، ممثلة فى عواصمها الكبرى طالبوا العلم ، يتعلمون الفلسفة والطب والقانون ، والكيمياء ، واللغة العربية «التى كانت اللغة العالمية الاولى فى هذه العصور» وغيرها من فروع العلم .

وكانت العواصم الاسلامية الكبرى ، كقرطبة ، واشبيلية ، فى الاندلس ، وبغداد والبصرة والكوفة ، والمدينة، والقاهرة، ودمشق فى المشرق ، والقيروان وبجاية وفاس فى المغرب العربى .. كانت هذه الحواضر ، بما فيها من اساتذة ، وما تضمه من معاهد وجامعات هى المقصد الوحيد لطالبى العلم — من أبناء الانسانية كلها — فى هذه العصور.

ولقد وصل المستوى العلمي فى هذه الحواضر درجة عالية ، لدرجة جعلت كاتبا اوربيا «كغوستاف لوبون» يأسف لان العرب هزموا فى موقعة بلاط الشهداء، لانهم لو انتصروا فى هذه الموقعة لتحقق لاوربا تقدم بناء قبل تقدمها المادى بعدة قرون .

ويعلق كاتب أوربى هو الاستاذ «روديستون» فى مجلة تاريخ الاديان على الحالة العلمية التى تمتع بها العرب فى العصور الوسطى ، بقوله : «ان علوم الغرب فى ذلك العصر — على قلتها — كانت علوما عربية». وحيثما جال الانسان ببصره فى فرع من فروع المعرفة المختلفة ، وجد للعرب يدا طولى رائدة وايجابية ، ففى الفلسفة كانت مؤلفات ابن باجة وشروحه ، وابن رشد وشروحه ، وابن طفيل صاحب «حى بن يقظان» وابن سينا ، والغزالى ، وغيرهم ، كانت مؤلفاتهم تلك هى مصادر الفلسفة التى تتلمذ عليها الاوربيون .

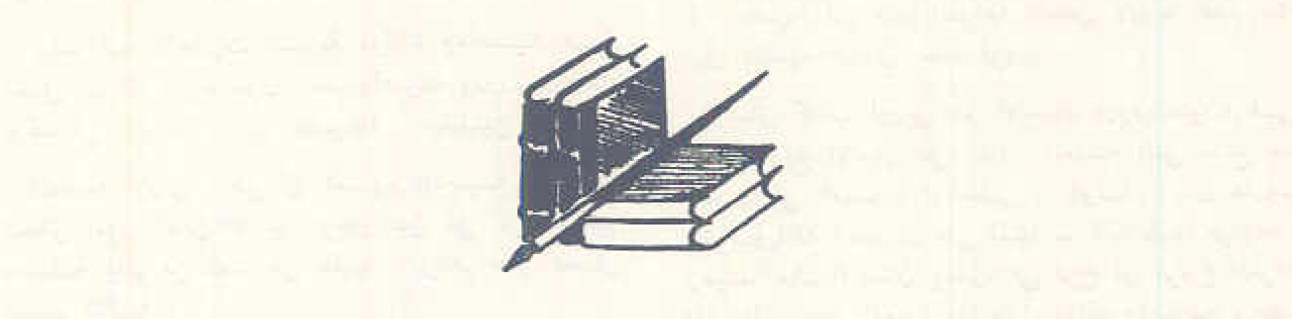
وفى الرياضيات والطبيعيات لعبت كتب كثير من العلماء المسلمين الدور الريادى بالنسبة لحضارة الاوربيين ، ومن هؤلاء العلماء جابر بن حيان ، مبتدع علم الجبر ، الذى سمى هذا العلم باسمه ، واشتهر «أبو عبيدة مسلم» بعلم الحساب ، وأبو محمد عبد الكريم فى زمن الحاكم بالهندسة ، وكانت مؤلفات الخوارزمى فى الجبر والمقابلة ذات مكانة خاصة لدى الدارسين الاوربيين ، وكما أن ابن الهيثم كان المصدر الذى استقى منه الاوربيون فى العصور الوسطى أبحاثهم فى البصريات ، فان ابن سينا كان المصدر لفروع كثيرة من فروع الطب .

وفى الاداب والفنون لعب المسلمون دورا خطيرا فى تطوير الفن القصصى، وشحذ الخيال ، وخلق نزعات التطلع والاستشراف ، وكان لالف ليلة وليلة ورسالة الغفران للمعرى ، أكبر الاثر فى تحقيق دفعة قوية فى الآداب الاوربية وغيرها من الآداب الانسانية .

وكذلك ترك العرب بصمات قوية فى الفنون ، من زخرفة الى عمارة ، الى موسيقى ، الى غيرها من الفنون المعروفة فى عصرنا .

ولن يتعب باحث منصف ، مسلم او غير مسلم ، من ان يجد الاصابع القوية الاسلامية ، موجودة بجلاء اذا هو تعقب جذور اى علم او فن من العلوم او الفنون المعروفة الآن .

وليس من الانصاف ان يحاول الكثيرون اسدال ستار من النسيان والتجاهل على هذا التاريخ الحضارى فهو البداية الوحيدة لتاريخنا ، وهو الاستجابة القوية لتعاليم الاسلام ، وخير من هذا التجاهل ان نستفيد من‌هذا التراث ، وأن نضيف اليه ما جاد به العقل الانسانى بعد ذلك، وأن نبدأ من هذا وذاك بناء طابق جديد نستطيع ان نطلق عليه «الحضارة الاسلامية الحديثة» فذلك فضلا عن كونه التكريم الواجب لهذا التراث والاحياء الحقيقى له ، هو ايضا – وفى الوقت نفسه – الاستجابة الواجبة لديننا الذى بدأ قرآنه بنداء «اقرأ» وهو ايضا درء لاثم التقصير الواقع علينا، وعبادة نتقرب بها الى الله ، ومن سهل طريقا للعلم، سهل الله له به طريقا الى الجنة .





لا تمثل هذه المقتطفات كل شعر الشيخ امربيه ربه كغيره من كل من اوردت نماذج من شعرهم لكن الوقت لم يسمح بغير هذا منه .

4) محمد بن آبوة البوحسني لا زال على قيد الحياة من قبيلة اداب الحسن المعروفة بالجنوب بعلمائها وشعرائها وقد قال بعض شعرائها :

انا بنى حسن دلت فصاحتنا
انا الى العرب العرباء ننتسب

ان لم تكن بينات اننا عرب
ففى اللسان بيان اننا عرب

ومحمد هذا من المتضلعين فى علوم الحديث والاداب العربية وهو من اساتذة الشيخ محمد الامام المذكور قبل « ولابن آبوة ديوان شعر من مجلدين » غالبيته فى المدح ، النسيب ، الغزل ، الفخر وفى الوطنيات ، من ذلك قوله سنة 1956 بين يدى جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه .

سرت بسرور الوامق الصبا مهدد
نطاب له ديدانه العدو والعدد

وباتت ترى فى الغرب شرقا بهيقل
مشارفه فى غرب جفنى توقد

فيا لك من ويل سفير له الكرى
وحال سهاد دونه يتهجد

على النأى من سلمى تماطل وصلة
نصيف نشتوا فى المطال وتبعد

ولا بدع فى خلف الغوانى ونايها
فانجازها خلف وموعدها غد

ومنها :

احبابنا هلا ذكرتم عهودنا
ففينا لكم طرف الوداد ومتلد

ومنها :

وفى كل انحاء البسيطة معلن
باتضاح فتح الحق منش ومنشد

وهاتيك اكمام البشائر ضحكا
لان برز الملك الامام المحمد

هو الملجأ الكاسى بكل فضيلة
سلالة املاك الملوك محمد

الى ان يقول :

خرجنا بكم عن كل موقف حيرة
ومخسفة والارض تشقى وتسعد

الى ان يقول :

وفى كل يوم تستجد روية
بها الحق يعلو والخيانة تبعد

حتى يقـــول :

وبـارك فيكـم والذى تحت حوزكم
وفى من لــه امــر الخلافــة تعهـد

وفى شعبـك السـامى وفى زعمائـه
وفى من اليكم بالصـفـا يتــودد

رجع استاذنا الى مدينة الصمارة وهى تحت نير حكم الاجنبى بعد أن كانت مركزا لانطلاق فصائل المجاهدين فانشا يقول :

فى حـرة السلـوان حـي دوائـرا
واذكـر هنـاك جهابـذا وجـاذرا

دور عفـت وكفـى بهـا معمـورة
شوقـا فكيف بهـا يبـابـا داثـرا

عمـرت بـنـا فى عضرة ونضـارة
مخلت وصـار بهـا القلوب عوامـر

مـا أسارت شقق النوى من حبهـا
الا التذكـر والخيـال والـزائـرا

وقـد امتـدح المرحوم الاستاذ علال الفاسى بقصيدة من اجود شعره عدد فيها بطولات الشعب المغربي مدى التاريخ مطلعها :

املـت امـام بـان عـراك مـلال
من حبـهـا مـا هكـذا الامـلال

ومنهـــا :

بل نحن ظـراف الصبابة والهوى
نـفـشـاه نعـلـم انــه قـتـال

ايـام فى عـز العتـاقـة والهنـا
للـدهـر فى دورانــه اقـبــال

لا نحتسى رنق الصدود ولا النـوى
يرتـاح فـيه لبـيـنـنـا الجمـال

ومن وطنياته قوله فى امير المومنين جلالـة الملك المعظم الحسن الثانى ايد الله ملكه :

لله عـرش فى جـلالتـه ازدهـر
بالحـق والديـن الحنيـف وانبهـر

فيه ازدهى ربـع الشريعة وانـزوت
عنـه المكـاره والمفاسـد والعبـر

ومنهـــا :

قد كنـت جالـب عزهـا ومقيمـه
والدافـع الـوزر الصبـور المنتسر

وقال بين يدى جلالة المغفور له محمد الخامس فى مؤتمـر عقد سنة 1958 من اجل قضية المناطق المغربية المغتصبة :

ربـع تـابـد بعد الخفض غامـره
بالحـزم وانتصبـت فيـه غوامـره

قد ضاق عن اهلـه قـد غادروه ولا
قالـين والانتصبـت فيـه عيـافـره

الى ان يقـــول :

والحمد لله قـد راجـت لـه قيـم
من نجـل يوسف والتـأمت مفاخره

واهتـز خاشعـه واخضر ذابـلـه
جيـدت اجـاد بـه جدت دوائـره

الى ان يـقـــول :

فـرع النبـوة شمس الديـن معقله
وطاب فـرع الذى طابت عنـاصره

وله عدة رسائل شعرية منهـا على سبيل المثال يخاطب الشيخ الامام :

بـان الاحبـة والمـبـد كـرام
حتـى الكـرى فخيـالهـم مصرام

من بعد مـا حبكت حبالك وصلنـا
وامـتـد فـيـه ارائـك وخـيـام

ولـه وصفيـات كقولـه :

للـه مـا من لطـفـه المـقـدور
انضى بنـا فى لبـسـة المـاسـور

من كاب خوب الى قبـالـة ايفـن
يـومـا وليـلات على القـرقـور

ومنه بعد ان استعرض مقامه بجزر كنـارى لتعذر نزولها بايـقــن :

ضفنا بها شعثا كفاية ربنا
ضرب اللغى واللون والمسطور

نعم الرقيق لمن بها درهامه
وكذلك فى صنعا ونيسابور

له عدة مديحيات واسلوبه فى الغزل والمدح ادق تعبيرا واسلم من التعقيد الذى يشوبه عند تعرضه لغيرهما وفى الجملة فهو وابن العتيق ، والشيخ الامام من ابرز شعراء الصحراء بعد بن الطلبة وجماعته ومن تلاعب بن آبوة بالعبارات قوله :

من لشيخ محنك امجنوب
جنبته احدى جوار النوب

غادرته محبوب قلب ولما
ان تبالى بحبها المحبوب

سلبته لب ذى اساليب عقل
سالب بال سالب مسلوب

وهي قطعة استرسل فيها على هذا المنوال وقد قال ايضا :

باذن الله عن كثب سنلوى
صدور اليعملات الى سنلوى

لدار لا سلو يروق عنها
وتسلى كل ذى حضر وبدوى

بها ما اختير من ادب ودين
وعلم صين من غلط وسهوى

ومن جماع محمدة وحسنى
ويخطو نحوها فى كل خطوى

سموح لا تغيره الدواهى
ولا نزع العفاة باى دلوى

5) الشيخ محمد المامون بن الشيخ محمد فاضل بن محمد :

اعدلى حديث الشعب من كل جانب
بعيد انطماس الشعب دهر الاجانب

وشنف به الآذان واصدع بأمره
وساقى حميا وصفه كل شارب

وعطر به النادى ومغنى ومسجدا
غدا منكرا من عرب قس وراهب

وحل به اعناق شعب تعطلت
وكم سجلت بالحسن فوق المناكب

عدد فيها ما جره علينا التخاذل والركض وراء الاطماع الشخصية على حساب المصلحة الوطنية حتى أصبحنا عبيدا لاولئك الذين كانوا من جملة اتباعنا يوم كنا نبحث عن السيادة مقدمين راحة الابدان وسلامة الانفاس كثمن لها ثم مجد انتفاضة الامة التى اعادت مجدها التالد ، وهو من الذين شاركوا فى كفاح عبد الكريم الخطابى ، وله عدة قصائد انشدها بتلك المناسبة .

6) فتى بن سيدى امين بن الشيخ محمد المامى :

هذا شاعر له اصل عريق فى العلوم وتعاطيها ميال الى النكتة الشعرية ، وهو من ابناء اقليم وادى الذهب استعمل من النقد ما يقارب الهجو مع سلاسة فى التعبير ولباقة فى تداول الموضوع . من شعره :

ابى الدهر الا أن يكون مروعا
بجلب الذى يخشى الفتى وهو ينظر

اذا ما توقى جانب الروع راعه
من الجانب المامون ما كان يحذر

ومن فخره قوله :

تسائل عن أبي سلمى وعنى
وقد حلي الزمان بنا وتاها

سلى عنا اذا لم تعرفينا
فطيمة او سلى عنا فتاها

انا وابى لباب بنى حبيب
فسيدها ابى وانا فتاها

قيل انه زار احد احياء تيروس ، ومكث عندهم هو وزملاؤه ليلتين فى ضيافة لا تناسب مقامه فانشد فى احد تلك الايام يقول :

مات الغذاء لدينا اهل ذا الافق
والخطب سهل اذا كان العشاء بقى

ولست احسبه يبقى وقد ذكرت
عوائده انه فى آخر رمق

وفى الهجاء قال :

ابلغ محمد محمود تحيتنا
وقد يحي الفتى من ليس يعرفه

ان امرءا فى ذرى العلياء منزله
ووارث المجد بين الناس يقطفه

مائن تليق به الا مخدرة
فى صونه العرض مهما غالب تخلفه

الراى عندى ان يهدي لزوجته
هدية من طلاق نهى مصرفه

ومن غزله :

تعلقت سعدى لا احاول ريبة
وان كان بعض الزائرين مريب

منعمة شاب القبول بهاءها
وما كان حسن بالقبول مشوب

الطبقة الثالثة :

1) محمد سداتي هيبة :

كان رحمه الله وطنيا متحمسا متأثرا بشعراء الاندلس ومن وطنياته قوله يحث رفاقه فى سجن الجزر الخالدات سنة 1958 على الصبر والتشبث بالمبدا الوطنى الوحدوى مهما بلغ تعذيب المستعمرين .

صبرا صحابى فالنجاح لمن صبر
والحر يعرف فى الشدائد والخطر

والسجن ليس بضائر ان كان من
أجل الدفاع عن البلاد امن نظر

ومقامكم بالخالدات مخلد
مجدا لكم والمجد اسما مدخر

الى ان يقول :

فالحق الاستقلال لا يعطى رضى
بل انما بالسيف كرها يعتصر

وهى ملحمية اشرت الى مطلعها فى باب الملحميات وفى سنة 1947 حاولت اسبانيا تقسيم الصحراء الى مناطق نفوذ كل واحدة اطلقت عليها اسما يلائم طبيعة استغلالها فانشد :

قوله :

اصبو بقلبي لحسب الوطن
وبه اعتزازى مدى الزمن

لم لا يعز علي والايمـ
ـان فى حب الوطن

لا اخرجن عن حبه
او تخرج الروح البدن

ومنها :

فالحر فى حرية الاو
طان يسعى والامن

ومنها :

او يطمئن الحر لبلاد
عان لا لا يطمئن

فالقبر اوطا لامرئ
تحت المذلة مستكن

ومنها :

لئن اشترى الاعداء خيـ
ـرات البلاد بلا ثمن

والى الاهانة اهلها
باللجم قاد واو الرسن

فستقلبن لهم بنو
وطنى ظهر المجن

اعنى المغاربة الجحافلة الاسـ
ـود مدى الزمن

وتعيضهم من قوة العـ
ـز المذلة والوهن

والفقر من ذاك الغنى
والخوف من ذاك الامن

وفى سنة 1956 زار الملك فيصل بن غازى المغرب وهى أول زيارة يقوم بها ملك من المشرق للمغرب فانشأ بالمناسبة :

مــاذا من البشر لاقى كـل انســان
لمــا التقــى الملكــان العقريــان

لقيــا بــه الديــن مــرور واعيتــه
قريــرة اذ همــا للديــن عــزــان

فليـفخـر المغرب ان اضحى بمطلعه
شروق شمسين سلطــان فسلطــان

زار ابن يوسف تــاج الغرب سيدنــا
تــاج العراق بن غازى فيصل الثان

ولــم يــزر ملــك من مشرق ملكــا
فى مغــرب قبــل هــذا هاشميــان

وله عدة قصائد قالها مدة اقامته بالسجن كلها حث على مواجهة جهود المستعمر الرامية الــى فصل الصحراء عن المغرب بالتحدى والثبات حتى تتم وحدة الوطن مهما كلف ذلك من ثمن والحمد لله الذى لم يخيب للوطنيــين آمال الوحدة على يــد قائــد البلاد نصره الله .

وفى مدحه يقول محمد سدانى :

والله لو عــدل الملــوك وجــاروا
لن يــبلغوك ولــو جــروا اوطــار

شيء بــه خصصت من بين الــورى
اذ خــص مغربـنــا بــك القهــار

الى أن يقــول :

وكذلــك الصحــراء بعــد أنــفــن
بهمــا العــدو الغــاشم الجبــار

مولاى جــرد صارمــا تقــتضى بــه
من عــزمــك السامى لنــا أوطــار

وفى مدح جلالة المرحوم محمد الخامس قال :

فسمــا ونــال مكانــة الــجــوزاء
اليــوم مغــربنــا على الارجــاء

بوجــود مــولانــا الامــام محــمــد
الخامس الســامى ذرى العليــاء

وبعد ان عدد ما قام به مقاومو كل مدينة من مدن المملكة قال فى شان الصحراء :

فهــم الرعــايــا انــتــم امراؤهــم
والنــاقــذون لهــم مــن الضــراء

والناطقــون بحكــمــة وافــــادة
والصامتــون حيــا عــن العــوراء

2) محمد الكبير العلوى

لا يحتــاج الى تقديم بل فقط يمكن ان تضيف الى مــا يعرفه الجميع عنــه بانــه استحكمت فى نفسه الوطنية حتى امكن القــول بانهــا هى التى دفعته الى تخصيص جل وقته لايقاظ مشاعر ابنــاء الجنوب بقصائده التى كانت كالصواعق فى آذان كل الخونة ووردا وسلاما عنــد جميع الوطنيــن مثــل

قــولــه :

الارض تــبر والسمــاء زبــرجــد
والافــق نــور والطــوالــع اسعد

عدد فيها مفاخر الامة المغربية وكفاح العرش من اجــل سعادة كل المواطنين ورأب مــا علــق بهياكل الامة من تصدع نتج عن حكم الاجنبى طيلة اقامتــه ببلادنــا .

وكــقــولــه :

هى الليــلة الغراء اشرق مــولــدا
وابــهــد اصــداء واعظــم مقصــدا

اطلت على الدنيــا بمطلعة فجرهــا
ومولودهــا الميمون فانضــح الهــدا

واشرق نــور الله فى الارض والسما
يــشــع ويجتــاح الظــلام مبــددا

وقد شدت العليــا بأعــذب نغمــة
سرورا وغنى الدهــر يطرب منشدا

وقد تــاهت الارض ازدهارا وغبطة
وشت سمــاء السؤال باسطة يــدا

وهى طويلة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ثم امتدح فى آخرها جلالة الملك ولفت النظر الى ما تواجهه صحراؤنا آنذاك من خدائع ومؤامرات

ومثــل قولــه ايضــا :

الدهــر عن وجــه المسرة مسفــر
والحــب يشرق والبشــائر تفــمــر

ومنـــهــا :

ورأيـت فى الصحراء شعبك موثقـا
قد عـاث فيـه المعتـدون وأبـروا

3) ماء العينـين بحجـب

من الذين يكاد يكون جل كلامه نظما وهو من الذين اسجوا القريض فى الوحدة مبكرا كأنما الخال الشعرى أوحى اليه بنوايا المستعمر قبل اظهارها للمواطنين ، وإبان نكبة المغرب بنفى الاسرة المالكة عثر بحجب على صورة لصاحبة السمو الملكى الاميرة الجليلة لـلا عائشة باحدى الصحف الاسبانية وهى بسجن مدغشقر فانشـا يقـول :

ايا عين جودى بالمدامع ذى عبـر
يذوب لها الصلد الاصم من الحجـر

وتـنفطـر الاكبـاد حزنـا وتصطلى
شرارة حـر يجاب الحـزن والكـدر

ومـا ذاك الا ان رايـت صـورة
لعائش بنت المليك الأبى الاغـر

بذالكـم المنـفى السحيـق وان ذا
لمن افظع الاشيـا وفى منتهى الخطر

مدغشقر اعنى وان كـنت واثـقـا
بان لا يرد الدهر مـا شاءه القـدر

بسجـنـك تلقـى اسرة علويـة
تدور بشهم دورة الشهب بالقمـر

محمـد المحبـوب خامـس خمسـة
بذا لاسم فى سمط الملوك هنا اشتهر

عليهـم دمـا الشعب فى كل لحظـة
تسيـل بساحات المعـارك كالمطـر

رجاء رجوع الملك للشعب سالمـا
بأنجاله ما يرتجى فيهم انحصـر

ومـا دام لم يـأت الجميـع مصمما
على عزمه والنصر دائما لمن صبـر

ومنهـــا :

وعمـا قريـب سوف تظفـر بالمنى
وتعلو أعلى من ضل أو خان أو غدر

وياتـى امير المومنـين بـآلـه
على رغم أنف الحاسدين ومن كفـر

وله عدة وطنيات اشرت الى بعضهـا فى مكان آخر غير هذا ، منهـا قولـه :

من كجيش التحريـر يـوم الجـلاد
وتعاطـى سمـر القنـائي الجهـاد

وهى تربو على مائة بيت عدد فيها كل الاماكن التى هجم فيها جيش التحرير المغربى على المواقع الاسبانية بالصحراء خلال سنوات 57 و 58 و 59.

ولا تخلو مناسبة الا وللقاضى بحجب فيهـا قصيـدة ولم يـبق شاعـر من ابنـاء سـوس والصحراء الا وله معه مشاعرة لا تعوزه العبـارة ولا يوقفه الوزن الشعرى .

ومن مديحياته قولـه :

الشعب يـفـرح يومـنـا برجالـه
ونسائـه وبنـاتـه اطفـالـه

الى أن يقـول :

ملك البـلاد وجلالة الحسن الرضى
ثانـى السمـا ملكـا يرى من آلـه

وبعد عام على رجوع ايفنى الى الوطن قـال قصيدة مطلعها :

على مثـل هذا اليوم قبـل ومن بعد
يحق على ذا الشعب للخالق الحمـد

لقـد تـم فى ذا اليوم عـام وايفنى
طليق وحـر كل ساكنـه يـشـد

يشكـر اميـر المومنـين وكيـف لا
وللمغرب الاقصى هو الاب والجـد

ومن قصائده الوطنية قولـه :

الحـرب تعلـم اننـا الابـطـال
دهـرا بـنـا قـد تضرب الامثـال

وهى من ملحمياته التى عدد فيها جميع معارك المقاومة الوطنية فى مواجهة المد الاستعمارى وكذا معارك جيش التحرير من اجل استرجاع الصحراء

وبين هذا وذاك المقاومة الوطنية من اجل رجوع الاسرة المالكة وحصول على استقلالها .

4. الشام عبد السلام :

شاعر قطرى موهوب مولع بحفظ نوادر لادب العربى له ضلاعة كبيرة فى اللغة العربية ، وشعره يمتاز بالسلاسة وقوة التعبير يسهل عليه الوصف والقصص وتدوين الرحلات بشعره ليس مداحا ولا متغزلا . من وصفياته :

مال الحمام اهتزه اعياده
لحضورهن توفر استعداده

صدحت سواجعه قبيل الفجر كي
ما تفيق من الكرى هجاده

ما ان تبين لمن صغى الفاظها
ويروق من سمع الغنا ترداده

وهى تربو على ستين بيتا ، وله فى وصف جبال كتامة فى شمال المملكة ، وقد انشاها سنة 47 يتذكر فيها كفاح عبد الكريم الخطابى :

جبال كتامة الشم الطول
تطول الشامخات ولا تطال

تكاد تناطح الجوزاء طولا
وما ادريك ما تلك الجبال

معاقل اهلها ولمن بغاهم
يسوء دون غايته عقال

لقد خط الكفاح لاهلها من
صنوف المجد اسما ما ينال

ومن وصفياته قوله :

دق المصيف علينا الباب او لجا
فادن الاداوى الينا وافتح الفرجا

وارفع ملابسنا الا الخفيف كفى
ما قد توارى به من حره المهجا

ومهد القبة الفيحاء واجن لنا
من مشتهى ثمر البستان ما نضجا

وبركة الهو لا تترك بساحتها
مرءا ينقص من سرائنا سمجا

ومن شعره القصصى قوله :

وسيارة جوفاء ، تحمل كلما
تحملها من ثقلها عصب السفر

تسير كما شاء المسافر سرعة
وبطئا وما تدرى اللباب من القشر

الى أن يقول :

وما أسفت اذ لم امر بأسف
لمنظرها إياه بالنظر الشزر

ولم تجد اضواء الجديدة ترمى
سناها الدجى عنها بناصعة الظهر

الى أن يقول :

ولم ترع للبيضاء حرمة حسنها
فمرت بنا من بين حيطانها تجرى

ولو أن ما ترتاده حسن بلدة
لما زنيلتها قيد باع ولا شبر

وما ربطتها بالرباط روابط
تؤثر فى الصم الصلاب من الصخر

ومن تذكاره لايام الصبا قوله :

ساب المشيب فضلة من شبابى
كنت الهو بها مع الاحباب

واعللت بالخضاب ولكن
صلع الراس حال دون الخضاب

ومن وطنياته قوله :

الحق يرفع والاباطل تخفض
والحكم حكم الله ما لا ينقض

أنا بنى الصحراء تحت الراية الحمـ
ـراء نأخذ ما نشاء ونرفض

لا فارق لا حاجز لا حائل
ليحول بين بلادنا وبعض

وله عدة قصائد فى الغزل والرثاء والوصف والمحاورة وتذكار الديار والحنين الى الشباب .

5) الشيخ ماء العينين لا رباس

يمثل قمة الشعر الحديث بالصحراء له عدة قصائد في الوصف ، والحكم ومديح الرسول صلى الله عليه وسلم وفي قضية الصحراء ، وفلسطين ، وفي وصف الاماكن الجميلة بالمملكة ، ومن وطنياته قصيدة عدد فيها شمائل الاباء والاجداد ثم استحث فيها همم الوطنيين المغاربة على الوقوف من اجل استرجاع الحقوق الشرعية في صحرائنا ، ومطلعها :

بني وطني لازلتم منزل الشعرا
علو واولادكم من الخالق البشرا

فما منكم الا تقي مشرف
يحل مقام العز فضلا او القبرا

فانتم اباة الضيم بالله شمروا
وللرشد فادعوا قومنا وضحوا الامرا

وعار على ابناء مغرب ترتضي
حياة ذليل ذكره دنس العصر

قد استعمر القوط الدنيي بلادنا
ومص لباب الارض واحتكر القشرا

وكم من نساء الحي ايم جيشه
ودنس عرض البكر واختطف العذرا

وهدم بيت الله دون تورع
وقتل من في الدين قد صرف العمرا

بلادكم يرجو الغصوب اندماجها
ليجعلها من ارضه اسفا قطرا

وكانت بلادي جنة فاق وصفها
فابد لها نارا لنا تلد الجمرا

وبعد استعراض طويل باسلوب بديع اجتمع فيه حسن العبارة مع سلاسة التعبير والسلامة من اود النظم قال :

فان لم تسر اسبان م الساقي الحمرا
ترى من دم الاحرار ساقية حمرا

فانا دعاة السلم ان جنحوا لها
والا فنار الحرب نسعرها سعرا

ايا حسن خير الملوك ومن به
حبانا اله العرش بالنعمة الكبرا

فهاهم رعاياكم وخدام عرشكم
ينادونكم مما الم بهم قهرا

انقذت من الاعداء حواضر ارضنا
فانقذ من الاعدا مغاربة الصحرا

وخلصهم من غاصب ليس مرعو
يروم باقصى جهده القطع والبترا

6) الاستاذ الدرجاوي محمد عبد الرحمن العلوي :

عفت الديار بنكبة الاحساء
لتعاقب لا صباح ولا مساء

ياليت اطراف البلاد تلاطمت
يوما فما ابقت سوى الاشلاء

كي تستريح من الطغاة بفقدنا
ويبعدهم في كفى ارزاء

ولا ينسى في دور الوطنيات ، والادب بصفة عامة الباشا البيضاوي الذي خلد مآثر العرش في مديحيات جميلة وكذلك في ميدان الغزل والنسيب وهو من شعراء الطبقة الثانية .

7) الشاعر الاستاذ ابو بكر امربيه رب : من نماذج وطنياته :

هو الدهر والاعلام اعصرها الغرر
تباهى بعيد الملك سيدنا الاغر

هو الحسن الثاني لكيد عدائنا
وثاني الملوك الغر للشعب منتصر

تهنئكم بالعيد يا خير عاهل
على قمة العلياء ابهى من القمر

وله ايضا قصيدة مطلعها :

هبو من الفلات للاوطان

قالها سنة 1954 كلها توجيه للمواطنين هنالك ليساهموا مساهمة فعالة في الكفاح من اجل استقلال ووحدة الوطن .

وفى احدى القصائد التى وصف بها منظرا طبيعيا فى احدى واحات الصحراء قال :

فالجو صاف مسفر بيهائه
والروض أزهر ناضر الالوان

اشجاره ملتفة افياؤه ممتـ
ـدة محضوضل الاغصان

وفى وصف الطائرة قال :

واذا الحديد تحاورت
آلاته بلفاتها قرب البعيد الاسحق

فكأنها والبيد تسبح فقيها
سهم يراش من الرمية يمرق

ومن نماذج غزله قوله :

لئن اذرف الدموع من الآفاق
كذاك اخو الهوى عند التلاق

فلما ان دنوت منعت وصلى
وانى مخلص فى الود باق

ومن الذين خصصوا انتاجهم الشعرى للوحدة الداه محمد الذى يقول :

صحراؤنا اهدى اليك تحية
مشفوعة باليمن والتعظيم

فنضالك الميمون جاء لوقته
والله يعطى النصر للمظلوم

فانهارت الاعداء لدفاعنا
وغدت أوامرهم من المعدوم

فالمغرب الاقصى جميعا أرضنا
ولا نرتضى التقسيم للمقسوم

وكفاحنا من اجل وحدته معا
وهزيمة الطاغى الدنى المهزوم

هذا هو طابع شعره وله ديوان خاص بالوطنيات ، يمدح أمير المومنين فى شتى المناسبات وما من جريدة صدرت من اجل الصحراء الا ونشرت عدة قصائد للداه الذى تولى مراسلة جميع الصحف الوطنية من قلب مدينة العيون ابتداء من سنة 1954.

ومن نماذج الشباب فى الوحدة قوله :

باسم النضال وباسم الحق والامل
تبدو طلائعنا فى ساحة العمل

شعارنا وحدة بالعزم نأخذها
بالشيخ بالطفل بالانثى وبالرجل

لن ننثنى ابدا عن حق امتنا
فى خوض معركة مثلى بلا كسل

لن نبق شبرا مضا من ارض حوزتنا
ولو حصى رملة فى سالف الازل

أبناء قومى بنات الشعب حذركم
من مكر مغتصب وظل منفصل

وخائف مختلف وحشد مرتزق
وريب مشتبه وفعل مفتعل

... الى آخرها ...

وفى المحاورة كان جلها انحصر عندهم فى الغزل ثم المديح المتبادل بين المتحاورين لذلك فقد اوردت مقتطفات منها لاظهار اسلوبها لا غير ، من ذلك قول الشيخ محمد الامام وابن العتيق وقد نزلا ضيوفا بالبيغ وحضرا ندوة ادبائه التى يطلق عليها العلامة المختار السوسى ندوة العجم والعرب قال لهما الاستاذ عبد الله الافرانى :

اهلا اسيدنا الامام والعلم
ماء العين من بهما قد ضاقت الظلم

اقبل والله لى السعد المبين بطلعـ
ـة محييكما وزالت الغمم

فمرحبا بكما خير الورى كرما
فانتما خير من وفت لهم ذمم

فاجابه ابن العتيق :

جزيت بالخير يا من دابه الكرم
لا يعتريك ونى عنه ولا سام

فمن ينخ بك عبد الله راحلة
عن قلبه يبعد الايحاش والغمم

دامت بنا وبكم موصولة رحم
وانما رحم الاداب ذى الرحم

ثم اجابه محمد الامام بقوله :

تبوركت عبد الله نجل محمد
كريم السجايا طيب الاصل ماجده

تلقيتنا بشرا قتلكم فيكم
ايا آل عبد الله اكرم قاعدة

ابوك الذى عمت مزاياه فى الورى
ولا عجب ان شابه النجل والده

وكتب الشيخ الامام رسالة الى الاستاذ المرحوم سيدى الطاهر الافرانى ذيلها بقصيدة منها :

سرى امامك بالذميل وبالعنق
وشحوب لونك فى هجيرك والعرق

حتى تناخى عند نجل محمد
ذى المكرمات الغر والطبع الارق

فاجابه سيدى الطاهر بقطعة منها :

يا مرحبا بك من امام قد سبق
فى المجد حتى لا يجارى فى طلق

يا ابن الاولى حازوا فخارا وفتحوا
من كنز اسرار المعارف ما انغلق

يا شمس فضل اشرقت مع مطلع العلـ
ـا فجلى نورها ظلم الغسق

وفى مدينة تطوان احتفل نادى الوحدة بمقدم امربيه ربه ورفاقته لما عرجوا فى طريقهم الى الحج على تطوان حسب ما ذكرناه ، فانشد الاديب السيد ابراهيم بن الحاج على الالغى قصيدة امتدح بها محمد المصطفى أمر بيه رب مطلعها :

خطر النسيم مبشرا بالاسعد

ثم قال الشاعر الاستاذ ادريس الجاى قصيدة مطلعها :

نفى عن جفون النوم بعد سهاد

فاجاب السيد ماء العينين بن العتيق بقوله :

الشعر فى يد الخليل بمقود
يلقى وللجاء يجىء طوع اليد

الى آخرها . . .

وارتجل فى نفس المجلس الاستاذ عبد الوهاب بن منصور قوله :

أن جيد العلى بكم قد تحلى
وشعاع الصلاح منكم تجلى

وغرام فى الله يجمعنا اليـ
ـوم وحب الاله كالشهد احلى

ايها الزائرون شرفتمونا
مرحبا بالكرام اهلا وسهلا

فاجزنى يابن العتيق اجزنى
انكم فى الشعر اسمى واعلا

فاجابه بن العتيق :

هذه الخمر بل من الخمر احلى
بل هى السحر نفث هاروت يتلى

هى ابياتك التى مالها فى
سلك شعر يستطيع ذو النظم شكلا

رمت فيها اجازتى يابن منصـ
ـور قد كنت للاجازة اهلا

انت فى الشعر والبديع مجاز
قد وجدناك اذ خبرناك فحلا

فقال السيد يحجب بن خطرى :

فى مثل هذا المنتدى كمل المنى
وارى المنى النفس فى ذا المنتدى

حبى لمن بالمنتدى فى مبتدا
عمرى وآخره يرى كالمبتدى

فقال الشيخ محمد الامام :

جزاكم الله اجمالا واحسانا
اجلتم الصنع شبانا وفتيانا

تالله ما أبصرت عين نواديكم
الا رأتكم لعين المجد انسانا

فقال محمد ماء العينين بن الشيخ احمد الهيبة :

قابلتمونا باوفى ما نطيب به
فخرا من اعظم ترحيب واطيبه

وليس ذاك الا من سيادتكم
وما من المجد قد ماترا صفوت به

ومن الذين حازوا قصب السبق فى الغزل آب بن عبد الاله :

الجفن يجرى بدمع ليس بالراقى
على مرور عشيات واشراق

والجسم يشكو سقاما من غرامكم
مالن له غيركم فى الناس من راق

والعقل حيران من طرف به سحرت
عينى وقلبى بالحاظ وامساق

فانتم اصل ما اشكو من الم
وانتم رقيتى منه وترياقى

قد غص من ظما حلقى بريقه
شوقا كما غص منك الحجل بالساق

ومن نماذج غزل ابن العتيق :

خليلى بى داء الغرام مخيف
وقلبى اذا ما تسعدان خفيف

تعرجا على ربش الجدائل انما
شفا حرفه فوق الخيام منيف

هناك مغنى ممر مشتى ومربع
لنا ومصيف عنده وخريف

يغازلنى بالظلم ظلم غزاله
وترمحنى الحاظه وتسيف

فمفوجا عليه بارك الله فيكما
فان هواه تالد وطريف

وقولا له حياك يا منزل البوى
مشوق رهين للغرام حليف

الشيخ احمد الهيبة :

ما كنت اول مدنف قد شاقه
زهر الربا وتمايل الاغصان

... الى ان يقول :

ومجالس الفتيات والفتيان فى
انس من الانغام والالحان
الخ ...

وله ايضا :

كشفت انسجام الدمع فانهل وانهمر
وعاد عقيقا بعد ما كان كالدرر

وابدل من جوى البين والاسى
سبات الكرى والنوم بالسهد والسهر

وجفن منى على الفتح رفعه
ولا يتاتى فيه ضم وما الكسر

اهيم اذا ما شمت برقا يمانيا
وان ماست الاغصان فى نسم السحر

وفى الالفيات للعلامة المرحوم امختار السوسى وكذا الجزء الرابع من المعسول لنفس الفقيه عدة محاورات تمت بين شعراء سوس وشعراء الصحراء ، لم نتمكن من استعراضها لضيق الوقت ، وكذلك نماذج من جميل غزل شعراء الصحراء .

والعزم وطيد على نشرها فى القريب العاجل ليتم الاطلاع عليها مع جل شعراء تلك الفترة اما الشعراء الحاليون فان المساجلات الشعرية تميزت بكونها خصصت اما لقضية الصحراء المغربية أو لفلسطين ، وللاستاذ العلوى محمد الكبير عدة مشاعرات مع زملائه خدمة القضية الوطنية ، وكذلك الاستاذ لارباس ، ومحمد سداتى هيبة وكثير من قصائد شعراء الصحراء المعاصرين خصصت لقضية الامة العربية وقضية الاماكن المقدسة منها قولى :

حوراء تجيش بدمعة هطلاء
أسفا لوقع هزيمة نكراء

هيفاء تنعم بالشبيبة والهنا
لم تستلذ بفائض النعماء

ومنها :

عمرو يئن بجرح يكر مثخنا
وكليب يلهو ميت الاحياء

متعلق بالغرب يطلب مده
اضحى لهم من جملة الخدماء

والضد للشرق الحقود مؤلها
لينال منه اعانة الحلفاء

ومنهـــا :

ما سجل التاريـخ ابلـد من فـتـى
يـرجـو مـؤازرة مـن الاعــداء

ومنهـــا :

قـد هالهـا وضع الزمـان الكريـه
هـام العـروبـة مـهـبـط الالاء

فعلى الشحوب لهـا برغـم شبابها
مـن شـــدة الاحـــزان والارزاء

الى ان اقـــول :

ثـم انتشت والصدر يجهـش بالبكا
والدمـع اصـل تعلـة التـعسـاء

حتى اقـــول :

لا بـد من ضرب الغـزات بـشـدة
زحفـا من الصحـراء الى الـزوراء

ومن الخليـج الى المحيـط موحـدا
فى مـوكـب لا يـثـنـى بـبـلاء

وفى نماذج المراسلات حول فلسطين قلت :

يا من تبـوأ صدر كل فضيلة وسما
المحامـد كلـهـا وعـلا السـمـا

حاشاك تجهل مـا جرى فى مشـرق
حيث الظلوم محى الهدى وتحكمـا

ذبلت زهور الدين فى حـرم هـوى
تحـت الغـزات العائـين مقسمـا

هل انـت فى كمـد يمـزق صخـرة
ممـا بأرض القدس حـل فاجرمـا

وهي كلها تعبير عن خوالـج النفس ونوازعها ، وما كان يحس به المثقف المغربي بالصحراء من مرارة ازدواجية اقليمه تأخر عن الانضمام الى بقية الوطن مع تنوع الحبائل المرصدة لمستـقبـلـه ، وثالـث الحرمين واولى القبلتين تتجـرع مـرارة مؤامرات دولية تقايض فيها كل من مصدر القوتين مع الاخـر استهدافا لمصلحته عبـر استـلاب حقـوق الامـة العـربيـة .

ولارضنا يبكـى الجميـع نـدامـة
والمعتـدى نهـب البـلاد وقسمـا

وشعائـر الدين الحنيف بكـت لهـا
عيـن الشريعة دمعـة صارت دمـا

وبعد التماس تخصيـص الشعـر للقضـايا الوطنية قلـت :

وادفع بـه سيـر الزمـان موجهـا
نحـو العروبة كي يثـوب ويكرمـا

لمن الزمان طوى لهـم مجـد امضى
ومن السفـاهة أن يجـور ويظلمـا

وجهت تلك الرسالة للاستاذ لارباس فانشـأ يـقـــول :

ايـا مشعل العـز المكـرم طالمـا
نـفسى تتـوق لتفضحن المجـرمـا

فشعورنـا مـتـبـادل وقلوبـنـا
مـمـا بارض الشرق صـارت عليما

لا يجهـل العـربى دهـرا موعـدا
اعطاه بلـفـور علينـا اجتمـعـا

الى ان يقـول :

ومحى من الارض العزيـزة اهلهـا
وسقى بكـأس المكـر كـلا علقمـا

ونـراه طبـق مـا يخامـر فكـره
اذ صير القـدس النعيـم جهنمـا

الى ان يقـول :

واذا تـلا عـب عابـث بحقـوقنـا
قـد لا يضر الشمس غيم اظلمـا

ملاحظـة أخيرة :

ان جل المدائح التى أوردتها قد يتـبـادر الى الاذهان انها من الشعر الذى يظهر بمظهـر ذاتى ، ولكن عندما نتابع تعداد المواقف الوطنية ، وتوجيه الشعب الى ضرورة تضافر الجهود من اجل استكمال الوحدة باختيار اساليب وجدانية تنفذ الى اعماق كل مواطن لتعبيرها عن احساسه ، تمكنا من الحكم بان

مـــا علق بتلك المديحيـــات من ذاتيـــة اصهـــر فى الاحساس العام الذى وحد التطلع والمول بيـــن الملـــك والشـــعـــب ، لان كسر قيـــود رقـــابـــة المستعمـــر مـــا تـــأتـــى للمـــواطـــنـــين الا مـــن طريق التعلق باظهار البيعة للعرش ، والاستمرار فى التغنى بامجاده ولكونه احدى المقدسات التى لم يستطع المعمر ان يجعلها محل مساومة .

وما خيب لهم العرش والجالس عليه أميـــر المومنين أملا فها هو جلالة الحسن الثانى ايد الله ملكـــه تـــوج عهد النهضات المغربية عبر التاريخ معجزة المسيرة التى اخرجت الصحراء من فكـــي اسد فرجعت الى ماضيها التليـــد وواقعهـــا الذى لا يمكن ان تنفصل عنه فاصبحت والحمد لله تنعـــم بما ينعم به جميع المغاربة من ايـــادى بيضـــاء فى عهده ازاخر بالمنجزات فقطع بذلـــك دابر القـــوم الظالمين والحمد لله رب العالمين .

حمداتي ماء العينين

كان من عادة القاضي شريك بن عبد الله النخعي ان يخرج صبيحة كل يوم وقد اكل وشرب ، فمـــا يحتاج بعدها الى طعام او شراب ، ثم ياتي المسجـــد وهو مجلس حكمه ، فيصلي ركعتين ، ثم اذا استمر فى مجلسه اخرج ورقة فنظر فيها ثم يامر بالخصوم فيحضـــرون .

واراد جماعة من الناس معرفة ما في الورقة ، فعرضوا ذلك على ابنه فاخرجها لهم فاذا فيها :

« يا شريك بن عبد الله ، اذا وقف الخصوم بين يديك ، فاذكر موقفك بين يدي الله واذكر مرورك على الصـــراط » .



للأستاذ محمد حمادي العزيز

الروح هي الانسان ، وقضاياها وبخاصة مصائرها مهمة جدا بالنسبة لحياته في الدنيا وفي الآخرة بعد الموت .

ولهذا يهتم الانسان كثيرا بأمر روحه ، وبخاصة فيما يتعلق باطمئنانها وصفائها .

فكل انسان يحب الراحة والهدوء ، وان كان مفهومه لهما يختلف عن مفاهيم غيره من ابناء الانسان .

ولا راحة ولا هدوء بدون اطمئنان الروح وصفائها!

فالقلق والاضطراب اللذان يعاني منهما الانسان في الواقع الحياتي ليسا شيئا كبيرا وخطيرا بالنسبة لقلق الروح واضطرابها .

ان قلق الروح واضطرابها ليسا فقط على واقع حياتها في هذه الحياة الدنيا ، وانما على مصيرها بعد الموت في الحياة الاخرى .

وقلقها واضطرابها يدفعانها دائما في كل مكان وزمان ، الى البحث عن اسباب اطمئنانها وصفائها لتنال الراحة والهدوء في حياتها هذه في دنياها، وفي الاخرى بعد الموت .

وكل انسان يعرف بكل تأكيد ، معاني الراحة ، والهدوء ، والاطمئنان ، والصفاء ، والمصير الحسن.

وهو يعرف كذلك ، دون ادنى شك ، معاني القلق والاضطراب والمصير السيء .

وبالنسة للمصير الحسن في الحياة الآخرة بعد الموت هناك المقربون وهناك اصحاب اليمين .

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم : «فأما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين» .(1)

وبالنسبة للمصير السيء فيها فهنالك المكذبين الضالين .

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم : « فأما «وأما ان كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم»(2).

والانسان الرشيد ينشد الراحة الابدية لما فيها من «روح وريحان وجنة نعيم» وسلام وهدوء .

ومنذ القديم جدا تمتع الانسان بالراحة، والهدوء، والاطمئنان ، والصفاء .

1) الآيات 89 ، 90 ، 91 من سورة الواقعة .
2) الآيات 92 ، 93 ، 94 من سورة الواقعة .

ومنذ القديم جدا ايضا عانى الامرين من القلق والاضطراب .

ومنذ القديم جدا سلك انسان مهتد رشيد مسالك متنوعة ليضمن لروحه الراحة ، والهدوء ، والاطمئنان والصفاء ، وحسن المصير .

ومنذ القديم جدا لم يال انسان آخر غير مهتد بانقاذ روحه من القلق ، والاضطراب ، وسوء المصير.

والاصل في الروح انها مؤمنة، وطاهرة ، وصافية، ومطمئنة لانها تبدأ وجودها فى فكر الله الخالق المؤمن الازلى السرمدى، الطاهر ، الصافى، المطمئن، وتتعلق بارادته الربانية وبامره الالهى .

والمفروض أنها تستمر فى حياتها فى هذه الدنيا مؤمنة ، وطاهرة ، وصافية ، ومطمئنة .

ولكن الظروف والاوضاع البيئوية والمجتمعية بما تسود فيها من مؤثرات عقائدية، وطقوسية، وتقاليدية، وسياسية، وفكرية وغيرها توجه الانسان توجيها خاصا اما الى الايمان ، واما الى اللا ايمان (الكفر، والالحاد، والشرك..)

فاذا توجه الانسان توجيها ايمانيا الى الايمان، فان الروح تستمر مؤمنة ، وطاهرة ، وصافية ، ومطمئنة، وتتوصل بعد عمليات تطهير مقصودة غايتها الوصول الى الطهر ، والصفاء ، والاطمئنان حسب سلوك خاص يرتضيه الانسان التواق الى هذه الغاية .

اما اذا توجه الانسان توجيها لا ايمانيا ، الى اللا ايمان ، فان الروح لا تستمر مؤمنة ، وانما تتجه توجيها آخر له مبادئه ومذهبه ومعتقده الذى يتوقف عليه هناؤه المادى فى الحياة الدنيا ، وله وجهاته النظرية فى الحياة بعد الموت المخالفة تماما لوجهة نظر الايمان بالله .

قد يمكن ان يعود الانسان الذى تم توجيهه منذ ميلاده توجيها لا ايمانيا الى الايمان .

وقد يمكن ايضا ان يكون هذا الانسان مؤمنا ايمانا مكتوما .

وتتنوع قضية طهارة الروح وصفائها واطمئنانها بتنوع الديانات ، والعقائد ، والطقوس ، والفلسفات، والايديولوجيات ، والظروف والاوضاع البيئوية والمجتمعية ، (وأحيانا السياسية) وغيرها من المؤثرات التى تسود فى المجتمعات الانسانية .

وما دام الاصل فى الروح انها صافية لانها فى أصلها مؤمنة صدرت من فكر الله الخالق المؤمن مصدر الايمان والصفاء الازليين السرمديين اللانهائيين واللامحدودين ومعينهما «فان الرجوع الى الاصل اصل» كما يقول القول المشهور .

فاذن ، ان كل صفاء للروح يتطلب الايمان بالله الخالق ، والعودة اليه بايمان جازم ، وحب قوى ، وتوبة صادقة ، وانابة وعبادة خالصة بتضرع وخشوع وعمق .

هذا ، باختصار ، هو اصل صفاء الروح وبداية سبيلها اليه .

ولكن سلوك سبيل صفاء الروح امر صعب وشاق لا يستطيعه الا المؤمنون ، المحبون ، التائبون ، المنيبون ، العابدون ، الضارعون ، الخاشعون ، المخلصون .

ومهما يكن فى قضية سلوك سبيل صفاء الروح من صعوبة ومشاق، فان الارادة الصادقة تسهل كل صعب ، وتجتاز كل مشقة !

والايمان الذى هو الشرط الاول والاساسى لصفاء الروح هداية من الله الخالق .

وفى هذا يقول الله تعالى فى قرآنه الكريم :

«من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون»(1).

«ومن يهد الله فهو المهتدى»(2).

«انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين » (3) .

---

1) الآية 178 من سورة الاعراف .
2) الآية 977 من سورة الاسراء .
3) الآية 56 من سورة القصص .

«ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان » (1) .

وآيات بينات اخرى كثيرة في الهداية موجودة فى كثير من سور القرآن الكريم .

واذا كان الايمان هداية من الله الخالق فان صفاء الروح هداية منه سبحانه كذلك .

ومن يهده الله الى الايمان فانما يهديه الى صفاء روحه .

ومن يهتد بهدى الله الى الايمان يهتد ايضا الى صفاء روحه .

ومن يحبب الله الايمان فى قلبه يحبب له منه ومعه صفاء روحه كذلك .

هذه بايجاز معاني الآيات البينات السابقة .

وعليه ، فما دام الايمان من الله ومن هدايته فان صفاء الروح منه سبحانه ومن هدايته ايضا. والهداية الى الايمان وصفاء الروح فضل من الله واجتباء .

والايمان حب متبادل بين الله الخالق وبين الانسان المخلوق.

وصفاء الروح ايمان قوى جدا، ولذا فهو حب قوى جدا وخالص جدا .

وان كل ما يتعلق بالروح وصفائها ، بالنسبة للانسان المسلم ، موجود فى القرآن الكريم ، وفى حديث رسول الله (ص) ، وفى كتب أئمة العلماء ، والصوفيين الفلاسفة ، والفلاسفة الصوفيين .

ولهذا فان صفاء الروح يتطلب بعد الايمان والحب والارادة المعرفة ، معرفة كل أو جل ما يتعلق به، وتنال كل معرفة، كما هو معلوم، بالقراءة والاجتهاد، والدراسة ، والبحث ، والحديث ، والاستماع ، وبالصبر ، وطول الاناة .

ولقد اصبحت قضية المعرفة الروحية لمن يريد صفاء روحه سهلة فى عصرنا هذا نظرا لانتشار المعرفة ، ووفرة الكتب والمجلات والصحف والمنشورات بجميع اللغات ، وكثرة المكتبات والخزائات ودور القراءة المبثوثة فى كل مكان والتى تهتم ايضا بالدراسات المقارنة بين الاديان والمعتقدات.

وكل كتاب او اثر ثقافي عبارة عن انسان مؤلف وتجربة انسانية ذاتية حية ، وان مات المؤلف ، وخبرة حياتية تتناول موضوعا ما من المواضيع المتعلقة بوجود الانسان وحياتيه الدنيا والآخرة .

ويسهل على الانسان المؤمن المثقف ان يهتدى ، بهداية الله ، الى اسباب المعرفة الروحية المتعلقة بالروح وصفائها .

وسبيل الله هو افضل سبيل لصفاء الروح لانه الصراط المستقيم الذى جاء به القرآن الكريم ، ووضحته سنة رسول الله (ص) وهو صراط واضح، سهل ، ومضمون ، ومامون العواقب .

وكل انسان مسؤول وحده أمام الله .

والمسؤولية مسؤولية فردية شخصية دائما .

وكل انسان فى عصرنا يجب ان يكون مثقفا لسهولة اسباب التثقيف، وتعددها ، وتنوعها، ويجب أن يكون مؤمنا !

والانسان المؤمن المثقف المسؤول امام الله الخالق عن ايمانه ، وعمله ، مسؤول عن صفاء روحه.

ومهما استفاد من تجارب غيره من أئمة العلماء والصوفيين والفلاسفة فى كل زمان ومكان فان مصير صفاء روحه يتوقف ، بالدرجة الاولى وقبل كل شيء على حسن ايمانه ، وحسن عمله ، وعلى حسن اجتهاده الشخصي.

ان الدين دين الله، والسبيل سبيل الله، والصراط صراط الله ، وما اى امام كائن من كان الا مرشد ودليل وهاد وداع اليه حسب اجتهاده فقط .

والمعرفة الروحية تتطور وتتسع دائما بقدر العطاءات الفكرية والتجارب الروحية التى تضاف اليها فى كل حين .

---

(1) الآية 7 من سورة الحجرات .

وكل انسان فى عصرنا طالب يدرس العطاءات الفكرية فى العصور الماضية بالاضافة الى استفادته من عطاءات ثقافة عصره .

وان الانسان يحاسب على ايمانه وعلى عمله واتقانه.

وبقدر اتقان الانسان لعمله الى جانب قوة ايمانه، تزكى روحه ، وتتقدم اشواطا كبيرة فى سبيل صفائها .

ولصفاء الروح ، حسب هذا ، جانبان :

- جانب باطنى .

- وجانب ظاهرى .

ويشمل الجانب الباطنى لصفاء الروح المعرفة الروحية من ايمان ، وصلاة ، وعبادات ، وتبتلات، وتوسلات ، ونوايا حسنة ، وتأملات عميقة ، ونجوات يتصل بها الانسان مباشرة بالله خالقه ، بالاضافة الى الدراسات الدينية والصوفية والفلسفية والتجارب الانسانية المتنوعة .

ويشمل الجانب الظاهرى لها الاقوال والاعمال .

وتدل الاقوال والاعمال المشروعة والمعقولة والحسنة والطيبة ، على صفاء الروح فى جانبها الباطنى .

والاقوال والاعمال المشروعة والمعقولة والحسنة والطيبة ، تصدر عن النوايا الحسنة والطيبة ، كما ان الاقوال والاعمال السيئة والخبيثة لا تصدر الا عن نوايا سيئة خبيثة .

ويتعلق الصفاء الكامل للروح على صفاء جانبيها الباطنى والظاهرى معا .

ودين الله ، وسبيله ، وصراطه يبين اسباب صفاء الروح بجانبيها .

ولقد اوصانا الله الخالق باتباع دينه ، وسبيله ، وصراطه فقال فى القرآن الكريم :

«وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون»(1).

«قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين»(2) «وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم»(3).

ووصايا الله سبحانه وتعالى أوامر واجبة الطاعة والتنفيذ .

وخير ما يحفظه الانسان المؤمن المسلم لصفاء روحه هو كتاب الله القرآن الكريم وبعده حديث رسوله سيدنا محمد (ص).

والقرآن الكريم كلام الله الخالق ووحيه ، وهو دستوره الالهى لدينه وسبيله وصراطه المستقيم .

والايمان والصفاء من الله .

والروح من أمر الله .

واذن ، فسبيل الانسان الى صفاء روحه واضح ، وما عليه الا ان يسلكه .

وعندما يموت الانسان يتلاشى كل ما يحفظه ويبقى ما حفظه من القرآن الكريم !

وعليه ، فما دام الامر هكذا فليحفظ ما يبقى بعد الموت وينفعه يوم البعث والحساب والجزاء .

والانسان المؤمن المسلم العابد الله بالاحسان ، والمتبع دينه اتباعا صادقا ، خالصا مخلصا ، والنقى الوفى فى معاملاته مع غيره من ابناء الانسان، والامين فى نصحه لهم يكون قد قطع اشواطا طويلة فى سبيله الى صفاء روحه .

ويتطلب صفاء الروح بالنسبة للانسان المؤمن المسلم مراعاة الحلال فى حياته وعيشه .

وقد امرنا الله الخالق باتباع الحلال واجتناب الحرام .

1) الآية 153 من سورة الانعام .
2) الآية 161 من سورة الانعام .
3) الآية 73 من سورة المؤمنون .

وبين لنا فى القرآن الكريم ما هو حلال وما هو حرام .

وأول حلال في حياة الانسان هو الزواج الدينى الشرعي ليتجب اولادا حلالا .

ولعل اكبر ذنب – او جرم – يمكن ان يرتكبه انسان هو ان يلد انسانا خارج الزواج الدينى الشرعي، ويكون سببا فى وجود روح وجودا غير شرعى ، انه بهذا العمل يرتكب ذنبا – او جرما – سباعيا : ضد نفسه ، وضد المرأة التى شاركته فيه . وضد الولد الذى ينجبه ، وضد اسرته ، وضد أسرة المرأة التى شاركته ، وضد مجتمعه ، وقبل كل هذا ضد ارادة الله الخالق !

وهو ذنب – أو جرم – كبير جدا .

وان الارواح الثلاث لن تنسى ابدا هذا الذنب الكبير فى هذه الحياة الدنيا ولا فى الحياة الآخرة .

وذنب – او جرم – الزنا كذنب – او جرم القتل، وقد نهى الله سبحانه عن ارتكابهما فقال فى القرآن الكريم :

«ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق»(1)

« والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا(2) .

وبتامل هاتين الآيتين تأملا واعيا عميقا تتضح لنا حقيقة مروعة هى ان مجيء روح الى الدنيا مجيئا غير دينى وشرعى يعتبر كالقتل لانها ستتالم دائما فى الدنيا وفى الآخرة رغم براءتها عندما تعى هذه الحقيقة !

وماذا يمكن ان يقوله الرجل الذى كان السبب فى مجيئها هذا ؟

وماذا يمكن ان تقوله المرأة التى شاركته فى هذا ؟

وربما يكون الاجهاض اخف الشرور لتلافى هذا المجيء المخالف للدين والشريعة !

ويقول الرسول سيدنا محمد (ص) فى حديثه الشريف : «اذا بليتم فاستتروا» .

وما دام الانسان لا يستطيع ضبط غرائزه فمن واجبه التستر باستعمال موانع الحمل قبل الوصول الى الاجهاض لتلافي مجيء روح ، او انسان ، مجيئا غير دينى وغير شرعى للشقاء المعنوى والمادى فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة .

وجزاء القتل العمد جهنم بنص القرآن الكريم :

«ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها»(3)

فكيف بالاتيان بروح الى الحياة الدنيا اتيانا مخالفا للدين والشريعة ومضادا لارادة الله الخالق ؟

وعليه ، فصفاء الروح يتطلب بعد الايمان بالله المجيء الى الحياة مجيئا دينيا شرعيا (الهيا) .

ودين الله امرنا بالزواج لتجيء كل روح الى الحياة مجيئا دينيا شرعيا حلالا !

فلنتامل الآن هذا بصفاء ذهن تأملا عميقا ولنتساءل:

– ماذا يعنى ؟

والجواب هو :

– انه يعنى ان الروح التى تبدأ فى فكر الله الخالق بدء الهيا يجب ان تجيء الى الحياة مجيئا الهيا دينيا شرعيا !

وان مجيئها الى الحياة مجيئا غير الهى (غير دينى وغير شرعى) يؤكد حرية الانسان فى اختياره اعماله ومسؤوليته عنها !

---

1) **الآيتان 32 ، 33 من سورة الاسراء .**

2) **الآيتان 68 ، 69 من سورة الفرقان .**

(3) الآية 93 من سور النساء .

ولنتمعن فى قول الله عز وجل فى القرآن الكريم :

«ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين»(2) .

اما المؤمنون المتقون العابدون فجزاؤهم التمتع بنعيم الجنة .

ومن يهديه الله الخالق الى الايمان فانما يهديه الى دينه والى شريعته التى بين فيها الحلال والحرام وسائر القضايا الاخرى المتعلقة بوجوده وحياته من عبادات ومعاملات وسلوك واخلاق وغيرها .

واذن ، فاتباع دين الله وشريعته ضرورى جدا لصفاء الروح !

فاذا كان الايمان الجازم بالله والحب القوى له ، مع ما يتبعهما من عبادات وتأملات وتوسلات ودعاءات يؤديان واجبهما فى صفاء الروح فى جانبها الباطنى فان اتباع دين الله وشريعته والالتزام بالحلال وترك الحرام يؤدى الى صفائها فى جانبها الظاهرى .

وهذا التكامل بين صفاء الروح بجانبيها الباطنى والظاهرى ضرورى جدا لصفائها الكامل .

° ° °

ولنقم ، بعد هذا ، بجولتين وجيزتين فى القرآن الكريم نستطلع فيهما صفاء الروح كما اراده الله الخالق .

الجولة الاولى فى سورة « المؤمنون » فى الآيات الآتية : (1)

«قد افلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» .

والجولة الثانية فى سورة « الفرقان » فى الآيات الآتية : (2)

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما ، اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما» .

يصف الله سبحانه وتعالى فى الآيات المذكورة من سورة «المؤمنون» عباده المؤمنين الذين يكون جزاؤهم الفردوس وصفا الهيا آمرا .

ومن دخل الفردوس فقد فاز وأفلح ونجا !

وهذه غاية صفاء الروح .

ويصف لنا سبحانه وتعالى ايضا فى الآيات المذكورة من سورة «الفرقان» عباده المؤمنين وصفا ربانيا آمرا وحكيما ويذكر ان جزاءهم هو الغرفة اى الجنة والفردوس .

ومن دخل الغرفة (اى الجنة والفردوس) فقد نجا وأفلح وفاز .

---

2) الأيتان 12 ، 13 من سورة السجدة .

1) الآيات من 1 ـ 11 من سورة «المؤمنون» .

2) الأيات من 63 ـ 76 من سورة «الفرقان»

وهذه غاية صفاء الروح .

وفي سور القرآن الكريم آيات عديدة بها أوصاف عباد الله المؤمنين الذين جزاؤهم الجنة ، وفيها امر باجتناب محرمات كثيرة كالخمر والخنزير وغيرهما ، ووصايا خاصة بالاخلاق والمعاملات والمعاشرة وغيرها مما تتطلبه الحياة الاجتماعية الانسانية .

لقد بين لنا الله الخالق سبحانه وتعالى في هذه الآيات البينات من سورتي « المؤمنون » و « الفرقان » معالم سبيل صفاء الروح .

وكل آية من هذه الآيات البينات تستحق التمعن والتامل لما فيها من اوامر ووصايا الهية حكيمة .

ومن هذه الآيات البينات وغيرها استقى ائمة العلماء والصوفيون الكبار معرفتهم الروحية .

ان هذه الآيات البينات هي معين صفاء الروح ، وهي معين التصوف ايضا عند المؤمن المسلم .

انها تجمع صفاء الروح بجانبيه الباطني والظاهري.

وسبيل صفاء الروح ، كما نراه الآن ، واضح وسهل ، ولكن سلوكه هو الامر الشاق والصعب لان النفس الانسانية تنزع نزوعا يكاد يكون دائما الى الشهوات والمتع الممنوعة وتستصعب العبادات والقيام بواجبات الطاعة الالهية المفروضة .

وهنا يجد الانسان المؤمن المسلم ذاته وجها لوجه امام جهاد النفس .

ولا بد ان يمر صفاء الروح بجهاد النفس مرورا ما منه مفر ، وهذا هو الامر الشاق والصعب بالنسبة لسلوك سبيله الواضح السهل .

ولقد مرائمة العلماء والصوفيون الكبار بجهاد النفس ولكل منهم فيه تجربته الشخصية الخاصة الجديرة بالدراسة والاهتمام .

* * *

ـ فما هو جهاد النفس ؟

ـ جهاد النفس ، باختصار ، هو ترويض النفس، ومنعها من الاستمرار في الغي ، واتباع الشهوات المحرمة ، واقتراف الآثام والذنوب ، وفطمها عن هواها الضار بصفاتها(1) .

وما يهتم الانسان المؤمن المسلم به في هذا الجهاد النفسي هو محاربة الغرائز السفلى والآثمة للنفس الامارة بالسوء(2) (او اللاشعور) بواسطة الوعيين الباطني (الايمان بالله وحبه) والظاهري (الالتزام باتباع دينه وشريعته وقوانين المجتمع) للنفس اللوامة(3) (الشعور) لتتطهر ، وتتزكى ، وتصفو لتصبح نفسا مطمئنة(4) (الانا الاعلى) .

ان الجهاد النفسي ، كما نراه ، هو جهاد ذاتي ، باطني وظاهري ، يقوم به الانسان المسلم بوعي «شعوره» ضد الغرائز السفلى والآثمة في «لاشعوره» ليرتفع بنفسه الى مستواها اللائق بها «كانا اعلى» مسؤول وناضج .

ولقد تطلب صفاء الروح (او النفس) من كثير من كبار الصوفيين معاملة النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) معاملة حازمة (قاسية احيانا) لردعها ردعا تاما ، وكبحها كبحا كليا ، فتم لهم ما أرادوا ، ووصلوا الى غايتهم ، وفازوا .

ولكل منهم تجربته الذاتية الخاصة به ، وآراؤه، واجتهاده ، ومذهبه .

---

1) يقول الامام البوصيري في بردته المشهورة :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

2) الآية 18 من سورة يوسف : « قال بل سولت لكم انفسكم امراء والآية 53 منها : «وما ابرىء نفسي، ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ، ان ربي لغفور رحيم» .

3) الآية 2 من سورة القيامة : «ولا اقسم بالنفس اللوامة» .

4) الآيتان 27 ، 28 من سورة الفجر : «يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية» .

ومهما تعددت التجارب الذاتية ، وتنوعت الآراء ، والاجتهادات والمذاهب فان الغاية واحدة دائما هي الوصول الى صفاء الروح الفوز برضاء الله وحبه !

ولم تتجه قسوتهم في الجهاد النفسي ضد الروح في درجاتها الراقية العليا وانما اتجهت الى الغرائز السلفى والائمة في «النفس الامارة بالسوء» لتطهيرها وتصفيتها منها للارتقاع الى المكان الجدير بها كروح من امر الله الخالق .

ان الغرائز السفلى والآثمة في « النفس الامارة بالسوء» هي التي يعاقب عليها الله الخالق يوم البعث والحساب والجزاء ، وهي التي تنزل بالروح من الدرجات العليا الى الدركات السفلى .

وفي هذا الجهاد النفسي يجد الانسان المؤمن المسلم ذاته وجها لوجه امام باطنه واعماقه ، وأمام اعمق عمق في باطنه وأعماقه هو نفسه الامارة بالسوء (لا شعوره) ... ولا بد ان يردع فيها الغرائز السفلى والآثمة ويكبحها ليضمن صفاء روحه .

ـ فكيف يبدأ هذا الجهاد النفسي ؟

ـ انه يبدأ بداية باطنة بارادة عازمة على تصفية الغرائز السفلى والآثمة للنفس الامارة بالسوء (لاشعوره) ... ولا بد ان يردع فيها الغرائز السفلى تكامليا باطنيا ظاهريا بتقوية الايمان بالله وحبه ، وباتباع اوامر دينه وشريعته للوصول الى الاستقامة الدينية والاخلاقية والفكرية التامة باطنيا واخلاقيا .

ان الباطن لا يستقيم امره بدون ظاهر .

والظاهر لا يستقيم امره هو الآخر بدون باطن .

انهما شيئان متكاملان ، فلا بد ـ اذن ـ في عمليات الجهاد النفسي من تكامل تصفية الجانبين الباطني والظاهري معا لصفاء الروح .

وليس الظاهر الا انعكاسا للباطن .

ولهذا كانت الارادة العازمة في الباطن ضرورية جدا لتصفية الجانبين الباطني والظاهري معا .

وتعتبر تصفية الجانب الظاهري في البداية بالالتزام باتباع اوامر دين الله وشريعته ضرورية جدا لردع الغرائز السفلى والآثمة في النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) وكبحها ونهيها حتى تنفطم انفطاما كليا ونهائيا عن اى ميل الى اية شهوة محرمة او اثم .

وهذا الردع ردع ذاتي اختياري يقوم به الانسان المؤمن المسلم تلقائيا بارادته استجابة لامر الله الخالق ليصفي نفسه كي يرقى بروحه ويضمن لها صفاءها .

وما يقال عن ردع النفس يقال ايضا عن كبحها ، فهو كبح ذاتي اختياري تلقائي ارادي يستهدف تصفية النفس «الامارة بالسوء» من غرائزها السفلى والآثمة للارتفاع بمستوى الروح .

واذا كانت تصفية الجانب الظاهري تستهدف انهاء الغرائز السفلى والآثمة في النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) وفطمها فطما نهائيا وتاما عن اى ميل الى اية شهوة او اثم فان تصفية الجانب الباطني بقوة الايمان بالله والحب المتزايد له تستهدف تصفيتها حتى من التفكير في اية شهوة ما لم تكن حلالا لان مجرد التفكير فيها يعتبر ذنبا واثما وخطأ !

وعندما يصل الانسان المؤمن المسلم الى هذه المرحلة ينفتح امامه سبيل صفاء الروح واسعا الى الارتقاء في المعارج الروحية العليا التي لا يصلها ولا يرتادها الا من له ايمان قوى متين بالله الخالق جل وتعالى وحب مكين متزايد دائما له !

وينبغي ان نلاحظ انه عندما تنتهي تصفية الغرائز السفلى والآثمة في النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) يتم توحيدها بالنفس اللوامة (الشعور ـ او العقل) وبالنفس المطمئنة (الانا الاعلى ـ او القلب) وحينئذ تصبح النفس روحا طاهرة صافية ، وتأخذ في العروج الى المرتقيات والمراتب الروحية العليا لتكون سرا ، وسر السر(1) .

---

1) يسمي السادة الصوفيون الروح بالاسماء التالية حسب تطهرها : النفس ، والعقل ، والقلب، والروح والسر ، وسر السر .

ـ راجع كتاب «ايقاظ الهمم في شرح الحكم» للعلامة الصوفي المغربي سيدي احمد بن عجيبة (الطبعة الاولى سنة 1961 بمصر صفحات 25 ـ 111 ـ 277ـ 278) .

ـ راجع الهامش (1) في صفحة 14 من مقال «الروح وحب الله» (الاعماق ـ العدد الثاني ـ السنة الاولى يونيه 1973).

واذا تاملنا هذه العبارة الايقانية التقليدية المشهورة: «الايمان جزم بالقلب» يتضح لنا ان القلب ما هو الا النفس المطمئنة (الانا الاعلى) .

أما العقل فليس الا النفس اللوامة (الشعور) لانه يردع الغرائز السفلى والآثمة ويكبحهـا ، ويعقـل الانسان بشعوره ووعيه من الاستجابـة لهـا ، ومـن التفكير فيها .

الى هذا الحد يكون الانسان المؤمن المسلم قـد قطع شوطا بعيدا وطويلا فى سبيل صفاء الروح .

وهو سهل ، كما نرى ، نظريا !

ولكنه امر صعب عمليا .

ولا استطيع ان اتناول فى هذا المقـال المحـدود تجارب السـادة الصوفيين الروحية وامثلة لجهادهـم النفسي لان هذا الموضوع يجب ان يبحثه امام كبير، مثقف ثقافة موسوعية ، ورع ، زاهد ، تقي ، طاهر مجرب سبق له ان جاهد نفسه وغلبها ووصـل الـى غايته في صفاء الروح !

وفى كتب السادة العلماء والصوفيين تجارب روحية كثيرة ، ومسالك متنوعة لتصفية النفس والارتقاء بها لتصبح روحا . وبامكان القارىء المؤمن المسلم المثقف ان يطلع عليها ، ويقارنها ويكون له رأيه الشخصـي الخاص فيها ، ويختار ما يناسبه منها ان شاء اختيارا حرا ،، بمحض ارادته واقتناعه .

ان كل ما يتعلق بصفاء الروح موجود فـى القرآن وفى حديث رسول الله سيدنا محمد (ص) .

وسبيل الله وصراطه المستقيم واضح وسهل : انه الايمان بالله وحبه ، واتباع اوامر دينـه وشريعتـه ، والحياة الحلال كما امر الله بها .

و « الحلال بين والحرام بين » كما فى حديث رسـول الله (ص) .

والجهاد النفسى هو جهاد روحي لانتصـار الحـلال على الحرام فى اعمق مفاهيمه .

ولا بد من المثابرة والصبر فى الجهـاد النفسـى للوصول الى الغاية المتوخاة وهى صفاء الـروح لان النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) يصعب فطمها عـن غرائزها السفلى المحرمةوالآثمة وخاصة فى دنيا مليئة بشتى الوان المغريات والاغواءات .

ولا بد من التدريج فـى تصفيـة النفـس الامـارة بالسوء (اللاشعور) من غـرائزهـا السفـلى المحرمـة والآثمـــة .

ولا بد من استشارة من سبقوا فى سلوك سبيل صفاء الروح للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم .

وانطلاقا من العبادات المفروضة ، الى زيادة بعض النوافل ، الى الابتعاد الكلي العملي والفكري عن الغرائز السـفلى المحرمة والآثمة ، الى التأمل العميـق الدائـــم في ملك الله الخالق وملكوته وجبروته ، الى التعلق القوى المتين بحب اللـه ومناجاتـه يحس الانسان المؤمن المسلـم تحـولا روحيـا كبيرا فى اعماقـه ، وباطمئنان شامل ، وراحة تامة .

واذا استمر وداوم على هذا فانه يرى عجبا، اذ تصبح حياته روحية ، ويصير وليا من اوليـاء اللـه الصالحين ، ومن عباده المقربين .

ان سبيل صفاء الروح هو السبيل الى حب اللـه ورضاه ، والفوز بافضل ما عنده فى الدارين الدنيـا والآخـــرة .

«وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (1) كما يقول الله سبحانه وتعالـــى فى القرآن الكريم .

وان اشرف معرفة يجب ان يهتم بها الانسان المؤمن المسلم هي المعرفة الروحيـــة .

وبعد هذا يستطيع كل انسـان مـؤمن مسلـم ان يسأل نفسه هذا السؤال :

– كيف استطيع ان احقق لروحى صفاءها لاكـون فى الآخرة من الفائزين ؟

والجواب يفرض عليه ان يفكر ، ويبحث ، ويعمل ويسال ، ويتبع ما انزل الله وما امر به وما قالـــه رسوله الكريم سيدنا محمد (ص).

ولكل انسان اجتهاده وميله .

والله اعلم بعلمه وهداه ، وهو الموفق والهادى الى صراطه المستقيم وعنده حسن المآب .

م. ح. العزيز

---

(1) الآية 35 من سورة فصلت .

ملامح شخصية

الحاج علي عوّاد

للأستاذ محمد بن الطيب العلوي

مولـــده :

ولد المترجم بمدينة سلا عام ستين ومائتين والف 1260 وهو الفقيه العلامة المحدث أحد كبار الاعلام الذين تزينت بهم الرتب والمنابر القاضي الجليل السيد الحاج علي بن العلامة القاضي السيد احمد عواد . نشأ في بيت أصالة وعلم . وبيت آل عواد من البيوتات الشهيرة بمدينة سلا بعلو القدر وشرف الذكر تعدد فيهم العلماء والقضاة والخطباء والأيمة والعدول والادباء ، واصلهم من قبيلة دكالة احدى قبائل المغرب فرقة بني هلال استوطنوا مدينة سلا ايام الدولة السعدية .

مشيخته :

قرا ببلده سلا القرآن العظيم على الفقيهين السيد محمد خضور والسيد محمد محبوبة والعلم على علمائه : صنوه العلامة القاضي السيد أبو بكر عواد والعلامة السيد محمد بن عبد العزيز محبوبة والعلامة السيد محمد الثيال والعلامة السيد محمد مسطس والعلامة السيد محمد السدراتي والعلامة السيد احمد الجدار . ثم قصد فاس اوائل شهر شوال عام ثمانية وسبعين ومائتين والف 1278 — وسنه اذ ذاك ثمان عشرة سنة وتلقى العلم من شيوخه الاعلام ومنهم العلامة ابو عبد الله السيد الحاج محمد جنون والعلامة القاضي ابو عبد الله سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن العلوي والعلامة ابو العباس السيد احمد بناني والعلامة سيدي عبد الله البدراوي والعلامة ابو العباس السيد احمد بالحاج والاخوة العلماء الثلاثة ابو حفص وابو عيسى وابو العباس السوديون وغيرهم ، وكل الشيوخ اجازوه اجازة عامة ثم اخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ الطيب الدرقاوي عن خليفة والده الشيخ ابي العباس سيدي احمد بن دحمان اليالصوتي الزروالي عن الشيخ العربي الدرقاوي كما اخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ سيدي احمد والده الشيخ سيدي ابي بكر الى شيخ سيدي محمد بناصر الجعفاري الزينبي .

وقد اذناه بتلقين وردهما فكان يلقن ذلك وبعد ان ظهرت كفايته قفل الى مسقط راسه ورشح للعدالة والتدريس والافتاء بفقه متأسس ففرع في ذلك وحقق وعبر ونسق .

حالــه :

كان فقيها علامة جليلا محدثا حافظا نبيلا مفتيا حافلا قاضيا شهما اثيلا متحليا بالشمائل العالية والخصال الغالية عالى الهمة والمقدار عظيم الهيبة والوقار عزوفا عن الضيم سخيا كريما حسن الفائدة لم يمض له وقت في غير العبادة ولا ساعة في غير الاستفادة والافادة سارع الدمع متباعدا عن الرياء والسمعة محبا للشرفاء والصلحاء زوارا لهم خصوصا مولانا ادريس الاكبر ومولانا ادريس الازهر ومولانا عبد السلام ابن مشيش ومولانا العربى الدرقاوى ومولانا العباس السبتي وابا يعزا ومولانا ابا نطلهام ومولانا شعيب وسيدى موسى الدكالى والشيخ ابا العباس سيدى الحاج احمد بن عاشر رضى الله عنهم ، ميمون الحظ مقداما غير هيوب له سر موهوب مع سلامة صدر وباطن مساو للظاهر فما شئت من نفس عذبة والشيم واخلاق كالزهر بعد الديم اذا تليت أوصافه ركع لها القلم وسجد تفرض في علو سنده في الحديث فاصبح دار

علم بين الدراية والسند وهو صهري وشيخي الذى وردت منهل افادته رائقا واحد الاعلام الذين رويت عنهم السنن وسمعت منهم الحديث الصحيح والحسن .

ولايتـــــه :

تولى الخطابة بالجامع الاعظم بمدينة سلا يوم خامس عشر صفر الخير عام ستة وتسعين ومائتين والف 1296 هـ مكان صنوه المرحوم القاضي الخطيب السيد ابى بكر عواد ، فاتفق على فضله ونبوغه وكان اذا خطب ترتاح النفوس الى خطبته عارفا بالمناسبات بليغ الموعظة الخارقة للعادة انفرد بذلك بين ابناء جنسه واعجب علماء وقتـه ببراعته وفصاحته وحسن صناعته وبمناسبة ذلك قال فى حقه العلامة المؤرخ سيدي احمد الناصري فى تاريخ الاستقصا : وهو مجيد فى الخطابة ومن اهل المروءة والدين والعلم ثم تولى بعد ذلك العدالة بمرسى العدوتين ثم بمرسى الدار البيضاء فى فاتح حجة عام تسعة وثلاثمائة والف 1309 هـ موافق 1891 ، عين قاضيا بمسقط راسه مدينة سلا فاعز الخطة والتزم الصراحة ولم تاخذه فى الحق وجاهة واجيه ولا شهامة متولي او نبيه وانفذ الاحكام وامضاها المهيع التي اختارها السلف وارتضاها والقت اليه الصناعة زمامها ووقفت عليه احكامها وعقد دروسا فى الفقه والحديث فانفسح مجال درسه واثمرت ادواح غرسه وعند حلول شهر رجب افتتح صحيح البخارى رضى الله عنه بالجامع الاعظم بعد صلاة الظهر الى صلاة العصر وبعد صلاة الصبح الى وقت الضحى وصار الفقهاء والعدول والطلبة وعامة الناس يحضرون مجلس درسه من غير انقطاع الى ان وقف على ختمه ليلة القدر المباركة .

فى اوائل شهر شوال الموالي لشهر رمضان المذكور احتفل للختم واستعد له استعدادا فائقا فكان عذبا رائقا حضره علماء البلد وشرفاؤه وطلبته ووجهائه وادباؤه وكذلك علماء الرباط ونبغاؤه واستغرق الاملاء والقاء ما جادت به قريحته الوقادة من الساعة التاسعة صباحا الى الساعة الواحدة زوالا من حفظه ويشتمل هذا الختم على كراستين ومدح ادباء سلا منهم العالم المؤرخ السيد محمد بن علي الدكالى ثم حضر الكل بداره وتناول ما لذ وطاب اكراما لهم بمناسبة ختم الامام البخارى وهكذا كان امره فى الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان . يفتتح قراءة الحديث وكنا نحضر مجلسه فى الاشهر المذكورة فى الايام الاخيرة مع زمرة من الاخوة الفقهاء النبغاء ونراه يتعمق فى تراجم رجال الحديث ويفسر الحديث على مقتضاه ويستحضر القواعد الأصولية . ويستشهد بكلام الشيخ خليل والفوائد الفقهية .

وقد املى دروسا حديثية بين يدي الملوك العلويين خصوصا الملك عبد الحفيظ ، وفى عام 1316 هـ استدعى الملك الهمام مولانا عبد العزيز المترجم للعاصمة المراكشية هو وعامل سلا الفقيه السيد عبد الله بنسعيد لبعض سوء تفاهم بينهما وقع ، فمحي بعد عودتهما الى وطنهما ووظيفهما وعادت محبتهما على احسن حال ، وعين المترجم نائبا عن قاضى مراكش السيد العربي المنيعى الذى وجه لاغراض مخزنية للمملكة وانتدبه الملك بخطبة الجمعة بالجامع الذى يصلي فيه وبقي العلامة السيد احمد عواد ابن اخ المترجم نائبا فى القضاء وعين العامل لمامورية مخزانية بطنجة وبقى نائبه الشريف على ما عهد عليه من نيابة عنه وهو سيدى احمد الطالبي ، ثم اعفى المترجم من قضاء سلا وعين بمدينة الجديدة فى شهر شعبان 1316 هـ موافق 1899 ، ثم عين بمدينة اسفى ، وفى عام 1319 ، اعيد المترجم لقضاء سلا والعامل لعمالة سلا وفى شهر ذى القعدة عام ثلاثين وثلاثمائة والف 1330 هـ زيدت له امامة الجامع الاعظم لوفاة الامام العلامة المرحوم السيد محمد السدراتى ، وفى شهر ذي القعدة اعفى المترجم من قضاء سلا حيث كان معارضا للسلطة الاحتلالية وبقي ابن اخيه السيد احمد المذكور بوجه النائب الشرعى ، وفى عام 1337 سافر المترجم الى مدينة طنجة بقصد صلة الرحم مع ولده الفقيه النحرير السيد ابي بكر عواد الموظف اذاك بدار النيابة هناك وحدث اثناء المقام بها اعفاء قاضي طنجة السيد محمد الهوارى، وطلب السيد امحمد التازى النائب المخزانى تقديم المترجم للقضاء فاعتذر لكبر سنه الا ان جلالة الملك المعظم مولانا يوسف اصدر ظهيرا شريفا بولاية المترجم لقضاء مدينة طنجة لانها بعيدة عن السلطة المعادية للمترجم المذكور فقام مدة يسيرة بها احسن قيام ولا زال اهل مدينة طنجة يثنون عليه الثناء العاطر فصار يخطب فى جامعها وقد اطلعت على الرسوم الذى خاطب عليها وبعض الاحكام لما كنت قاضيا بها ثم اختار الرجوع الى

بلده فرجع بعد ما اعفي من القضاء ، واستمر مقبلا على عبادة ربه وصار لا يفارق الجامع الاعظم كثير الصلوات والاذكـار .

رحــلاتـــــه :

رحل الى الديار الحجازية والاقطار الاسلامية خمس مرات الاولى عام 1302 صحبة رفيقه الشريف ناظر الاوقاف بفاس السيد الحاج عابـد الادريسي والثانية عام 1310 صحبة رفقائـه وولـده السيد محمد وولد صنوه الفقيه العدل السيد الحاج محمد عواد وصهره سيدي محمـد بن ادريـس الجعيدي وتوفي ولده والشريف الجعيدي بمكة المكرمة بعد قضاء مناسكهما،والثانية 1323 صحبة رفقائه العلامة السيد الحاج العربي الناصري والعدل السيد محمد عواد وولده الفقيه العدل الكاتب بوزارة الاوقاف السيد الحـاج عمر عـواد ، والرابعة عـام 1329 هـ ، صحبـة رفقائـه صهره العلامـة السيد الحاج الهاشمي بن خضراء الذي تولى رئاسة مجلس الاستيناف الشرعي والقضاء بمدينتي فاس والدار البيضاء وولده الفقيه العدل السيد الحاج محمد عـواد ووصيفه السيـد الحاج فرجي ، والخامسة عام 1352 صحبة ولـده الفقيه الكاتب الحاج المكي وصاحبه السيد الحـاج محمد السوسي ، فحج وزار وراء المشاهد والمزار وتجول فى العواصم منتجعـا عوالـي الروايـة فى مظانها ومنقبا على كبرائها واخـذ عـن شيوخهـا كالشيخ رحمة الله الهندي والشيخ علي ابن طاهر والشيخ دحـلان والشيـخ ابراهيـم السقــاء والشيــخ بـدر الديـن المسقـي والشيـخ يوسـف الدهـان والشيـخ يوسـف النبهـانـي والشيخ سليم البشري والشيخ عليج والشيخ بـدر الدين المغربي وغيرهم وكلهم اجازوه اجازة عامـة مطلقة تامة ، وقد اجازني والحمد لله بما اجـازوه وكتب لي بما يلـي :

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ومن تبعهم بالاحسان الى يوم الدين وبعد فقد طلب منـا صهرنا وعوض ولدنا الشريف الاصيل الجليل الفقيه العلامة الاثيل العدل النزيه المرتضى الحفيل سيد محمد بن الشريف الاصيل المعظم المحترم الجليـل المنتخب المكرم النبيل سيدى مولاى الطيب العلوى بان نجيزه باسانيدنا العلمية على اختلافها وحيـث كان الشريف المذكور اهلا للاجازة وحضر مجالسنـا العلمية الحديثية وغيرها أعوامـا عديدة وظهـرت نجابته ولاحت فى جميع العلوم براعته الى ما خصه الله تعالى من العفة والنزاهة وجميل الصفـات الحسنة المطلوبة فى سادتنا الشرفاء الابرار واهـل العلم والاسرار اجبته لطلبه ولبيت رغبته واذنتـه بتعاطى جميع العلوم النقلية والعقليـة والخوض فى مضمار الفنون الحديثية واجزته فى جميع مروياته وما لدى من اسانيد الشيوخ للصحاح وغيرها من جميع كتب الحديث وكافة الفنون التى يطلـع عليها بغير هذا منها سندى العالـم المتصـل للامام البخارى المروى عن شيخي سيدى على ابن طاهر الوتـرى عن الشيخ محمد عابد الهندى عن عمدة المحدثـين الشيخ صالح العمارى الفلانى عن المعمر الشيـخ محمد بن هبة العمرى الفلانى عن أبى الوفاء الشيخ احمد بن محمد اليمنى عن مفتى مكة قطب الديـن محمد بن احمد النهراوى عن أبى الفتوح احمد بـن عبد الوهاب الطاوسي عن بابا يوسف الهراوى عن المعمر بن شهد بخت الفارسى الفرغانى عن أبـى لقمان يحيـى بن عمار ابن مقبل ابن شهان الختلانى عن محمد بن يوسف عن الامام ابى عبد الله سيدى محمد بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه .

وأوصى الشريف الغنى عن التعريف بتقـوى الله العظيم فى السر والعلانيـة وأن يسهـم لى فى صالح ادعياته والله سبحانه ينفعه وينفع به العباد ويجعله مفتاحا لكل من قصده واخذ عنه هذا السند ومن خيرات العلماء العاملين وصالح المهتدين ويختم لنا وله بالسعادة ويصلحه ويصلح اولاده وكل مـن انتمـى اليـــه .

وحرر فى ليلة الاثنين رابع ذى القعدة عـــام 1352 .

خادم اهل العلم علي بن محمد عواد الهلالي كان الله له

وطـنـيـتـــه :

كان المترجم من المخلصين فى محبـة وطنـه محبة عظيمة لدينه وللعرش العـلوى المجيـد ومن المعارضين للسلطة الاحتلالية فى جميع مـا يخالف الدين وعوائد المجتمع لا يخاف أحدا الا الله جـل علاه وكان يصرح فى خطبه والمحافل العامة بما تقوم

به السلطة من الخروج عن الجادة ، وضاقت بـــه ذرعا ولم تنل منه شيئا لخوفه من الله تعالى ومكانته عند جميع الطبقات ومحبتهم له وكذلك لدي جلالـــة الملك وخصوصا الملك الصالح مولانا محمد بـــن يوسف ونذكر ما قاله المترجم جهرا اثـــر الفاتحـــة ليلة المولد النبوي الشريف بالجامع الاعظم وهـــو خاص بسائر الطبقات وهم صموت وهذه عبارته : **« الله تعالى يشتت أمر الفرنسيس ويخيب مسعاه فى قريب يـــا مجيب الدعوات »** فخاف الكل عليه من مقالته ولكن الله تعالى سلمه وحفظه من ذلك وهو أول من قام باسم اللطيف بالجامع الاعظم بسلا لدى صدور الظهير البربرى وتزعم ذلك باخلاص وايمـــان قوى ثم بعد ذلك سار اللطيف يذكر بالمدن وغيرهـــا ولا ينسى كل وطنى غيور ما قام به المترجم المذكور فيما يرجع لذلك وغيره كتب الله له ذلك فى حسناته.

وفـــــاتــــــه :

ختمت انفاس المترجم قـــدس الله روحـــه فى الساعة التاسعة من ليلة الاربعـــاء سادس عشـــر صفر الخير عام 1354 هـ موافق 27 ماى سنة 1935

وحضرت وفاته مع زمرة من الاحبة ودفن يوم الاربعاء بصحن الزاوية الدرقاوية بسلا بعدمـــا صلى عليه بالجامع الاعظم اثر صلاة العصر اخيه العلامة السيد الحاج احمد عواد وحضر جنازته اهل البلـــد وعلماء الرباط واعيانها والهياة المخزنية ، وعظـــم مصاب الناس بموته لما اتصف به من الدين المتين والعلم . ورثاه العلامة المفتى نائب القاضى السيد الطيب الناصري بقصيدة غراء وخلف المترجم ختمات للحديث وغيره رائعة وخطبا فائقة وفتاوى وتقاييـــد راجعة للاحكـــــام .

صعد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه المنبر اثر توليه الخلافة ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد ، فانه ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد الكتـــاب الذي انزل عليه كتاب ، الا ان ما احل الله حـــلال الى يوم القيامة ، الا اني لست بمبتدع ، ولكن متبع ، الا انه ليس لاحد ان يطاع فى معصية الله ، الا اني لست بخيركـــم ، ولكنى رجل منكم ، غير ان الله جعلنـــي اثقلكـــم حمـــلا ! .

الوجادات

676 - 689

إعداد : الاستاذ عبد القادر زمامة

690 ـ من ذكريات ابي علي القالي ... !

وجدت فى كتاب « الصلة » لابن بشكوال فى ترجمة هارون بن موسى القيسي الاديب :

« قال لي ابو نصر هارون بن موسى بن جندل النحوي :

كنا نختلف الى ابى علي البغدادي رحمه الله وقت املائه « النوادر » بجامع « الزهراء » ونحن فى فصل الربيع . فبينما انا ذات يوم فى بعض الطريق اذ اخذتني سحابة فما وصلت الى مجلسه رحمه الله الا وقد ابتلت ثيابي كلها ... ! وحوالي ابي علي املام اهل قرطبة . فامرني بالدنو منه وقال لي :

مهلا ابا نصر ... ! لا تأسف على ما عرض لك ... فهذاني ، يضمحل عنك بسرعة بثياب غيرها تبدلها . ولقد عرض لي ما ابقى بجسمي ندوبا تدخل معي القبر ... !

ثم قال لنا : كنت اختلف الى ابن مجاهد رحمه الله . فادلجت اليه لاتقرب منه . فلما انتهيت الى الدرب الذي كنت اخرج منه الى مجلسه الفيته مغلقا وارث عليه فتحه ...

فقلت : سبحان الله ... ! ابكر هذا البكور ... واغلب على القرب منه ... ! فنظرت الى سرب بجنب الدار فاقتحمته . فلما توسطته ضاق بي . ولم اقدر على الخروج . ولا على النهوض . فاقتحمته اشد اقتحام . حتى نفذت بعد ان تخرقت ثيابي . واثر السرب فى لحمي حتى انكشف العظم ... ! ومن الله علي بالخروج . فوافيت مجلس الشيخ على هذه الحال ... ! فاين انت مما عرض لي ... !

وانشد :

دببت للمجد والساعون قد بلغوا
جهد النفوس والقوا دونه الازرا

فكابدوا المجد حتى مل اكثرهم
وعانق المجد من اوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرا انت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قال ابو نصر :

فكتبناها عنه من قبل ان ياتي موضعها فى نوادره . وسلاني بما حكاه . وهان علي ما عرض لي من تلك الثياب ... واستكثرت من الاختلاف اليه . ولم افارقه حتى مات رحمه الله ... ! »

691 ـ مدينة بادس .

وجدت فى كتاب « وصف افريقيا الشمالية والصحراوية » الماخوذ من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » نشره بالجزائر هنري بيريس سنة 1957 م ص 110 :

« باديس : مدينة متحضرة . فيها اسواق وصناعة قلائل . وغمارة يلجؤون اليها فى حوائجهم . وهي آخر بلاد غمارة ... ! ويتصل بها هناك طرف الجبل . وينتهي طرفه الآخر فى جهة الجنوب الى ان يكون بينه وبين بلد بني تاودا اربعة اميال . وكان بهذا الجبل قوم من اهل مزكلدة ... »

692 ـ المرجان بسبتة :

وجدت فى كتاب « وصف افريقيا الشمالية والصحراوية » الماخوذ من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ص 108 :

« ومن مدينة سبتة يصاد شجر المرجان . الذي لا يعادله صنف من صنوف المرجان المستخرج بجميع اقطار البحار وبمدينة سبتة سوق لتفصيله . وحكه . بوصفه خرزا . وثقبه . وتنظيمه . ومنها يتجهز به الى سائر البلاد . واكثر ما يحمل الى غانة . وجميع بلاد السودان . لانه فى تلك البلاد يستعمل كثيرا ... ! »

693 ـ تسايست ... ؟

وجدت فى كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » لمؤلفه القاضي محمد بن علي بن حماد الصنهاجي . المطبوع بالجزائر سنة 1927 م ص 51 عند كلامه على عادة العبيديين بخروجهم كل يوم الى مكان معين يلتمسون رجوع « الحاكم بأمر الله الفاطمي »

« ... وهذا الرسم من خروج المركوب غدوة كل يوم هو الذي اتبعه ملوك صنهاجة بافريقية . وبالقلعة . وبجاية . وكانوا يسمونه : تسايست . اى استايست ... ؟ الى آخر ايامهم . يخرج القائد كل يوم بالجيش عن البلد . فيمشي مسافة معلومة . الى موضع معلوم . فيقف برهة . ثم يرجع الى باب السلطان فيقف الى ان يؤذن له فى الانصراف .. ! »

694 ـ قفص ابي يزيد ... !

وجدت فى كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » ص 33 :

« ... وعمل (المنصور) قفصا من خشب وادخل فيه قردين ذكرا وانثى وقال لاصحابه لا بد لمخلدين كيداد من دخول هذا القفص ومقارنته فيه مع هذين القردين ونصبه قبالة ابي يزيد فقال محمد ابن المنيب :

جل البلاء لمخلد
وجميع شيعته النواكر

امسى بأرض كياتة
قد بان منه كل ناظر

يرنو بطرف خاشع
نظر المحاصر للمحاصر

يرنو الى عدد الحصا
والرمل من تلك العساكر

يا مخلد بن سبيكة
يا شر بيت فى العشائر

ذق ما جنت يداك قبل
من الكبائر والصغائر

انظر الى القفص الذي
لا بد فيه انت صائر

وانظر الى يديك فيه
ومؤنسيك ومن تجاور

قد طال شوقها اليك
فزرهما يا شر زائر »

695 ـ القياسير ... !

وجدت فى كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » عند كلامه على سيرة « الحاكم بامر الله الفاطمي » ص 52

« ... ووجرت فى ايامه امور كثيرة عجيبة . منها انه كان فى صدر خلافته امر بكتب سب الصحابة

على حيطان الجوامع والقياسير والشوارع والطرقات ... !!! »

696 ــ على افخاذ الخيل ... !

وجدت فى كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » عند كلامه على اخبار ابي عبد الله الشيعي داعية العبيديين ص 7

« وكتب على افخاذ الخيل : الملك لله .. ! »

697 ــ زاوية ابن سبعين ... !

وجدت فى مخطوطة كتاب « المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف » وهو من تاليف عبد الحق البادسي الخزرجي الذي كان بقيد الحياة سنة 722 هـ

« كان وصل عبد الحق ابن سبعين الى مدينة سبتة . وتحلى فيها بالتصوف ... ! فخطبته امراة موسرة من اهل سبتة . فتزوجها ... وبنت له زاوية فى نفس داره . فاقام بها الى أن نفاه ابن خلاص من سبتة ... !! »

698 ــ كلام ركيك ... !!

ووجدت فى كتاب « المقصد الشريف والمنزع اللطيف فى ذكر صلحاء الريف »

« والف ابن سبعين المرسي كتابا سماه « الفقيرية » ذكر فيه ما يحتاج اليه « الفقير » وقال فى وصفه « الفقير » :

ــ ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه . !

ــ ولا داخلا ولا خارجا عنه ... !!

وهذا كلام ركيك ... قليل الفائدة ... ! لا يفيد معنى ... ! ولا يثبت وصفا ... ! ولا يوجب من جهة الحقيقة حكما ... !! »

699 ــ كيف يكون اقتناء المكارم .. ؟

وجدت فى كتاب : عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة لابي الحسن علي بن هذيل الغرناطي المطبوع على هامش غرر الخصائص ص 195

« ذكر ان المتوكل بن الافطس فر اليه شخص من بني هود مغاضبا لابن عمه ملك سرقسطة ، فآواه واحسن اليه . ثم اختبره فرآه اهلا للولاية فولاه .. ! فقال له احد وزرائه : كثير هذا فى تغيير قلب قريبه يا مولاي .. ! تسخط قادرا فى حق عاجز ..! وتفرط فيمن نحتاج اليه كما يحتاج الينا ... ! وتغتبط بمن لا يحتاج اليه . بل هو موكل علينا .. !

فقال له المتوكل : الذي قلت حق .. ! ولكن كيف يكون اقتناء المكارم ... ؟ »

700 ــ خسوف ... !

وجدت فى كتاب الاحاطة فى ترجمة ابى عبد الله الحداد الوادي آشى :

« حدث بعض المؤرخين مما يدل على ظرفه انه فقد سكنا عزيزا عليه واحوجت الحال الى تكلف سلوة فلما حضر الندماء وكان قد رصد الخسوف بالقمر . فلما حقق انه ابتدأ اخذ العود وغنى :

شقيقك غيب في لحده
وتشرق يابدر من بعده

فهلا خسفت وكان الخسو
ف حدادا لبست على فقده

وجعل يرددها ويخاطب البدر فلم يتم ذلك الا واعترضه الخسوف . وعظم من الحاضرين التعجب ... ! »

701 ــ حتى تحمر رقبته ... !

وجدت فى الترجمة التي كتبها الحافظ ابن حجر المتوفى سنة 852 هـ للمؤرخ الكبير عبد الرحمن ابن خلدون فى كتاب « رفع الاصر عن قضاة مصر » القسم الثاني ص 343 . القاهرة 1961 اشياء غريبة . من جملتها :

« ... فاعتنى به الى أن قرره الملك الظاهر برفوق فى قضاء المالكية بالديار المصرية . فباشرها مباشرة صعبة وقلب الناس ظهر المجن .. ! وصار

يعزر بالصفع ... ! ويسميه الزج (1) ... !! فاذا غضب على انسان قال : زجوه ... ! فيصفع حتى تحمر رقبته ... ! »

702 ـ دنهاجة ... !

وجدت فى كتاب « وصف افريقيا الشمالية والصحراوية » الماخوذ من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للادريسي . ص 53 . ط. الجزائر 1957 م .

« وقصر عبد الكريم يسكنه قوم من البربر يسمون « دنهاجة » وهي مدينة صغيرة عامرة باخلاط دنهاجة وهي على نهر اولكس ويجري منها فى جهة الجنوب ... »

703 ـ الزنبوع ... !

وجدت فى كتاب « تحفة الاحباب فى ماهية النبات والاعشاب » المطبوع بباريز سنة 1934 م ص 9 .

« نارنج : هو الزنبوع بلفظ العامة »

704 ـ فاغية ... !

وجدت فى كتاب « تحفة الاحباب فى ماهية النبات والاعشاب » ص 33

« فاغية : زهر الحناء . وكل نوار طيب يسمى فاغية ... »

705 ـ جوس ... !

وجدت فى كتاب « تحفة الاحباب فى ماهية النبات والاعشاب » ص 12

« جورس : يقال له « أنيلي » بلسان العامة . والابيض منه « تافسوت » .

706 ـ زعرور ... !

وجدت فى كتاب « تحفة الاحباب فى ماهية النبات والاعشاب » ص 17

« زعرور : يسمى بلفظ العامة بتفاح المزاح ..!»

707 ـ تقضي وتشهد ... !!

وجدت فى ترجمة ابي البركات البلفيقي من النفح ج 5 ص 480 من طبعة بيروت

« ومن نوادره رحمه الله تعالى انه استنناب بعض قضاة المرية الفقيه ابا جعفر المعروف بالقرعة فى القضاء بخارج المرية من عمله . فاتفق ان جاء بعض الجنانين بفحص المرية يشتكي من جائحة او اذاية اصابت جنانه ففسدت غلته لذلك ... ! فاخذ الجنان قرعة واشار اليها مشتكيا ... وقال :

ـ هذه القرعة تشهد بما اصاب جناني ... !

فقال الشيخ أبو البركات عند ذلك ...

ـ غريبتان فى عام واحد ...

ـ القرعة تقضي ... !

ـ والقرعة تشهد ... !

فاس : عبد القادر زمامة

(1) لعله يقصد (الزز) وهي كلمة كانت مستعملة فى الاندلس وما زالت مستعملة فى دارجة المغرب الى الآن ... !

مكتبة دعوة الحق

- أمير مغربي في طرابلس — تأليف: د. عبد الهادي التازي
- التاريخ والسير — تأليف: د. حسين فوزي
- تاريخ شالة الإسلامية — تأليف: د. عثمان عثمان اسماعيل
- المحاضرات — تأليف: الحسن اليوسي

جولة في كتاب

يتيمة الدهر

لعبد الملك الثعالبي النيسابوري

● تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين ● نقد الاستاذ محمد بن تاويت

كتاب يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، فريد في بابه حقا ، قل له النظير في ذلك العموم والخصوص ، فقد جمع صاحبه فيه ممن اعتبره معاصرا ، وان تقدمه بنحو قرن ، شعراء البلاد الاسلامية ، التي امتدت من تخوم الصين الى المحيط الاطلسي ، واختصه بتلك الحقبة الزمنية اذ كان شعر اصحابها ، كما قال : اجمع لنوادر المحاسن ، وانظم للطائف البدائع ، من اشعار سائر المذكورين ، لانتهائها الى ابعد غايات الحسن ، وبلوغها اقصى نهايات الجودة والظرف .

فالكتاب اذن موسوعة ، لشعراء هذا الجيل ، يعرض نماذج من اشعارهم ، مختلفة في الطول والقصر ، والموضوع والغرض ، والى جانبها نماذج اخرى قليلة من النثر الفني ، خصوصا ما كان منها لرؤساء الكتاب ، شرقا وغربا ، ولكن هذه ما اتت الا تبعا ، للشعر الذي يعتبره « عمدة الادب ، وعلم العرب الذي اختصت به عن سائر الامم » .

ثم ان الكتاب اهم ما صدر عن صاحبه ، واوفى ما الف من نتاجه ، فقد تصدى له ، كما قال : « سنة اربع وثمانين وثلاث مائة ، والعمر في قباله والشباب بمائه » واستمر في تأليفه ، يزيد وينقص ، وينقح ويغير ، في الترتيب والتبويب ، الى ان انتقل الى جوار الله سنة 429 راجيا ممن يخلفه ان يكمل ما فاته ، وان يضيف الى شخصياته اخرى ، ذكر جملة من اعلامها ، وقد استجاب لرغبته ، في بعضها وهو على قيد الحياة الامير عبيد الله الميكالي ، فزاد عليه ترجمة ابي الحسن علي بن محمد الغزنوي الاصبهاني ، فاجاز المؤلف الثعالبي ، ما فعله الامير الميكالي .
ثم تلاه علي البخرزي النيسابوري ، فذيله بكتابه « دمية القصر وعصرة اهل العصر » فزاد خلقا كثيرا ، الى ان قتل سنة 467 وجاء بعدهما العماد الاصفهاني ، فألف كتابه « خريدة العصر وجريدة العصر » احتذى فيه حذوهما ، كما يصرح بذلك في المقدمة فملأ الحقبة الزمنية التي جاءت بعدهما ، فترجم في كتابه ، لادباء عاشوا في النصف الثاني من القرن الخامس ثم في القرن السادس وكان عمله هذا اشمل ، حيث وجدناه يسجل رجالا من الشمال الافريقي وجزيرة صقلية .

ولم نجد بعد هؤلاء من ترسم خطاهم ، بذلك العموم والخصوص ، كما ذكرنا .

لقد كان الثعالبي في تأليفه لهذا الكتاب يطوف البلاد المشرقية الشاسعة الارجاء ، فكتب فصولا في تجواله هذا ، كما يشير اليه في بعض التراجم ، كان في ذلك التطواف ، يقصد الادباء والشعراء فيجالسهم ، ويتلقى من افواه اولئك الرجال سماعات عديدة تربو على الخمسين اصحابها ، كما كان يكاتبهم ، ويستطرفهم بآثارهم ، او دواوين لغيرهم ، يختار منها ، او يتلقى منهم بعض قصائد او ابيات ، يثبتها او

ينتقي منها ما يستحسنه . وكان ذلك كله في غير عصبية أو تحيز ، ادعيت عليه ، من المحقق ، لكونه جعل اهل الشام اوفى بهذا الشأن ، وما هو من « قيس » الشام ، ولا «قيسها» منه ، حتى يرمى بذاك التعسف المزعوم ...

لقد كان الذين تلقى منهم في الشرق كثيرين ، اما في الغرب ، واعني الاندلس ، فكانوا قليلين ، لا يعدون عدد الانامل من الشعراء الذين تلقى منهم مباشرة ، آثارهم غالبا ، وآثار غيرهم نادرا . كما تلقى بعض آثارهم ، من ابي سعيد بن دوست ، عن الوليد بن بكر الفقيه الاندلسي فيما قال . اما ما عدا هذا ، فقد يكتفي بقوله ، « انشدت » بالبناء للمجهول، وقد يعرض الابيات ، من غير ما يذكر شيئا عن مصدرها .

ولم يذكر في هذا الغرب ، آثارا او رجالا ، من شمال افريقية ، اعني ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، مضافا اليها صقلية . بل لم يرد ذكراه لطنجة في القصيدة الساسانية لابي دلف الخزرجي ففيها ذكر لهذه المدينة وهو الاسم الوحيد المغربي ، الذي وجدناه يذكر فيما احتواه هذا الكتاب ، يقول :

فنحن الناس كل النا س في البر وفي البحر
اخذنا جزية الخلق من الصين الى مصر
الى طنجة بل في كل ارض خيلنا تسري

وهي قصيدة عجيبة ، مليئة بالكدية والغرابة ، التي اضطر الثعالبي ان يقف من الفاظها العديدة موقف الشارح ، وجلها تحمل دلالات عرفية ، فما عذر الثعالبي في هذا الاهمال ؟ فان كان عذره ، عدم اشتهار رجال من هذه الاقطار ، فان هذا لا يستقيم له ، والقيروان آنذاك معروفة بأدبائها ، وصقلية ببعض اشعارها التي كانت في القرن الخامس قد الف في رجالها الذين يقاربون المائتين كما في كتاب الجوهرة الخطيرة لابن القطاع الصقلي وفيه عشرون ألف بيت شعر لهم وهم مائة وسبعون . اما ما عداهما ، فله الحق ، ان تجرد منه . ولكننا لا نعتقد بهذا التجرد ، فلا شك ان في الامر شيئا ، ربما يكون المكانة التي كانت له في البلاط الغزنوي ، المعادي للفاطميين ، والا لكان ابن هانىء الاندلسي ، على راس شعراء الاندلس ، الذين ذكر جملة منهم ، وفيهم العلماء والكتاب .

نعم ، انه ساق بعض أبيات لتميم بن معد ولمعد بن تميم ، ونزار بن معد ابن تميم ، وقد اختص الاول وحده بكمية وافرة من الاشعار ، في مختلف الاغراض كما ساق شعرا متشيعا لاندلسي ، وهو :

انا ان رمت سلوا عنك يا قرة عيني
كنت في الاثم كمن شا رك في قتل الحسين
لك صولات على قلـ ـبي دليلات لحيني
مثل صولات علي يوم بدر وحنين

ولكن هذا في الواقع ، ليس له طابع شيعي خاص ، فالمسلمون عامة يستنكرون قتل الحسين ، كما يحبون عليا ، الذي لم يذكر له الا مواقفه في بدر وحنين ، وحدهما ، دون صفين مثلا . وحتى لو كان، فقد ذكر الى جانب الشيعة ، طائفة من المعتزلة ، كان على راسهم الصاحب ابن عباد ، وكان الغزنويون، وخصوصا محمودا ، يكرهون المعتزلة ، كرههم للشيعة ، ومع هذا فترجمة الصاحب تطغى على ترجمة ابن العميد مثلا ولا نذهب بعيدا في الاستنتاج، والمؤلف نفسه ، يقول عن نوادر المغرب عامة بما فيه حتى مصر : هذا باب كثرته ، على غرره ، تلقفتها من افواه الرواة وتطرفتها من اثناء التلقينات . ولم اجد لاصحابها اشعارا مجموعة ، يتفسح في طريق الاختيار منها ، وانما هي تفاريق تلتقى أطرافها ، وتجتمع حواشيها .

اذن ، فقد استبان العذر ، ويبقى لم لم يذكر ابن هانىء ؟ المبالغاته المكفرة ؟ . ان كان ذلك كذلك ، فقد اتى بما يماثلها في شعر ابن نباتة السعدي كقوله مخاطبا ابن حمدان :

حاشاك ان تدعيك العرب واحدها
يا من ثرى قدميه طينة العرب

وفيما عدا هذا فقد استوفت الشام حقها كاملا، وقال في امرائها والطارئين عليهم كلمته ، التي طالت وصدر بها الكتاب ، وخصوصا في الحمدنيين ، وشاعرهم المتنبي الذي أحرز من الكتاب الحظ الاوفر ، حيث ملأ أربع عشرة ومائة صفحة منه . والشاعر شامي المنشأ كوفي المولد كما قال .

وعلى كل حال فان حظ الاندلس من الكتاب كان اوفر من حظ مصر فيه ، سواء فى هـذا الرجـال وآثارهم ، وفى المقدمة منهم ابن عبد ربـه وابن دراج وابن شهيد .

غير ان ابن عبد ربه ، وقع فيه شيء عجيب ، فقد ذكر اولا بالترجمة « احمد بن عبد ربه الاندلسي، رحمه الله تعالى » واثبت له كمية وافرة من الاشعار، جلها فى العقد ، ولم يزد عليها الا خمسة ابيات فقط، وهـي :

تعللنا أمامـة بالامانـي
ولج بنا البعاد من التدانـي

اذا ما قلت اين الوصل قالت
طلبت العز فى دار الهـوان

* * *

ايها البدر الذي مـن علينـا بالطلـوع

ابغ لي عنـدك قلبـا طار من بين ضلوعـي

يا بديع الحسن كم لي فيك من وجد بديـع

ثم ذكر ثانية ، على أنه غيره ، بالترجمة « أحمد ابن محمد بن عبد ربه » وسبقت له قصائد وقطـع عديدة وكثيرة جدا ، ذكرت فى العقد الا ثلاثة ابيات ، وهـي :

دع قول واشية وواشي واجعلها كلبي هـراش

واشرب معتقـة تسلسـل فى العظام وفى المحاشي

حتى ترى العود المسن بهـا أرق من الخشخـاش

فهذا البيت الاخير سقط من العقد الذي بيدنا، وهو مما مثل به على الضرب السابع المجزو المذيل من الكامل .

وهكذا قد تضمنت هذه المجموعة ، ما جعله ابن عبد ربه ، شواهد للعروض والقوافي ، وهي أبيات ، يذيلها بالبيت الذي استشهد به الخليل ... ولـم يتنبه الثعالبي لهذا ، بل ان هذا البيت الذي يخمس بعضها ، سقط من اثنين منها ، الاول فى بحر المديد:

اعلموا اني لكم حافظ شاهدا ما دمت أو غائبا

والثانـي فى الرمـل :

مقفرات دراسـات مثل آيات الزبـور

وقد وصل بيت ، كان مطلعا لخمسة ، مثل بها للعروض المقطوع الممنوع من الطي ، وضربه مثله،وهو:

كآبة الذل فى كتابي ونخوة العز فى جوابي

فجعل هذا البيت ، سادسا لخمسة أخـرى ، استشهد بها فى العقد على الضرب المقطوع الممنوع من الطي ، وهذه الخمسة الابيات همزية ، لهذا جعل ذلك البيت المذكور هكذا :

كآبة الذل فى كتابي ونخوة العز فى الجواء

وبذلك صار البيت همزى القافيـة ليسايـر الابيات الخمسة فى قافيتها الهمزية « بالجـواء » ، ولا معنى لذلك ، بعد أن كان بائيها . والجميع مـن مخلع البسيط ، ونص عليه الثعالبي أيضا زيادة على هذه الاشعار العديدة ، فقد وردت غيرها ، وهي لابن عبد ربه ، منسوبة الى غيره ، مثل هذه الثلاثة التي نسبت لعبد الملك بن سعيد المرادي ، هكذا :

(قمر بسبي ذوى) العقول أنيق
ورشى بتقطيع القلوب رفيقـا

ما ان رايت ولا سمعت بمثلـه
درا يصير من الحياء رقيقـا

واذا نظرت الى محاسن وجهـه
أبصرت وجهك فى سناه غريقا

والابيات مع غيرها مشهورة لابن عبد ربه ، حتى فى الشرق ، شهرة جعلت المتنبي بسببها يقول :

« ايه يا ابن عبد ربه لقد تاتيك العراق حبوا »

ولكن البيت الاول هكذا :

يا لؤلـؤا يسبـي العقـول أنيقـا

ولا ادري كيف تاتى له ان يكون بتلـك الصورة التي ورد عليها باليتيمة ، وسكت عنها محققها ، وكان حقها وهي ما هي عليه أن يصير « انيقا » ، الى الرفع خيـرا . .

وكذلك نسبت قطعتان ذاتا أربعة أبيات ، كلتاهما ، لحبيب بن أحمد الاندلسي ، وهما لابن عبد ربه في عقده منسوبين له أولهما :

وبعثني بزفرة واعتناق
ثم نادت متى يكون التلاقي

وتصدت فاشرق الصبح منها
بين تلك الجيوب والاطواق

يا سقم الجفون من غير سقم
بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق افظع يوم
ليتني مت قبل يوم الفراق

والقطعة الثانية :

هيج البين دواعي سقمي
وكسا جسمي ثوب الالم

ايها البين اقلني مرة
فاذ عدت فقد حل دمي

يا خلي الروع نم في غبطة
ان من فارقته لم ينم

ولقد هاج لقلبي سقما
حب من لو شاء داوى سقمي

ومما وقع له في هؤلاء الاندلسيين ، وقلما وقع في غيرهم ، أن الابيات النونية التي سبق ذكرها وهي لابي جنيش في رثاء الخباز جاءت بعد منسوبة للخباز نفسه .

ونعود بعد هذا فنساير اليتيمة في صفحاتها . نجد في عرض نماذج من شعر ابي فراس بيتا هكذا :

تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

فلعل « يغله » تحرفت عن « يغلها » كما هو واضح ، والا فلا يبدو لها وجه الا بتكلف بالغ . .

وفي هذا العرض ، ورد له بيت آخر هكذا :

عداوة ذي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

ولا شك انه ضمنه شعره ، والا فالبيت من معلقة طرفة ، وان كان المحفوظ :

وظلم ذوي القربى ،،، ،،،

وفيه ايضا ، بيت هكذا :

اذا الليل اضوى بي بسطت يد الهوى
واذللت دمعا من خلائقه الكبر

والمحفوظ : وهو الصواب : اضواني ،،، الخ او اضناني ،،، . اما اضوى بي ، فلا نعرف هذا الاستعمال ، وربما حصل من قبيل التصحيف .

وفي الكلام على شعر ابي الطيب ، ورد البيت له :

لو طاب مولد كل حي مثله
ولد النساء وما لهن قوابل

والمراد له انهن لا يجدن الما من مولده ، ولكن القاضي الجرجاني ، قال : ان طيب المولد لا يستغنى به عن القابلة ، وان استغنى عنها ، كان ماذا؟

وهذه الجملة الاخيرة ، استعملها فيما بعد مالك ابن المرحل ، فوقع فيها نزاع بينه وبين ابن الرفيع النحوي الذي خطا هذا الاستعمال ، بدعوى الصدارة للاستفهام ، كما يبدو ، وقال :

كان ماذا ليتها عدم
جنبوها قربها عدم

فرد ابن المرحل بقوله :

عاب قوم كان ماذا
ليت شعري لم هذا

والف فيها كتابا بعنوان « الرمي بالحصى والضرب بالعصا » كما الف ابن أبي الربيع فيها ، وهو الامام في النحو ، الذي طار صيته في الاقطار ، كما يحكي تلميذه ابن رشيد في رحلته . ولم يجد ابن المرحل ما يستشهد به على صحة دعواه ، الا كلام المولدين ، ولعل منه قول ابن عيسى بن زينب المراكبي :

يتيه عمرو بماذا يتيه عمرو بن بانه

وحتى لو صح الاستشهاد بشعر مثله ، فلا شاهد في هذا ، حيث انه يحتمل تعلقه بما بعده .. والصواب مع ابن ابي الربيع ، على كل حال ،، والثعالبي لم يكن من شانه ان يقف عند هذه العبارة ونحوها ، وان وقف عند غيرها ، من مثل تضعيفه الانتقال من الجمع الى التثنية في قول ابي الطيب :

وتكرمت ركباتها عن مبرك
تقعان فيه ليس مسكا اذفرا

فقال فيه : وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الاعراب .

وفات الثعالبي انه مستعمل في الفصيح ، قال تعالى : « ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات » ، ففي هذه الآية ، زيادة على المخالفة بين التثنية والجمع ، مخالفة بين التذكير والتانيث « قالتا أتينا طائعين ».

وبعد هذا ، نجد له وقفة ، عند قول ابي الطيب:

لم تر من نادمت الا كا
لا لسوى ودك لي ذاكا

حيث قال : فوصل الضمير بالا ، وحقه ان ينفصل عنه . مع ان ابا الطيب في نظرنا يستحق ان يستشهد بكلامه ، فهو عالم بالعربية قبل ان يكون شاعرا ، وما استعمل هذا الا وهو معتمد على الاستعمال العربي ، شأن أصحاب المذهب الكوفي الذين كان هو منهم ، قال الشاعر :

وما نبالي اذا ما كنت جارتنا
ان لا يجاورنا الاك ديار

وبعد هذا ينقل عن الصاحب ، معلقا على قول ابي الطيب :

لعظمت حتى لو تكون أمانة
ما كان مؤتمنا بها جبرين

انه قال « وقلب هذه اللام الى النون ، ابغض من وجه المتون ، ولا احسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز » ..

ومعلوم أن الصاحب كان يتحامل على المتنبي ، مما حمل القاضي الجرجاني ، على تأليف كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ، والمتنبي الكوفي ، اعتمد في الاستعمال ، على ما سمع عن العرب من قلب اللام نونا ، كما حكي بعضهم :

قالت وكنت رجلا فطينا
هذا لعمر الله اسرائينا

وللسيوطي في كتابه المزهر امثلة عديدة من هذا القبيل .

وذكر للمتنبي بيت هكذا :

سر حيث شئت يحله النوار ،،،

وصوابه :

سر حل حيث تحله النوار ،،،

وفي تعرضه لشعر الواواء الدمشقي ، ذكر له اربعة ابيات ، عرفت بشهرة بالغة ، لمحمد بن زريق البغدادي ، من قصيدته الاندلسية ، وهذه الابيات :

استودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

الى آخرها من مطلع القصيدة المذكورة ، فلعل نسبتها للواواء ، من استملاء ابي نصر سهل ابن المرزبان ، الذى أتحفه بالديوان وما الحق به من زيادات استملاها من القوال المعروف بعين الزمان ، كما يقول الثعالبي . وكان ابو نصر سهل ابن المرزبان أول من جاء بهذا الديوان واستصحبه من بغداد الى نيسابور . والقوال غير ثقة في الرواية والحكاية ، كما يقول عنه الثعالبي نفسه ، فربما كان هذا مما استملاه من القوال المذكور يعني به المنشد او الزجال الذي ينصت اليه الجمهور او المغني وقد كان المغنون لذلك العهد على مستوى عال من الثقافة وحفظ الاشعار .

ثم جاء من قصيدة للواواء بيت هكذا (وهي من المتقارب) :

على شجرات رافعات الذيول
لماء الجداول منها شهيق

وهو لا يستقيم في مصراعه الاول ، فلعل « شجرات » تحرفت عن « شجر »

وورد منسوبا للواواء البيت :

واسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

والمعلوم انه ليزيد الاموي — الاول او الثاني — من قصيدة مشهورة ، ختمت بالبيت :

ان يحسدوني على موتي فوا اسفى
حتى على الموت لا انجو من الحسد

فربما ضمنه الواواء شعره ، او انه ليس لليزيدين كليهما وهو المتبادر من هذا الاسلوب الذي يستبعد ان يكون من اساليب العهد الاموي ، وبعد ذلك البيت :

انسانة لو بدت للشمس ما طلعت
من بعد رؤيتها يوما على احد

واللغويون ينكرون تانيث انسان ، وقد استعمله كذلك الثعالبي (وهو من فقهاء اللغة) فقال ابيات بذلك ، منها :

انسانة فتانة
بدر الدجى منها خجل

واعجب ما جاء في الجزء الاول ، نونية طويلة جدا ، قالها ابو القاسم الواساني ، يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها ، ومطلعها :

من لعين تجود بالهملان
ولقلب مدله حيران

يا خليلي اقصرا عن ملامي
وارثيا لي من نكبتي وارحماني

وهي في غاية الفكاهة ، المليئة بالالفاظ النابية ، كما انها طافحة بمعلومات حضرية ، يستفيد منها مؤرخو الحضارة الدمشقية ، وليس لها نظير ،،

وقضية الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ، خاصة ، مما يساعد على تسجيلها ، كتاب اليتيمة ، الذي نجد فيه ، من الطعوم المستعملة آنذاك كثيرا من الشواهد ، واهمها ما نظمه ابو طالب عبد السلام ابن الحسين الماموني العباسي .

كما نجد فيه كثيرا من الالفاظ الفارسية التي صارت تروج بين الناس ، مثل الروزنمجه والخواجه وخركوش ودلير وغيرها كثير ، كما صارت كلمة « مهمان » تحل محل ضيف . قال أبو بكر البلخي :

ما سمت العجم المهمان مهمانا
الا لاجلال ضيف كان من كانا

والغريب في هذه الكلمات التي كانت تستعمل من الفارسية بعضها فقد مدلوله الاول فيما بعده وصار يطلق ، على ما اطلق عليه بالكتابة ، مثل « خركوش » اي الارنب ، ومعناه الاول حماري الاذن اى طويلها ، كما جاء وصفا لسلوقي في قصيدة لابن الحجاج ، حيث يقول :

تغدى بالجدا فوددت اني
وحق الله خركوش سلوقي

ومن كلمات العدد الفارسي ما في بيت لابن الحجاج كذلك :

سقاني « دو » و « سا » وازددت منها
على سكري وصبحني بـ « هفت »

بل اننا وجدنا بعض الابيات بالفارسية ، وهذا لا غرابة فيه ، منبعثا من تلك الجهات التي نهضت بها ، مثل هذا البيت :

خون سبيد بارم بر دورخان زردم
آرى سبيد باشد خون دل معد

اما التعابير والجمل فكثير ، كما في ابيات أتت بعد المذكور لابن الحجاج منها :

فلما نمت قام وقال « بروى »
لمن حولي « خوى خاني بحفت»

وبعده اخرى كثيرة وهو صدى وجدناه يتردد لذلك العهد في كتب الآداب ، وان كان الجاحظ قبل سجل شيئا منه كما نشرناه سابقا ، ولكن كل ذلك لم يكن بهذه القوة التي انتهى اليها التدخل الفارسي

في العربية فصيحها وعاميها على السواء ، وكتاب فقه اللغة للمؤلف يعطينا صورة قوية عنه . وكالتي اعطناها قاله ابن قتيبة ، في ادب الكتاب ، خاصة . وقد تردد ذكر هذا الكتاب في اليتيمة باسم ادب الكتاب . وهذا العنوان معروف لعدة مؤلفين كما نجد في الفهرس لابن النديم . . .

وقد وقعت بعض التصحيفات في هذا الجزء ، ولا شك انها حدثت من الطباعة ، ولم يتنبه لها ، من ذلك ورود بيت لابي بكر المذكور هكذا :

يسقكا من بني الكفار بدر دجى

وواضح صوابه : يسقيكما ،،، ،،،

ثم بيت آخر هكذا :

ولاح فحل كأس الشمول

وصوابه : ««« فحلل « « «

ثم ورد فيه « في جارية سوداء يقالها شغف » وصوابه « يقال لها »

وقد تكرر في الجزء الثالث ، ذكر البيتين الآتيين، لابن سكرة الهاشمي :

ويوم لا يقاس اليه يوم
يلوح ضياؤه من غير نار

اقمنا فيه للذات سوقا
نبيع العقل فيه بالعقار

ثم عند ذكره للحسن ابن الحجاج ، قال ، انه قد اخرج من ملحه الخالية من الفحش المفرط ، الحالية بأحسن المقرط ، ونوادره التي تسر لنفس ، ما يستغرق وصف ابن الرومي ، ولكنه فيما اتى به من ملحه ، لم يتورع أن يثبت اشنع الفواحش فيها ، واخبث الاهاجي منها .

وزيادة على ما ذكر لابن الحجاج من مبالغات تلزمه الكفر أو الشعوبية في مدحه لسيف الدولة ، فقد اتى بأبيات اخرى مفرقة ، نحو قوله فيه :

يا درة الملك ويا غرة
في وجه هذا الزمن الادهم

تراب نعليك على ناظري
أعز من عيسى على مريم

وبالجملة فلابن حجاج مبالغات مفرطة في امداحه للامراء والكبراء ، لا تنزل عن تلك التي عرفناها لمعاصره ابن هانيء الاندلسي ، وأيسر ما له منها قوله لابي نصر الوزير سابور بن اردشير :

وما دمت بعد الله لي عنه رازقا
فما اظنني انه لي حارم

وانت بيت الندى طافت بكعبته
. . . .

ومن استهتاره بدينه قوله :

يا من يعادي الهوى جهلا بموقفه
ولا يزال يعادي المرء ما جهلا

اما رايت الهوى استولى بفتنته
على النبيين واستغوى بها الرسلا

فان شككت فسل زيدا بقصته
واورياء يقولا الحق ان سئلا

وفي قصيدة له ، ورد هذا البيت :

ندمت ندامة الكسعي لما
غدت منه مطلقة نوار

ففيه تداخل ، بين قصة الكسعي وقصة الفرزدق ، الذي طلقت منه نوار . فالكسعي ندم على تكسير قوسه ، فشد على ابهامه فقطعها ، وقال :

ندمت ندامة لو ان نفسي
تطاوعني اذن لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الراي مني
لعمر ابيك حين كسرت قوسي

اما الفرزدق ، فقال حين ابان زوجته نوار ، وندم عليها اشد الندم :

ندمت ندامة الكسعي لما
غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منهـا
كآدم حين لـج بـه الضرار

ولو ضنت بها نفسي وكفـي
لكان علي للقدر اختيـار

اذن فالبيت للفرزدق ، ولكنـه نقص معنـاه وافسده حينما غير « مني » فجعل الضمير غائبـا يعود على الكسعي ، وهذا جهل منه وفات الثعالبـي ومحقق كتابه ، حيث لم ينبه على ما فيه .

وفي ذكر ابي الحسن علي بن محمد الايهري ، نسبت له الابيات :

متى ترغب الى النـاس
تكن للنـاس مملوكـا

وان انـت تخففـت
على النـاس احبوكـا

وان ثقلـت عافوكـا
وملـوك وسبوكـا

اذا ما شئت ان تعصـى
فمر مـن ليس يرجوكـا

وسل من ليس يخشاكـا
فيدمي عندهـا فوكـا

والابيات معروفة لابي العتاهية ، من قصيـدة مطلعهـا :

رايت الشيـب يعدوكـا
بان المـوت ينحوكـا

فالغريب من كون الثعالبي لم يتنبه لهذا ، كما لم يتنبه له محقق الكتاب الذي دخل التراث العربي من كل باب وجال فيه وصال ... وفي ذكره لرجـاء بن الوليد الاصبهاني ، اتى في التبجح بطرشه ، بهذين البيتيـن :

حمدت الهي اذ بليـت بحبـه
على طرش يشفي ويغني عن العذر

اذا ما اراد السر الصق خـده
بخدي اضطرارا ليس يدري الذي ادرى

ثم علق على هذا بقوله : وانما حذا به مثال من قال في احـول :

حمدت الهي اذ بليت بحبـه
على حول يغني عن النظر الشـزر

نظرت اليه والرقيب يخالنـي
نظرت اليه فاسترحت من العـذر

وواضح ان القائل هو الاحول نفسـه ، فلعـل « أوحل » تصرفت عن « حوله » او التبجح بحوله : كما حصل في التبجح بطرشه ، وفات هذا المحقق .

وفي ذكره للحسن احمـد بن المؤمـل ، ورد بيت له هكـذا :

وقائلة لي ما بالك الدهر طافحـا
وانت مـن لا يليق بك السكـر

والبيت كما ترى ينكسر بزيادة « لي » ولم ينبه عليه كـذلـك .

وورد في عرض نماذج من نثر الخوارزمي ذكر السيد ان اعتداده بي اعتداد العلـوى بالشيعـي ، والمعتزلي بالاشعري ، وانا اقول ؛؛؛ اعتـدادي ؛؛؛ اعتداد الصحابة بالنبي ، واعتداد الشيعي بالوصي ، واعتداد المعتزلي بالحسن البصري .

والذي يهمنا هنا اعتداد المعتزلي بالاشعري ، حيث نفهم علة ما كان عليه ابن تومرت واتباعـه من اعتناق مبادىء الاشعرية الى جانب الاعتزال والشيعة، وهو مجال واسع للامعان جيدا في نقطة الاتصال بين هذه المذاهب او المبادىء التي كان عليها الموحدون الاول والمعروف عن ابي الحسن انه خالف مذهـب المعتزلة عند انفصاله عنهم وجاهر بخلافهم . ولهذا لا يبدو اعتراضهم فيه بعد ذلك .

ومن شعر الخوارزمي ورد بيت هكذا :

وهم حالفوني اوطاوا في صلاتهم
وصنت عن الابطال شعري فيهم

وصوابـه :

وهم خالفوني أوطاوا في صلاتهـم
وصنت عن الايطاء شعـري فيهـم

وبيت آخر تحرف فيه « طرا » فاثبت هكذا « طهرا »:

رزئت اخا لو خير المجـد فى اخ
من الناس طهرا ما عداه وما استثنى

ومن نثر البديع الهمذاني ورد ما يلي :
وقد قاسمته فى ازرك ، وجعلته موضع سرك ، فاريني موضع سرك ، فاريني موضع غلطك فيه ، حتى اريك موضع تلافيه .

ولاشك ان « فاريني موضع سرك » لا محل له من الكلام ، والغالب أنه من زوائد الطباعة ، ولم يتنبه لذلك المحقق ، على كل حال .

ومن شعره ورد بيت هكذا :

اصبحت لا ادري اا دعوا طغمتي
ام بكتكين ام اصيح ببـــزع

وصوابه : طفتكين ، وهي شخصية معروفـة لذلك العهد فى الشرق الاقصى .

وفى تعرضه لاحمد السجزي ، ورد من ابيات شعـره بـيت هكذا :

ارى الارى فى حكم الشريعة سورة
مباحا لمن كان قد كان فى ملكه الدبر

فالفعل « كان » الاول مقحم ولا يستقيم به وزن؛ فلعل ذلك من زيادات الطباعة ، ولم يتنبه له المحقق .

وفى ابيات ابي بكر البلخي ، ورد البيت :

احسن الاشعار عنـــدي
« وانف بالخمر الخمـارا »

فكان الواجب النص على كون الشطرة الثانيـة منه شطرة لآخر هو : « دع لباكيها الديارا » والبيت مطلع قصيدة لابي نواس معروفة .

نكتفي بهذه الوقفات القصيرة فى جولتنا بكتاب اليتيمـة الحافل .

* * *

وبعد فان تحقيق محمد محيي الديـن لهـذا الكتاب ، يعد من احسن وادق ما له تجـاه عشرات الكتب المختلفة التي نشرها او اعاد نشرها بتحقيقه، وهو نفسه يشعرنا بما بذله من مجهود فى تحقيـق اليتيمة ، وان لم يزوده ــ كعادته فى غيره ــ بفهارس من عنده او تنظيمات لتراجمه ، بل اكتفى بالفهرس الوحيد الذي تقدمه فى طبعاته الاولى .

واذا قلنا ان تحقيقه كان دقيقا بالنسبة لما له فى غير هذا الكتاب ، فلا يعني هذا انه خـلا مـن التصحيف او تقصير فيما زوده به من تعاليق ، كما نجمل ذلك فيما يلـي :

فى التعليق (1) بالصفحة 99 يعلق على أبـي حصيـن الرقي :

من ذا يطاوله ام من يماجـده
ام من يساجله أم من يكاسره

بقوله : اصل المساجلة ، ان تملأ دلوا ، ويملأ آخر دلوا ، لتريا ايكما أكثر متحا .

وكان عليه بعد هذا ان يذكر أنه من السجـل ، اى الدلو المملوء ماء فيبين أصل الاشتقاق فى كلمـة المساجلة ، والا لسكت عنها .

وورد لابي الطيب الرقي هذا البيت :

كم صلاة على فتى مات سكرا
قد اقيمت فينا بغيـر اذان

وتكرر فيه بغير تصحيف طباعي لم يتنبه له

وفى الرقم 99 الجزء الثاني ، تحرف اسـم « جنيش » بمبيع ، واصل الكلمة اسبانية بمعنـى الرمـاد Ceniza فنسب الرمادي المقصود اليه، وقد سقط عنوان الترجمة له وهو « أبو عمر يوسف ابن هرون المعروف بابي جنيش » كما هو الصنيـع فى غيره بالكتاب .

وفى الصفحة 255 منه ، ورد من كتاب الصابي، الى الصاحب « وانا اود ان سواد عينـي مـداده ، وبياضها طرسه ، شوقا الى لالاء غرته ،، » فتحرفت « الا » بالى ، وهو من عمل الطباعة لا محالة .

وفى الصفحة 265 كذلك ، ورد بيت الصابي :

فغدا بياضك وهو ليل دامس
وغدا سوادي وهو فجر أنور

محرف هكذا : ففدا بياضك وهو دليل امس كما ورد له فى الخالدين البيت :

أرى الشاعرين الخالدين سيرا
قصائد يفنى الدهر وهي تجلد

وتصحف الشاعرين بالشاعريين طباعة

وفى الصفحة 59 علق على كلمة « دغبـاج » فى البيـت :

اريد مما افتحـه عمـــلا
يثرد فى دغباجه اللقـــم

بانه النعيم والاكل لا يتأتي ، كما نجد فى بيت آخر لنفس الشاعر ، ابن الحجاج ، (وهو باسقـاط كلمات نابيـة فيه) :

بات د كشـــاب ،،، فى ،،،
يخلط الدوغباج بالزبريـــاج

وفى الصفحة 134 ورد بيت هكذا :

موف على القلل الــــذوا
هب فى العلا عرضا وطـولا

وصـــوابــــه : القنـــن

وفى الصفحة 138 ورد بيت هكذا :

أورق امين الله عودى انمـا
اغراث مثلك فى العلا اغراسي

وصوابه : اغراس

وفى الصفحة 159 ورد بيت هكذا :

رايت به فائضات العـــلا
وعلمت ما للهمم العاليـــة

ولا يستقيم الوزن،والصواب : الهمم

وفى الصفحة 160 ورد بيت هكذا :

واني لا اكره من شميتـــي
زيارة حي بلا منفعـــــه

ولا يستقيم الوزن ولا السياق ، وصوابه :

واني لاكره من شيمتـــي
زيارة حي بلا منفعـــــه

وفى الصفحة 197 كتب من الآية « الم نربـك فينا وليا » هكذا : الم تر فينا

وفى الصفحة 296 جاء بيت هكذا :

فهو ناع الي نفسي ومتـى ذا
سره أن يرى وجوه النعـاة

وصوابـــه : ومن ذا

وفى الصفحة 197 علق على البيت :

وشر ايام الفتـى آخـــر
فيه يسمى للشقاء خواجـه

بأن عجزه غير مستقيم ، والواقع انه ينطق حسـب القاعدة الاملائية الفارسية ، بتفخيم فتحة خواجه ، دون النطق بالواو التي تؤدى التفخيم فيستقيم بذلك وزن البيت ، لا على حسب ما ينطـق فى الشـرق العربي الان ، وقد نطق العرب الخوان الخان ، كذلك، مراعاة للقاعدة الفارسية .

وفى الصفحة 377 ورد بيت هكذا :

لله منزلنا التي مـن شانهـا
جر الرماح على السماك الرامح

وصوابه : لله منزلنا

وفى الصفحة 399 ورد ما يلي :

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير،، حضر طعاما والى جانبه رجل اكول ، فاحس ابـو حامد بجودة اكله ،، فلا شك ان احد المكنيين محرف عن الآخر ، ولم نتمكن من تعيينه .

وفى الصفحة 402 ورد بيت هكذا :

والثريا كانه كـف خـــود
ابرزت منه غلالة زرقـــاء

والبيت - كما نرى - لا يستقيم وزنه بمنه ، فهي محرفة من « من » هكذا : ابرزت من غلالة زرقاء .

وفى الصفحة التالية ، ورد بيت هكذا :

اذا كان يوذيك حر المصيف
وكرب الخريف وبرد الشتاء

والصواب قصر الشتاء ، لما بعده : ويلهيك حسن زمان الربيع فاخذك للعلم قل لي متى

وفى الصفحة 24 من الرابع ، ورد بيت هكذا من الطويل :

ايها معهد الاحباب ذكرهم عهدي
ودم لي وان دام البعاد على الود

فلا شك انه هكذا : ايا معهد الاحباب ذكرهم عهدي
وفى الصفحة 55 ورد بيت من الكامل هكذا :

قوم اذا ابتسم الصباح اغاروا
فى كل حي انجدوا ام غاروا

ولا يستقيم البيت على حالته هذه

وترددت كلمات الجيهاني والبلعمي وابن عزيز ، فى عدة صفحات من هذا الجزء ، مصحفة بالجبهاني والبلغمي وابن عزيز ، بالباء في الاول والغين فى الثاني وبالراء فى نهاية الثالث ، وان كتب بعضها صحيحا فى صفحات أخرى .

وفى الصفحة 67 ورد بيتان هكذا والاول من المتقارب :

واقسم ما نابك من علة
ولكن رايك فينا عليل

والثاني من البسيط :

اختر لنفسك ندمانا تسر بهم
اولا فنادم عليها جلة الكتب

والصواب فيهما : واقسم ما نبابك من علة
اختر لنفسك ندمانا تسر به

وفى الصفحة 149 ورد بيت هكذا :

وقائلة لي ما بالك الدهر طافحا
وانت من لا يليق بك السكر

ولا محل فى المصراع الاول لكلمتي « لي » حيث الوزن ينكسر بها .

وفى الصفحة 162 ورد بيت هكذا :

فياسقاك اخو جفن السحاب حيا
يحبو رب الارض من نور الرياض حبا

وصوابه : يحبو ربا ،،،

فهذه وغيرها تحريفات أو تصحيفات غالبها وقعت من الطباعة ، وهي قليلة فى حق صفحات تقارب الالفين ، ولهذا نرى ان التحقيق مما يحمد لصاحبه كما يحمد له فى كتب اخرى قليلة كأدب الكاتب لابن قتيبة ، والعمدة لابن رشيق بخلاف نفح الطيب مثلا فهو مليء بالتصحيف والتحريف والتكسير للابيات الشعرية .

التاريخ والسير

● تأليف : الدكتور حسين فوزي ● عرض وتقديم : المهدي البرجالي

أثارت مادة التاريخ في العصر الحديث ، كثيرا من الجدل والنقاش تبعا لتعدد النظريات والاتجاهات حول تصنيف هذه المادة في سلم فروع المعرفة ، أهل هي من قبيل العلوم او الآداب ؟ وهل يجب على المؤرخ – من ثم – أن يخضع نهج البحث التاريخي للمقاييس العلمية الصرفة ، أم يسعه ان ينظر الى موضوعاته من زاوية الفكر الادبي ؟ ام ان الانسب الاعتماد في مثل هذا – المجال – على منهج مزيج ، تتظافر فيه النظرة العلمية والادبية ؟

وأكثر من هذا ، فقد كان من اللازم ان تتسع النظريات في الموضوع التاريخي لتقيمه من جوانب أخرى اكثر راديكالية، مثل التساؤل عن المدلول الحقيقي لفن التاريخ ؟

وما مدى ما يمكن ان يستفاد من الخوض فيه؟ وهل يمكن – في نطاق اوسع ، تحصيل أية فائدة من التاريخ على الاطلاق ؟

ثم ما منزلة فن السيرة بين الفنون المتصلة بمادة التاريخ، او المدرجة في نطاقه ؟

تساؤلات كثيرة كهذه ، تخطر على الذهن ، مستقاة من حوافز هذه النزعة السائدة في مناخ الفكر الحديث، بمحاولة تقييم كل شيء واعادة تقييمه ، تبعا للتحرك المستمر في العلاقة بين الاشياء ، وتطور النظرة اليها والحكم عليها ، بالنتيجة ويبدو وكأن بعض هذه التساؤلات كانت تلح على اسلافنا ممن كانوا يتصدون للتدوين في مادة التاريخ ، فتراهم في كثير من الاحيان يصدرون مصنفاتهم التاريخية بفصل تقليدي عن فائدة هذه المادة ، وقيمة المعرفة التاريخية بين أصناف المعرفة .

والكتاب الذي نعرض له في هذا المجال ، محاولة لبحث الموضوع من منظور هذه التساؤلات او نحوها، سعيا من المؤلف الى استخلاص فكرة موضوعية عن البحث التاريخي وجذوره ، وتحليلا لابعاد مهمة المؤرخ وملابسات عمله ، الى مثل هذا من المسائل .

وتطرح بعد هذا ، في بداية تناولنا للموضوع ، السؤال مع المؤلف عن مدلول التاريخ كفن من فنون المعرفة : ماذا يحسن ادراكه من هذا التعبير ، تعبير التاريخ ؟ ومم يتشكل الموضوع التاريخي ، اذا حاولنا أن نتعرف عليه ؟

يورد المؤلف بصدد السؤال قوله :

«..التاريخ كما يرى «هيرنشو» هو مدونة العصور الخوالي ، وكتابها الحافظ لاخبارها ، أو هو التدوين القصصي لمجرى الاحداث العالمية كلها او بعضها ، ومن قبله عرف ابن خلدون التاريخ بانه فن يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم والانبياء في

سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم ، حتى يتم الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى احوال الدين والدنيا، فالتاريخ اذن هو جماع احوال البشر ما يقع منهم، وما يقع عليهم ، وهو مدونة الماضى لجلاء الحاضر ، وفى اطاره هذا لا يبلى قديمه ، فهو دائم الجدة والتجدد، ذلك أن الانسانية ترتبط ارتباطا وثيقا ، وهنا يلعب الزمن دوره الازلى ، بحيث يبدو جامدا لا يتحرك ما لم تتواتر على مسرحه احداث هى من صنع الانسان أولا، وهى من صنع الحياة ثانيا ، فالحياة تفرض نفسها على ارادة الانسان، والصراع الذى يخوضه الانسان فى معركة الحياة ، هو الدراما الخالدة على مسرح الزمن ، وقد تتجدد الصور والمناظر فى تلك الدراما، ولكن شخوصها وتواتر احداثها باقيان ، فالانسان هو الانسان ، ومعركته خالدة ما بقى مع الزمن والحياة..» (9 ـ 10)

والحق ان تعريف التاريخ تحت ضوء هذه المعطيات التى ساقها المؤلف لا يستتم دلالته الا بالتعرف على دور المؤرخ فى تدوينه التاريخ ، وما يؤثر به الجهد الذى يبذله فى تجلية وقائع الماضى ، اذ أن الواقع التاريخى وعمل المؤرخ فى استحضار صورته ليشكلان منظومة متكاملة ، وصالحة فى اطارها المتكامل هذا ـ لرسم ملامح مفهوم التاريخ ، وابعاد هذا المفهوم وبصدد بسط هذه الفكرة يذكر المؤلف :

«..ان المؤرخ لا يقص خبر الاحداث فحسب ، بل يفلسفها ويتحرى العلل فى وقائعها والنزعات التى تسوقها ، ليفسر على ضوئها أحداث الحاضر الذى يعيشه، وليس فى مقدوره أن ينزع نفسه من حاضره، فكل ما يعنيه أن يتخذ من الماضى وسيلة لفهم نفسه، وادراك ما يحيط به ، وتلك فائدة التاريخ ، وجدوى عمل المؤرخ..» (13) .

هذا من علاقة المؤرخ بالتاريخ، وقد أوردنا ـ قبل ـ اختلاف أنظار المفكرين فى علاقة التاريخ ، بفروع المعرفة الاخرى أدبية أو علمية ، وترددهم بين أدراج الموضوع التاريخى فى نطاق النظر الادبى ، أو فى اطار التحليل العلمى .

ويتعلق بالمسألة ـ كما ذكر ـ موضوع النهج الذى يتحكم فى مسار النظرة الى البحث التاريخى ، والاستنتاج منه ، وفى هذا الباب يتوجه المؤلف الى اقامة موازنة بين طريقة المؤرخ فى تناول الوقائع التاريخية ، وأسلوب الفيلسوف فى ذلك ، وحول هذه النقطة من تحليلاته ، يورد قوله :

ان المؤرخ غير الفيلسوف ، اذ بينما يقف المؤرخ أمام الواقعة التاريخية باحثا منقبا عن نشاتها ومجراها ودلالتها ، ترى الفيلسوف يطل على عالم التاريخ كله فى صورته الكونية العامة ، لا يعنيه العرض قدر ما ينفذ الى الجوهر، ولا يهيم بالواقعة قدر ما يهيم بالعلية فيغوص وراء الواقعة بحثا وراء الجوهر ، وسعيا وراء الكل ، ثم يضع مذهبا يفسر به الواقعة ، وكثيرا ما يعبره المؤرخ عبورا هينا فلا يعنى به قدر ما يعنى بحقيقة الواقعة ذاتها ، وارتباطها بزمان ومكان معين، فاذا شده المذهب الفلسفى اختلت نظرته الى التاريخ وجاوزته الموضوعية الى الذاتية فى بحثه..(13)

وتصور المؤلف ـ هكذا ـ لطبيعة النهج الذى يسير عليه المؤرخ باعتباره نهج بحث وتنقيب عن الحقائق الموضوعية ينم عن اتجاه الى ادخال مادة التاريخ فى مضمون العلم، وان لم يحسب ـ بالضرورة من العلوم التجريبية ، وهذا ما يؤكده المؤلف بالفعل فى مستأنف حديثه حيث يقول :

«.. ان التاريخ علم وان كان لا يدخل فى مضمار العلوم التجريبية ، هو علم بحث وتمحيص ، بحث وراء الحقيقة وتمحيص لها..»(13)

بل ان الكاتب يذهب أكثر من هذا ـ الى أن التاريخ قد لا يكون أكثر من مجرد تعبير عن طريقة للبحث بصرف النظر عن المادة التى يتناولها الباحث، الامر الذى ينبئ عن طبيعة علمية لمدلول التاريخ ، حيث أنه يصلح ـ بحكم هذا الاعتبار ـ وعاء لتمحيص موضوعى للحقيقة فى غير ما مجال من مجالات المعرفة، وينقل المؤلف لتقرير هذا المعنى قوله :

«.. لفظ التاريخ ، حتى فى معناه العلمى المجرد ـ قد لا يعنى شيئا على الاطلاق، الا ان يكون بحثا او طريقة للبحث ، وليس له موضوع ما لم يقترن بصفة تميزه كالتاريخ السياسي ، نعني به تاريخ دولة من الدول ، او التاريخ الاجتماعى ، ونعنى به تطور امة من الامم فى حياتها ، وتاريخ الحضارة ، ونعنى به تقدم الحياة الانسانية ، وتاريخ الفن ، وتاريخ الاديان وهكذا الى كل ما يندرج فى اية ناحية من نواحى الحياة الانسانية او النشاط البشرى على الارض ... (13 ـ 14)

لكن فيماذا يختلف التاريخ عن السيرة ، من حيث مدلولهما ؟

يجيب المؤلف على هذا بقوله :

«اذا كان التاريخ هو البحث عن الحقيقة وتمحيصها وجلاء غموضها ، فى اى جانب من جوانب الحياة الانسانية ، فان السيرة هى البحث عن الحقيقة فى حياة انسان فذ ، والكشف عن مواهبه واسرار عبقريته من ظروف حياته التى عاشها ، والاحداث التى واجهها فى محيطه ، والاثر الذى خلفه فى جيله ، لذلك كانت اقرب الى التأثير الدرامي من كل الوان التاريخ الاخرى وكانت أكثر اثارة للقارىء من كل كتابة تاريخية غيرها حيث تجيش بكافة الانفعالات والعواطف التى تثور فى اعماق البشر ، والتى تتجرد منها الواقعة التاريخية كحدث وان كانت من عمل الانسان ذاته ..»(04-15)

ومهما يكن من امر هذه الخصوصيات المميزة بين البحث التاريخى الموضوعى ، وبين فن السيرة فان الذى لا مراء فيه، ان جذور الفكر التاريخى فى عمومه ترجع الى سحيق العهود ، الى فجر وجود الانسان ذاته ، حيث كان للخرافة اثر مهم تكييف عقلية الناس وفى حياتهم على وجه العموم ، اما نشوء المنهج العلمى للتاريخ ، فيعود بطبيعة الحال الى زمن اقرب .

ويذكر المؤلف فى هذا المقال :

«.. ان المنهج العلمى للتاريخ قد بدا على يد الاغريق ، وان كانت بداية فجة ، الا انها كانت موفقة الى حد بعيد حين اخذوا يحررون العقل البشرى من سلطان الخرافة ، ويتلمسون العلل لظواهر طبيعية كانت تنسب حتى ذلك الوقت الى نزوات الآلهة الخرافية وأهوائهم ، وكان ذلك عندما تنبأ «طاليس المالطى» بكسوف الشمس عام 585 ق. م. وصحت نبوءته ، فقد تملك الاغريق حينذاك شغف بالبحث والتنقيب ، وكانت حياة الانسان هى اول ما أثار اهتمامهم فأوغلوا فى ماضيه ، ورادوا آثاره ودرسوا مدنياته ، وكانت تلك البداية التى بدأها «هيكاتيوس الملطى» حين فصل بين الحقيقة والاسطورة فى تاريخه لنشأة الاغريق..»(20)

وتتابعت بعد هذه البداية مواكب المؤرخين الاغريقيين ، فكان منهم «هيرودوت» ـ أكثرهم شهرة ، عاش فى اثناء القرن الخامس قبل الميلاد ، ثم «تيوسيديد» وكان من اهل القرن الخامس هو كذلك وساهمت امم أخرى كالمصريين والعبرانيين والرومان فى تطوير المعرفة التاريخية، ويورد الكاتب عن دور الرومان بهذا الصدد قوله :

«.. بقى التاريخ الرومانى عالة على مؤرخى الاغريق يكتبونه باليونانية ، حتى نشر الخطيب الرومانى «كاتو» «كتاب الاصول» فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ، وهناك مؤرخ من معاصرى قيصر وشيعته هو «سالست» تناول احداث عصره العاصفة فى سفر لم يبق منه غير رسالتين . وجاء «ليفى» «بعد» «سالست» وبعد ليفى «بقرن جاء (تاسيت) آخر مؤرخى الرومان العظام واشهرهم على الاطلاق فصاحة وقوة بيان...»(25)

ونعلم كم صادفته المعرفة التاريخية بعد ذلك من توسع نتيجة لجهود المسلمين فى مشرق العالم الاسلامى ومغربه فقد ضمن المؤرخون الاسلاميون تصانيفهم فيضا من المعرفة بالتاريخ قديمه وحديثه ، وكان لهم فى شتى الفنون المتصلة بمعرفة العالم والانسان كالرحلات والتراجم والسير ونحوها ، قدم راسخة وقد عنى المؤلف ـ كما رأينا فى موضوع كتابه ـ ببحث هذا الفن الاخير فن السيرة الذى زخرت المكتبة التاريخية قديما وحديثا بالعدد العديد من المدونات فى مضماره ، وفيما يعرض له المصنف بهذا الخصوص يورد قوله :

«.. ليست الاساطير المثيرة التى نسبت الى ابطالها من المعجزات والخوارق ما يفوق طاقة الانسان العادى هو سبب اعلاء البطولة ، ولكنه الانسان نفسه ـ هذا الانسان الذى صنع التاريخ ، هو الذى ولد فى اعماقه شعور بالعجز اورثته اياه الظواهر التى لايستطيع لها تغييرا من برق ورعد وخسوف ، وتحول ـ هذا الانسان الذى صنع التاريخ، هو الذى ولد وفى هذا الشعور بالعجز الى نوع من الاستسلام لتلك القوى الخفية فهو يلوذ بكل ما يجد لديه الحماية والامن ، وتمثلت تلك الحماية فى ساحر القبيلة وكاهنها، ورأى الساحر او الكاهن ان يستعين برجل قوى أو محارب شجاع ! وغدا هذا الاستسلام طبيعة فى نفس البشر ، فلما بدأ الانسان يكشف عن بعض أسرار الكون بقيت فى نفسه أثارة من الخوف والعجز تسوقه الى اكبار البطولة وتقديسها...» (28)

على هذا المنوال اتجه المؤلف لاستجلاء اصول التفكير الاسطورى الذى انبثق عنه فن السير ، قبل ان يستوي هذا الفن على قدميه ، ويتطور عبر الدهور ليثبت وجوده فى حظيرة الآداب الحديثة ، وان كان مضمون هذا الفن ، والروح التى تسوده صارا مختلفين الآن عما كان عليه امرهما فى السابق .

واذ يبرز الكاتب صورة هذا التحول الذى اصابه فن السيرة فى عصرنا ، يقول بصدد ذلك :

«...بالرغم من أن البطل فى السيرة لم يعد فى نظر مؤرخى العصر الحديث غير ظاهرة اجتماعية مما يخلع عنه ثوب البطولة الذاتية ، الا انه منذ كتابة السير ، قد تطور بما يعوض مظاهر البطولة القديمة يعرض صور التفرد فى حياة البطل ، وتأثير الظواهر الاجتماعية فى حياته ، وأثر تكوينه الجسمانى فى سلوكه وأعماله والبحث وراء هواته ، أو جوانب حياته الشخصية عليها تفسر لنا عبقريته أو طريقته فى التغلب على الصعاب او اقتحام المخاطر، او علاج المشكلات ، مما يستهوى القارىء أكثر مما كانت تستهويه مظاهر البطولة البدائية(38).

والواقع أن هذا الاستهواء الذى يجده القارىء فى السيرة ليس مما يسهل على الكاتب تحقيقه؛اذ ان الامر يتطلب منه براعة ادبية قائمة ، ويقتضيه الى ذلك ، جهدا غير يسير فى استحضار العناصر اللازمة ، والتدرج فى مراحل استثمارها ؛ وذكاء فى تسوية الصورة الممتعة التى يبتغيا بلورتها من وراء مجهوده .

ويعرج المصنف ـ فى موالى الحديث ـ على ذكر هذه المراحل التى يمربها العمل عند كاتب السيرة ، وما يستوجبه منه الحال من معناه ، فيذكر فى ذلك :

« كتابة السيرة امر غير يسير ، لا يقدر عليها الا من اربى على قدرة المؤرخ ، واحساس الاديب معا ، وابرز ما فى السيرة هو العمل الكبير الذى قام به صاحبها ، والاثر الفعال الذى قام فى الحياة الانسانية وهذا العمل هو المحور الكبير الذى يدور حوله كتاب السيرة ليس مما يسهل على الكاتب تحقيقه، اذ ان والتربية والحياة العامة التى يحياها صاحب السيرة ، والتربية والحياة العامة التى يحياها صاحب السيرة ، ما هي الا منافذ ينفذ منها كاتب السيرة الى الحافز الذي قاد صاحبه الى العمل التاريخى ، وما لم يصل كاتب السيرة الى هذا الحافز ، ويتقصى اسبابه وعوامله ، كانت روايته قصة باهتة لانبض فيها ولا حياة ، فهى سرد لحياة قد تبدو عادية اذا جردناها من هذا العمل الكبير الذى يشد التاريخ الى صاحبه ... (62)

وفى مزيد من الاستقصاء لمناحى الجهد الذى يتعين على المؤرخ او على كاتب السيرة ان يبذله فى تسوية عمله ، يسوق المؤلف قوله :

«... حين نحدد الحافز او الموهبة فى حياة صاحب السيرة ، نبحث عن العوامل التى كونت هذا الحافز فنعود بالسيرة الى الاطار الذى نشأت فيه، ويتحدد هذا الاطار بالزمان والمكان .

فالزمان والمكان يلعبان دورهما وفى غاية البراعة فى تأهيل الفرد للعمل التاريخى ، تلك البراعة التى تضع اصحاب المواهب فى زمن يتفق ومواهبهم تلك...»(70)

ان سيرة الشخصية التاريخية هى النتاج الحقيقى الرائع ، للتفاعل بين الزمان والمكان معا...» (71).

وفيما يتصل بعمل كاتب السيرة أيضا ، باعتبار انه يسعى الى انتاج عمل ادبى رفيع المستوى ، هناك جانب العناية بالاسلوب كعنصر مهم فى هذا المقام وحول النقطة هذه يذكر الكاتب :

«... اراني بعد هذا فى حاجة الى تحديد الاطار العام لكتابة سيرة تاريخية ، واود ان اؤكد حول هذا ـ حاجة المؤرخ الى بلاغة الانشاء وروعة الاسلوب الذى يصل بالتعبير الساحر الى اصدق صور الموقف التاريخى ، ولن يصل المؤرخ الى غايته مالم تواته القدرة على الوصف والرواية مع دقة التعبير وسلامة الاسلوب وطلاوته...» (90).

«... ولعل انفعال كاتب السيرة بسيرة من يكتب عنهم ، هو أقوى صور الانفعال التاريخى ، ولذلك ، فان السيرة كثيرا ما تقرب من سمت الادب كما يقترب كاتبها من سمت الاديب ، ولعل هذا هو سبب القول «ان السيرة تكتب تاريخا رديئا...» (90) .

«... ونرتد بعد هذا الى الوراء عبر مواطن القول في الكتاب ، فنلتقي بالمؤلف في تحليل جميل لعالم الاديب الذهني ، ورؤيته ـ ضمن ذلك ـ للمحيط الذي تتبلور فيه تصورات كاتب السيرة ، وهو يضطلع بعمله الادبي ، منغمرا فيه بكل أحاسيسه وتخيلاته.

وهذه رؤية للمؤلف الى الموضوع حيث يحاول تصوير المفهوم الادبي للسيرة من خلال التعريف بالخيال الادبي في اطلاقه .

يقول المؤلف :

« خيال المؤرخ غير خيال الاديب الذي يسبح في أجواء سامقة من صنع نفسه، أو الهام ذاته غير عابىء بالحقيقة المجردة الا بقدر ما يلهمه الخيال من صور النفس في نزعاتها الازلية ، وفي لا نهائيتها المترامية ان خيال الاديب خلق وابداع ، فمهما اقترب الاديب من صور الحقيقة او الواقعية، فان واقعيته، لا تعدو تصويره للحياة في الصورة التي يرتجيها، أو الصورة التي هي عليها ، ومهما اوغل الاديب في الواقعية، فان واقعيته تتعلق بصورة او عدة صور من صور الحياة، يغلب عليها الطابع الدرامي ، والا ضاع منه الاطار الفني للقصة او المسرحية او القصيدة ، لذلك نراه يتخيل أبطاله من اناس غير عاديين ، أوجدهم القدر، فأوغل بهم الى حيث تختل ارادة الانسان ، وتبطل ايجابيته، فهو في الغالب مسوق الى غاية ليست ككل ولكنها غاية فيها بعض الشذوذ ، او كل الشذوذ عن التواتر المعروف في الحياة ، وليس من الضروري أن يكون الشذوذ انحرافا في نزوات الانسان او نزعاته ، ولكن يكفي انها تجربة غير عادية تمر بحياة انسان ما ، يتناولها الاديب فيجد تصويرها والتعبير عنها أو محاكاتها كما يرى ارسطو..»(58)

.. ان السيرة احفل من التاريخ بالعواطف الزاخرة الجياشة والاحاسيس النابضة، لانها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقومات شخصيته ، وتبرز معالم حياته لتفصح عن سر نبوغه وتفرده، اذ لا تحفل السيرة الا بكل نابغة فريد.»(61)

ونفضي ـ عند خاتمة المطاف ـ الى هذه الخلاصة في التعريف بمهمة كاتب السيرة ، وعبر ذلك ، في التعريف ـ مجددا ـ بصورة هذا الفن الجميل، وابعاده الادبية اللطيفة .

فلنقرأ مع الكاتب :

«...السيرة كمبحث من مباحث التاريخ، تمثل حياة انسانية متكاملة من المهد الى اللحد ، بل انها تصل الى ما قبل المهد من تاريخ الآباء والاجداد، وتمتد ـ ـ بعد اللحد ـ فيما تخلفه من اثر في جيلها وفي الاجيال اللاحقة ، وهي احفل بالتخيلات من التاريخ المجرد ، وكاتبها أشبه ما يكون بعالم الاحياء الذي في اعادة تركيب حيوان بائد ، منه بعالم الاحياء الذي يرد الانواع الى اصولها الاولى، فهو اقرب الى طبيعة الفنان من المؤرخ المجرد..»

سئل عمر بن العزيز شابا عن الدنيا ، فقال : يا امير المؤمنين ، ذقت حلاوة الدنيا ، فوجدتها مرة، فصغر في عيني زهرتها وحلاوتها ، واستوى عندي حجرها وذهبها ، وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا ، والى الناس يساقون الى الجنة والى النار ، فأظمأت لذلك نهاري ، واسهرت له ليلي ، وقليل حقير كل ما انا فيه جنب ثواب الله وجنب عقابه ، فلأجد لما فيه مرضاة الله خير لي .

تاريخ شالة الاسلامية

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

من الكتب الجديدة التى تتسم بكثير من الموضوعية والانصاف العلمى كتاب « تاريخ شالة الاسلامية » للدكتور الباحث عثمان عثمان اسماعيل . وهو من القلة المخلصة للعلم التى تفرغت لدراسة تاريخ المغرب والاندلس وانتجت فى هذا الميدان اعمالا قيمة لها مكانتها فى المكتبة العربية المعاصرة .

ويسر « دعوة الحق » ان تنشر المقدمة الضافية التى كتبها الاستاذ العلامة محمد الفاسي لهذا الكتاب مع توطئة المؤلف :

كنت قد عكفت منذ اكثر من ربع قرن على التخصص فى نواحى الحضارة الاسلامية ، من تاريخ وآثار معمارية وفنون زخرفية ونقوش عربية بمختلف مناطق العالم الاسلامى فى مصر والشام والعراق وايران وشمال افريقيا والاندلس ، على أن مظاهر الحضارة المغربية قد استهوتنى اكثر من غيرها واغرتنى على التعمق فيها وتذوق فنونها فأنفقت اكثر من سبعة اعوام كاملة فى اعداد ثلاثة كتب عن حضارة المغرب الاقصى غرة نستهل بها سلسلة ابحاثنا فى حضارة الغرب الاسلامى (شمال افريقيا والاندلس) .

وقد خصصت الكتاب الاول (تاريخ شالة الاسلامية) لتاريخ تلك المدينة التى نعتبرها نموذجا حيا للشخصية المغربية المناضلة عبر القرون، وأبنت عن الدور الحى النشيط الذى لعبته فى التاريخ الاسلامى والادارى والحربى بل والعمرانى والفنى كذلك .

وأفردت الكتاب الثانى (حفائر شالة الاسلامية) لنشر اهداف ومراحل ونتائج البحوث التاريخية والكشوف الاثرية التى اجريتها بنفسى داخل المنطقة – وحصلت بها على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى من جامعة الاسكندرية – وكانت اساسا لكتابة تاريخ شالة الاسلامية من جديد الذى قدمناه بالكتاب الاول .

كما قصرت الكتاب الثالث (دراسات جديدة فى الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى) على الآراء والنظريات الجديدة التى توصلت اليها فى ميدان الفنون الاسلامية والنقوش العربية ،

والايضاحات ، والتصحيحات ، والتفسيرات الاجتماعية والنفسية للظواهر المعمارية والفنية العربية ، ودراسة ونشر نقوش عربية لم يسبق نشرها .

وقد كان طموحي شديدا واصراري اكثر شدة في ان اطرح على الباحثين بتلك الجهود المتواضعة امثلة جديدة ، واقدم للدارسين مشاكل عديدة لم تكن مطروحة ... فعندما تكون معلومات المرء وتجاربه محدودة فان الحقيقة تكون بالنسبة له شيئا واضحا ومحددا ، وعلى العكس من ذلك تبدو الحقيقة لمن ينشدها ... فقد كانت هناك اشياء كثيرة مسلما بها فيما مضى حسبما توصلت اليه الابحاث السابقة او المحلية ، ولكن مجرد الخروج عن النطاق الضيق لابحاث ونتائج فترة او منطقة معينة يكشف للباحث الاصيل عن تغير الحقيقة .

لقد اطلت الحقيقة على تفكيري من عدة نوافذ واكتشفت منذ البداية وبنور البصيرة أثر اختلاف الزوايا والواقع والاهداف على الوان الحقيقة ، وميزت بين المخصبات المستوردة وبين النبت المزروع في ارضنا من بذرة تستمد مقومات حياتها من عناصر التربة المحلية ... ، وذلك منذ تتلمذت مباشرة ودرست طويلا مختلف مظاهر الحضارة الاسلامية مع عدد من عمالقة الاستشراق الكلاسيكيين امثال : كريسويل وكومب وجروهمان وليفي بروفنسال وجورج مارسيه وشارل اندريه جوليان وجاستون دفردان وبوريس ماسلوف وغيرهم ، ثم عندما جمعتني ظروف العمل بحقل التدريس الجامعي وحقل البحث التاريخي الاثري .

لقد بذلت جهود في ميدان الدراسات التخصصية لمظاهر الحضارة والفنون الاسلامية ... لكنها لم تنشد جميعها وجه الحقيقة لذاتها فوقفت عند حدود عقلية النقد القديمة لدى بعض المستشرقين ، تلك العقلية الجزئية التي تتناول كل عنصر حضاري معماري او فني على حدة ، فتحلله وتبرز اصوله التاريخية الغارقة في القدم قصد اقصائه عن الاصل العربي الاسلامي دون ان تتجاوز ذلك الى ادراك الخصائص العامة في الانتاج ككل ، ذلك انهم لم يصلوا الى مرحلة ادراك الخصائص العامة لا في التاريخ ولا في الادب ولا في القرآن نفسه ولا فيما خلفه المسلمون من مآثر معمارية وفنية ... تلك الخصائص التي تبين السمات المطردة لرؤية ذلك الانتاج الذي يفوق ما عرفته البشرية من فنون الانسان ويفسر عبقرية العربي المسلم وكان مصدرا مباشرا لعصور الازدهار الاوروبية الحديثة .

لقد كنت اطرق اشد الابواب صلابة واسلك اشد الطرق وعورة آملا فتح باب جديد . وسوف يلمس القارىء بنفسه كيف ظهرت لنا آراء جديدة خلال تلك الدراسات ، وانني لم اكن مقلدا لاحد فيما وصلت اليه من آراء ، بل مؤسسا لها على الحقيقة بالحجة والبرهان ، كما التزمت نفسي منهج النقد الصحيح دون مغالاة ودون محاباة .

وكنت بمصر قد حققت احيانا للغلة والارتواء ولكني لم احقق للهدف الطموح مبتغاه ... حتى القت بي المقادير اخيرا على شاطىء بحر بعيد كان يسمى قديما بحر الظلمات ، هناك ، وقرب مجمع البحرين ، حيث المنطقة التي جذبتني اليها باقصى الشمال الافريقي، التقيت بالاستاذ الرئيس محمد الفاسي الذي منحني من علمه وفضله فوق ما كنت اطمع ، ويسر لي وسائل الابحاث والكشوف بمختلف المناطق المغربية وحملني امانة تعريف المشاركة بحضارة المغرب .

وسوف لا امضي مع القارىء الكريم في عرض بقية المقدمة للتعرف على تلك الجهود والحكم عليها ، وانما اتركه مع التصدير الذي جادت به عبقرية استاذي الجليل الذي كل ودادي له واعتدادي به ووفائي لفضله النظيم الاستاذ الرئيس محمد الفاسي. وزير التعليم ووزير الدولة في الثقافة ورئيس جامعة محمد الخامس الاسبق ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ورئيس جمعية الجامعات الاسلامية ورئيس مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو:

ان الدراسات التاريخية الحديثة التي ترتكز في الوصول الى الحقيقة على علوم شتى ووسائل عدة ، بين الاعتماد على المؤلفات المطبوعة والخطية وعلى النقود والآثار وما يستخرج من الحفريات ، لم تحظ بعد في بلادنا بمن يعتني بها العناية الكافية خصوصا فيما يرجع للمعلومات التي يمكن استفادتها من النقود ومن الآثار البارزة ومن الدفائن المتنوعة التي تكشف عنها الحفريات ، وان كان الفرنسيون والاسبان وغيرهم من الاوروبيين الذين اهتموا بهذه الدراسات وضعوا مؤلفات قيمة وقاموا باجراء حفريات كثيرة في

عدة نواح من المغرب ، فان الاهتمام كان ينصب فى الدرجة الاولى على تاريخ الرومان ببلادنا ، اما الحفريات فيما يخص ما قبل الرومان وما بعدهم فلم توجـه العناية اليها الا بعد الاستقلال .

وان الدكتور عثمان عثمـان اسماعيل مؤلف هـذا الكتاب الـذى تقدمـه لجمهـور المثقفيـن بالمغـرب والمشرق يعتبر اول من اتجه هذا الاتجاه واول من وضع كتابا بالعربية حول تاريخ مدينة اثرية مغربية لها ماض عريق فى الحضارة بعد ان قام بحفريات فى آثار هذه المدينة مدة طويلة . ولقد عرفته منذ بـدأ يهتم بهذه البحوث وتتبعت اعماله مـن بدايتها الى نهايتها .

وقد كانت الاطروحة التى نال بها درجة الدكتوراه نتيجة مجهود جبـار . وان استعمـالى لهذا الـوصف ليس من نوع العبارات المرددة ولكنه وصف حقيقى ينطبق تمام الانطباق على ما بذلـه الدكتـور عثمـان مـن جهـود اولا فى الحفريـات التى اجراهـا بنفسـه وبفضل ما جعلنـاه من امكانـات تحت يـده ثـم فى مراجعة عشرات بل مئات المؤلفات بمختلـف اللغـات التى يتقنها .

وهذه الموسوعة التاريخية الاثرية الفنية تشتمل على ثلاثة كتب ، الاول يتعلق بتاريخ شالة فى كـل عصورها منذ اقـدم الازمنـة الى آخر ايـام المرينيين وهو فى مختلف ابوابه وفصوله يورد اقوال كل مـن تكلم عن شالة قديما وحديثا ويناقش آراءهم بحجـج يستوحيها من ثقافته الواسعة ومما حصـل عليـه من نتـائج حفريـاته .

وفى هذه الصفحات التى تتصف بالموضوعية والنقد العلمى روح حماسية فى الدفـاع عن التـراث العربـى الاسـلامى المغربى ، فهو يرد على من شوهوا تاريخنا من علماء المدرسة الاستعمـارية او شبه العلمـاء لان أهم صفة للعالم الحقيقى وهى النزاهة كانت تنقصهم، كما يندد بمن ينسبون كل مزية فى حضـارة المغـرب للاندلس تنقيصا لقيمة العرب الحضاريـة لان بـلاد الاندلس حسب نظرهم اينعت فيها المدنية لان اهلها من الجنس الاوروبي غافلين عن ان ازدهار المدنية لم يظهر فيهـا الا بعد فتحالعرب المسلميـن لهـا .

كما ان المؤلف ندد كذلـك فى هـذه الفصـول بمن وضعوا سياسة فرق لتسود قبل الحمـاية وفى ايـامها واتبعوها فى كل كتاباتهم وأعمالهم ليجعلوا من العرب والبربر أعداء مع انهم من اصل واحد و قد اختلطوا والتحموا حتى كونوا شعبا واحدا لغته الحضاريـــة العربية ودينه الاسلام .

ولقد جاء الدكتـور عثمـان فى هـذا الكتـاب الاول بنظريات جديدة حـول عدة نقط ترجـع لاسم شـالة ولتاريخها مستعرضا كل الحقب التى مرت عليها ومتتبعا علائق كل الدول بها. وهكذا يمر امام عينيك كلتاريخ المغرب الى اواخر ايام المرينيين . ولا شك ان الكثير من هذه الافكار التى جاء بها وقد خالف فى كثير منها المؤرخين الذين كتبـوا قبلـه من الافرنـج وحتى من المغاربة امثال المؤرخ ابن على الدكالى السلاوى والمؤرخ بوجندر الربـاطى رحمهما اللـه تعتبر وجيهـة ومقنعة لانها تستند كما قدمنـا عـلى حجج وبراهين متينة . وفيما يتعلق باشتقاق اسم شالة فقد اقترح تفسيرا كان عرضه على وحبذته كما ذكر وهو ان شالة جاءت من لفظة شلى التي معناها فى الآرامية وفى البربرية وفى الفينيقية وكلها لغات سامية (كثير) ولا زالت تستعمل الى الآن بالمغرب بهذا المعنى . الا انـــى كنت قلت له ايضا باشتقاقها من اللفظـة الفينيقيـة سلا او سلو بمعنى صخرة وهو ايضـا تفسيـر وجيه لان هذه اللفظة لا تزال كذلك موجودة فى البربريـة وبصيغة (اسلى) بمعنى صخرة وحجرة .

اما الكتاب الثانى فقد خصصه للحفريات التى قام بها فى شالة منذ خمسة عشر سنة وهذا هو الجديد كل الجدة فى الدراسات العلمية باللغة العربية خصوصا وأن هذه الحفريات تتعلق بمدينة اسلامية فى الدرجة الاولى .

والكتاب يحتوى على تفاصيـل دقيقة عن تصـاميم المبانى المعروفة قديما والمكتشفة ، وعلى صور عديدة لكل ذلك ، مع قوائم للقطع التى عثر عليها مشفوعـة بصورهـا ووصفهـا . وكل هذه التصـاميم وضعـت بمباشرة وتنفيذ المؤلف نفسه كما كانت معظم الصور من تصويره كذلك .

وقد اثرت تلك الحفريات معارفنا التـاريخية حول المرينيين بمعلومـات جديدة عن كثيـر من ملـوكهم ووزرائهم كما صححت عدة اخطاء تاريخية كانت تستند على مجرد الرواية المسجلة فى كتب التاريخ. وكل هذا يعطينـا فكرة عن قيمة هذه الحفريـات .

والكتاب الثالث يشكل دراسة جديدة من نوعها خصوصا باللغة العربية وهي عبارة عن بحث قيم للاساليب المعمارية في الهندسة المغربية ومقارنة

أنواعها التاريخية من جهة . ودراسة عميقة للفنون المعمارية من تزليج وتخريم ونقش على الرخام والجبص والخشب من جهة اخرى . وهو في هذا القسم ينقلنا من شالة الى عواصم الفن المغربي الاخرى خصوصا فاس وسلا ومراكش والرباط ، وجميع ذلك مؤيد بصور متعددة ونماذج ورسوم مختلفة مما يجعل من هذا الكتاب زيادة على قيمته العلمية ومميزاته الفريدة تحفة فنية رائعة .

ويختم المؤلف كتابه الثالث من هذه الموسوعة بقائمة من المراجع استغرقت مائة صفحة من المطبوع على الآلة الراقنة وهو شيء ينم كما قدمنا على اطلاع واسع . وقد رتبت هذه القائمة بكيفية علمية : المصادر المتعلقة بالتاريخ وبعدها المصادر المتعلقة بالخطط ثم المراجع العامة في الآثار ثم الخاصة بالعمارة الاسلامية ثم المتعلقة بالفنون . وفي كل قسم منها يذكر المصادر العربية بتعليقه عليها ثم يتبعها بالمصادر الافرنجية .

ان هذا العرض الوجيز عن محتويات هذه الموسوعة لا يعطي سوى نظرة سطحية عن قيمتها الحقيقية التي ستجعل منها مرجعا اساسيا ليس فقط لتاريخ شالة ولكن لتاريخ المغرب مطلقا ، وفوق ذلك بمعرفة الفن المعماري العظيم الذي نبغ فيه ابناء المغرب ونقلوه الى الاندلس لا كما اشاعه علماء المدرسة الاستعمارية الذين يسمون فننا المغربي الاصيل بالفن الاسباني الموريسكي ويطلقون على موسيقانا الكلاسيكية (الآلة) اسم الموسيقى الاندلسية الذي لا نجده في مكتوب واحد من مؤلفاتنا الموسيقية وانما استدرجونا الى استعماله رغم مقاومتي له بكل الوسائل .

وعسى ان يكون من فوائد هذا الكتاب اقناع المغاربة باصالتهم وأصالة فنونهم ، جازى الله مؤلفه احسن الجزاء ووفقه الى متابعة هذه الدراسات وتخريج ، اختصاصيين من الشباب المغربي في علم الآثار والله سبحانه المستعان وعليه الاتكال .

الرباط في فاتح يناير 1975

محمد الفاسي

رئيس مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو



أمير مغربي في طرابلس 1143 هـ = 1731 م

أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقي

● تأليف : الدكتور عبد الهادي التازي ● عرض وتقديم : الدكتور محمد كمال شبانة

يقول ابن خلدون في «المقدمة» :

«فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، اذ هو يوقفنا على احوال الماضى من الامم فى اخلاقهم ، والانبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يروق فى احوال الدين والدنيا..»

ويقول «جيوفرى باراكلاو» استاذ التاريخ الدولى بجامعة لندن فى صدد التاريخ والمؤرخين : «لا نريد ان يكون التاريخ مجرد صفحات يخطها المؤرخ وكأنه لا يستطيع ان يرى سوى الاشياء التى يراها من لندن وهو جالس فى لندن ، أو يراها من باريس وهو جالس فى باريس ، او التى يراها من بكين وهو جالس فى بكين ، ان المؤرخ الحق هو الذى يتمتع بوجهة نظر اشمل ، وأبعد غورا ، وقد كانت وجهة النظر الضيقة هذه دوما سببا فى تشويه تاريخ بعض الامم ، والباس تاريخ امم اخرى امجادا ليست فيه».

من هذا المنطلق نرى ان موضوع الكتاب محل الحديث قد اشتمل على شقين ، شق مغربى ، وشق ليبى ، ومؤلفه عندما تصدى له كان مؤهلا لذلك تجاه مضمونه ، فهو السفير المغربى الى الديار الليبية ، والذى خبر عن قرب مثل تلك الاحداث التاريخية بين المغرب وليبيا ، وبذلك حق له ان يتناول «الرحلة الاسحاقية» ان صحت هذه التسمية ، أو أن يساير ركب الامير المغربى من بلاده حتى يحل فى طرابلس العاصمة الليبية ، وهو فى مسايرته يؤرخ ويحقق ، ويدون ويدقق ، مستعرضا لتلك الاواصر والروابط التى تربط بين القطرين الشقيقين عبر التاريخ.

ونأتى الى فحوى الكتاب فنرى أنه قد جمع ما كان لابد من ايراده فى هذا الصدد ، وسلك به منهج الكاتب المؤرخ ، حيث تحدث بادىء ذى بدء - بعد المقدمة - عن العلاقات المغربية الليبية ، والتى تكاد تكون صلب الموضوع ان لم تكن الموضوع نفسه ، كما يشير الى هذا عنوان الكتاب ، وحول هذا الامر أبرز المؤلف اهم مكونات تلك العلاقات ، وهى :

أ - التماس أمريكا وساطة المغرب بينها وبين ليبيا فى فترة تاريخية .

ب - السفارات الليبية للمغرب أيام السلطان محمد بن عبد الله .

ج - مقام الامير المولى اليزيد بليبيا بعض الوقت، وتقارير السفارات الاجنبية حول هذا المقام .

وللتدليل على الروابط المغربية الليبية عبر التاريخ تحدث المؤلف عنها فى شىء من التفصيل ، مدللا على ذلك بعدة احداث ، كقيام الدولة المرابطية بنجدة

ليبيا ، حينما شعر امير طرابلس علي بن يحيى بن زيرى 510 ـ 515هـ (1116 ـ 1121م) بمطامع روجي الاول في بلاده فهدد بالاستنجاد بمراكش ، وحيث كتب فعلا الى السلطان يومئذ علي بن يوسف بن تاشفين ، الامر الذى حذا بحكام صقلية الى العدول عن نية غزو ليبيا ، وان كانوا عاودوا التهديد مرة أخرى في عصر ابن امير طرابلس الحسن بن علي عام 515هـ = 1121م، الا ان الاسطول المغربي بقيادة محمد بن ميمون وتحركه نحو الشواطىء الليبية قد جعل حد الاطماع المستعمرين .

وهكذا يسوق الاستاذ التازى اكثر من ظاهرة تشهد بجو الاخوة بين قطرى المغرب وليبيا يومئذ وعلى مر التاريخ ، كالنجدة الموحدية عام 554هـ استجابة لنداء سفير طرابلس في هذا الشان ، ثم افتداء طرابلس من قبل بنى مرين عام 755هـ على يد سلطان المغرب حينئذ ابى عنان ، عندما بعث بالمال المطلوب لاجلاء من عاثوا في ارض ليبيا ضد الغزو ما كان من وقوف المغرب الى جانب ليبيا ضد الغزو الثالث عندما حاصر الاسبان ساحل طرابلس عام 1096هـ (1684 ـ 1685م) أيام السلطان اسماعيل ، وما كان من نجدة الليبيين ضد الاسبان .

ويعزى المؤلف تلك الروابط التى كانت تترجم الى مظاهر حية من الاخاء والوفاء بين البلدين ـ يعزى هذا الى كون ليبيا بالنسبة للمغرب قطرا تربطه به وشائج الاسلام والتاريخ القديم من قبل ، ثم لكون ليبيا هي المنفذ الطبيعي للمغاربة في اتجاههم نحو بلاد المشرق وخاصة الديار المقدسة بالحجاز، «هناك حيث تحتاج الجالية المغربية الذاهبة والآتية لمن يرعى مصالحها ، ويزودها بما تحتاج اليه في طريقها، كما تحتاج لمن يستقبل كذلك ما تأتى به من انتاج مغربى» على حد تعبير المؤلف.

هذا على الصعيد السياسى، وعلى الصعيد الاقتصادى لا شك أن المبادلات التجارية قد سادت القطرين ابان تلك العصور ، وقد اشار الاخ التازى الى هذه الناحية اشارة خفيفة، عندما كان يتعرض ركب الحجاج المغاربة لبعض المضايقات من عناصر غير مسؤولة ، فكان العاهل المغربى يبعث باستدراكاته واستفساراته «وهكذا أيضا عندما حمل بعض المغاربة معه الى طرابلس نسيجا مغشوشا وعملة زائفة على غير ما اعتادت البلاد شراءه من المغرب ـ بادر الامير علي القرمانلى الى الكتابة الى السلطان المولى عبد الله سنة 1165 هـ = 1752م الامر الذى استدعى فتح تحقيق دقيق من قبل السلطات المغربية للضرب على ايدى المتهاونين ، محافظة على نوعية الصادرات المغربية» كما يشير المؤلف .

ومع هذا فقد كنا ننتظر اسهابا بعض الشىء حول العلاقات الاقتصادية بين المغرب وليبيا ، بما يجلو غموض هذه الاشارات ، ولتبيان نوعية الصادرات والواردات بين القطرين ، خاصة وقد تعرض الاستاذ التازى للعلاقات عموما ، وأبرز في اكثر جوانبها دون هذا الجانب ، وربما التمس العذر بكون جو «الرحلة» كان هو الطابع والغالب في التعرض للحديث عن تلك العلاقات .

ويتطرق بنا الحديث حول الروابط الاجتماعية لنرى ان المؤلف احتفل بذكر مناسبتين في هذا الشان ، اولاهما تلك البادرة التى عبر بها الامير المولى اليزيد خلال الفترات التى تردد فيها على ليبيا منذ رمضان 1193هـ = 1779م ـ عما يحتفظ به نحو ليبيا من ذكريات جميلة ، «اذ اقترن سنة 1201 ـ 1202 هـ (1787م) بالسيدة حفصة كريمة زعيم كبير من اولاد سليمان ، ذلك ان سيف النصر الذى يحتفظ له تاريخ ليبيا بنصيب وافر» كما اورد في الكتاب .

وعلى الصعيد العلمي ونوعية العلاقات في هذا الشان يشير المؤلف اشارة عابرة حين يذكر «وتأتى بعد كل هذا فترة استقبلت فيها جامعة القرويين من فاس شبابا تعاطى فيها العلم ، وأسهم في بث العلم والفضيلة بتلك الديار (ليبيا) وكان بودنا لو افسح السيد التازى في الكتاب مجالا ولو محدودا للحديث عن بعض العلماء، والكتاب الذين ارتادوا من ليبيا الديار المغربية في رحلاتهم العلمية ، وكذلك الحال بالنسبة لبعض المغاربة في هذا المضمار . ولكن يشفع للاخ المؤلف في هذا سوقه حديثا مسهبا حول جانب من الناحية الثقافية بين البلدين ، وذلك حينما أعقب تلك الاشارة العلمية التى تطرقنا اليها بذكر انطباعات عند الرحالة المغاربة حول ليبيا ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، رحلة الامام ابن العربى سفير يوسف بن تاشفين سنة 485هـ (1092ـ1093م) الى بغداد ، وما كان من نزوله مع ابنه ضيفا مكرما

على امير بنى كعب بن سليم بليبيا ، ورحلة العبدرى «الدليل الازرق» لكل الرواد والرحالة ، وما قدم من تحقيقات تاريخية وجغرافية للقطر الليبى ، وعن الثقافية عندما وصلها سنة 689هـ (1290 ـ 1291م) فى أعقاب حصار أسطول ملك أرجوان لطرابلس يومئذ .

كما اسهم الرحالة المغربى المشهور ابن بطوطة فى الحديث عن الديار الليبية ، سفير السلطان ابى عنان فتكلم عن طرابلس ومصراته وقصور سرت ، وهكذا عن الاعراس والولائم فى الجبل الاخضر ، وذلك عندما زار هذه البلاد عام 826هـ (1325 ـ 1326م).

وغير هؤلاء من الرحالة المغاربة آخرون اجتهدوا جهد استطاعتهم فى أن يرسموا للتاريخ صورة من واقع رؤيتهم للقطر الليبى ابان تلك العصور ، مما يعطى دلالة واضحة لاهتمام المغرب آنذاك بدراسة أحوال الاقطار الشقيقة ، تلك التى تربطه بها اكثر من وشيجة ، «وهكذا نلمس أثر المنافسة فى تسجيل الخواطر ، وصياغتها بالاسلوب الشيق الساحر» على حد تعبير الاخ المؤلف .

أما الرحلة ذاتها فقد تفرغ لها الاستاذ التازى من بداية صفحة 44 ، بعد أن كان لا بد من الالمام بهذه المقدمات التى سبقت من اول الكتاب حتى هذه الصفحة ، والذى نعتبره كمدخل خاص للموضوع نفسه .

لقد قطعت الرحلة مدة سبعين يوما من مدينة فاس الى منطقة «الزوارات» أول نقطة فى التراب الليبى ، بحيث تحرك الركب من المغرب يوم 11 جمادى الثانية من عام 1143هـ (1730/12/22م)ووصل الى ليبيا يوم 24 شعبان من العام المذكور .

كان على رأس الرحلة الامير محمد بن عبد الله وهو يومئذ فى التاسعة من عمره صحبة جدته احدى الاميرات ، تحوطه بعض رجالات البلاط المغربى بين مؤدب ومؤرخ وكاتب ووزير وقاض وجنود بلباسهم العسكرى المغربى ، حيث استقبل الامير وصحبه فى طرابلس استقبالا رسميا يليق بالضيف العزيز، وشاركت طوائف الشعب فى هذا الاستقبال ، وبقى الضيوف بطرابلس ثمانية ايام تاريخية .

ويصادف وصول ركب الرحلة فى اعقاب استهداف طرابلس يومئذ لغزو أجنبى كان له أثره فى ركود الحركة العلمية بالبلاد ، الامر الذى انبرى له المؤرخ الاسحاقى فسجله فى طيات كتاباته عن هذه الرحلة وانطباعاته عن الديار الليبية .

وتواصل الرحلة مسيرتها شرقا مارة باهم المدن الليبية فى طريقها ، كمدينة تاجوراء ولعبة ومصراته وسرت ثم أجدابية التى احتفل فيها الركب بعيد الفطر المبارك ، ماضيا فى طريقه نحو برقة التى يعلق المؤلف على مجاهلها ومخاوفها فيصفها بانها «الغول الذى ارتفعت عقيرة سائر الحجاج بالشكوى من شبحه المخيف ، لا بد ان يكتب الذين عبروا فى الذهاب والاياب خبرة زائدة بقيمة الحياة والحرص على الدنيا ، لقد كان اجتيازها يوازى ارتياد الفضاء الخارجى الآن (ص 60)» .

وينتهى حديث الاسحاقى عن الرحلة عند بلوغ الركب مدينة طبرق عند «دفنة» عند بعض الرحالة المغاربة خاصة اولئك الذين كانوا يقصدون الديار المقدسة ، وهنا يعزى المؤلف (الاستاذ التازى) فقدان بقية وصف الاسحاقى لرحلة هذا الامير الى ان المؤرخ نفسه لم يتمكن لظروف صحية من استكمال تسجيل وقائع بقية الرحلة ، كما انه أجمل الحديث عن العودة للركب الى المغرب ، تماما كما فعل ابن غلبون فى صدد هذه الرحلة فى كتابه «التذكار فيمن ملك طرابلس، وما كان بها من الاخبار» .

هذا ، وقد كان لا بد للاستاذ التازى من خلال استعراض وقائع الرحلة من ان يتعرض بصفة خاصة الى كافة المدن التى مر بها الركب الاميرى ، فيعطى القارئ، فكرة أحيانا عابرة واحيانا مفصلة ، بالحديث عن المدينة تاريخيا وجغرافيا ثم سياسيا ان كانت قد لعبت دورا فى هذه الناحية ، ولا ينسى من خلال التعريف ان يلم بآثارها التى عرض لبعض رسومها ما درس منها او ما كان ذا اطلال شاهدة للعيان، وقد وفق فى هذا الجانب ايضا الى حد بعيد ، ولا غرو فقد كان سفيرا بهذه البلاد فترة من الوقت لم يفته ابانها من ان يقف على ربوعها دارسا باحثا ، وتلك خاصية قلما تتوفر الا فيمن وهبوا انفسهم للمعرفة الانسانية أينما حلوا وحيثما رحلوا .

أما عن جو الوثائق التى تخللت كتاب المؤلف فقد حالفه التوفيق ، اذ جمع اشتاتا منها ، بحيث تكاملت أحداث الرحلة ، وأحاط بها جوانب الموضوع ، وهى على النحو التالى :

1 ـ خطاب الامير المولى يزيد من طرابلس حول سفينة «دوبرونيك» التى نقلت الحجاج المغاربة .

2 ـ ظهير للسلطان سيدى محمد بن عبد الله فى شأن السفينة المحملة بالقمح الى ليبيا .

3 ـ خطاب محمد بن العربى حول السفينة الموجهة الى طرابلس .

4 ـ شكوى المواطنين المغاربة الى متصرف طرابلس ضد تدخل فرنسا فى شؤونهم .

5 ـ جواب الملك محمد الثالث على سفارة الرئيس الامريكى ، والذى يعده فيه بالتدخل لصالح السلام لدى طرابلس .

6 ـ جواب من الرئيس الامريكى «جورج واشنطن» الى ملك المغرب بالشكر على التوسط .

7 ـ كتاب السيدة خناثة بنت بكار الى اهل وجدة وفيه وعد بالامن ، ووعيد لمن يتعرض لامنهم .

8 ـ صفحة رقم 68 من رحلة الاسحاقى تتعلق بالحديث عن المقام فى طرابلس أثناء الرحلة المشار اليها .

ثم يتبع الاستاذ التازى دراسته للرحلة بما يستوجبه المنهج العلمى ، وذلك حين تحدث عن آثار الزيارة الاميرية المغربية الى طرابلس ، وفى هذا الصدد يشير الى ثلاث نقط على لتوالى :

أ ـ اثر الزيارة على العلاقات الدولية ، ولعل أبرز شىء فى هذا ما كان من طلب امريكا يومئذ من الامير محمد بن عبد الله ان يتوسط بينها وبين ليبيا فى نزاع نشب مع القرمانيين .

ب ـ أثر الزيارة على الحركة الادبية، وكان للاسحاقى مجال فى هذا ابرزه المؤلف ، وقد اشترك فى هذا المجال علماء وأدباء مغاربة وليبيون .

ج ـ جامع مولاى محمد ، واعتمادا على وثيقة تتعلق بهذا المسجد فانه ينسب الى احد سلاطين المغرب ، ولربما كان المقصود السلطان محمد بن عبد الله موضوع الرحلة ،هناك تساؤلات أثارها السيد التازى فى خصوص هذا الجامع الذى تهدم ونسبته الصحيحة .

بعدئذ ينتقل المؤلف الى التعريف بالشخصيات البارزة فى الرحلة ، ويتناولها بالحديث المفصل بادئا بامير الركب سيدى محمد بن عبد الله ، ثم الحاجة السيدة خناثة بكار زوجة السلطان المولى اسماعيل وجدة هذا الامير ، ثم الرحالة الكاتب الاسحاقى ، ثم عديل شيخ الركب ، ثم ابو القاسم العميرى قاضى الحضرة المكناسية ، ثم العربى بن محمد احد علماء المغرب البارزين يومئذ ، ثم مؤدب الامير «التسولى» وآخرون من المرافقين والمرافقات من العسير على باحث ان يلم بشخصياتهم ، أولا لقلة المصادر، وثانيا لعدم ايراد الجميع من خلال تسجيل كتاب الرحلة وادبائها كما جرت بذلك العادة . والواقع ان الرحلات المغربية الى البقاع المقدسة قد شغلت أذهان الكثيرين من كتاب ادب الرحلات ، فأفاضوا فى الحديث عنها فى بعض مؤلفاتهم . وأفردوا بعضها لمثل رحلة الامير موضوع الحديث، نظرا للاهمية التى تكتسيها سياسيا وتاريخيا ، «ومن المهم ان نعرف فى ضمن ذلك التنظيم أسست عدة رباطات ، وعمرت عدة معاطن ، وحفرت عدة مواجن عبر الطريق الطويل الذى يربط بين المغرب والمشرق ، وقد كان من مهام تلك المراكز تقديم المساعدات اللازمة لكل الذين يردون على تلك الديار، وهكذا أمنت الطريق نحو بيت الله». وبمرور الزمن تعددت الركاب ، فاصبح هناك ركب سجلماسة وركب فاس ، وركب مراكش ، وركب شنقيط ، علاوة على القافلة البحرية التى لم تنقطع على ممر الزمن ، ص 115» .

وأخيرا ينهى المؤلف حديثه عن الرحلة الاميرية هذه فيورد النص الكامل للقسم الخاص بليبيا من الرحلة التى سجلت خطوات القافلة الفاسية من واقع تسجيل الرحالة الاسحاقى لها ، مثريا الهوامش بكافة ما وقع عليه فى النص من اشارات تاريخية واحداث سياسية اقتضتها طبيعة الباحث المدقق .

وهكذا نرى ان الاستاذ الدكتور عبد الهادى التازى قد وفق فى مؤلفه هذا أيما توفيق ، وترك بصماته واضحة المعالم من خلاله ، مسديا بذلك خدمة جليلة فى ميدان «أدب الرحلات» فله من الدارسين والباحثين خاصة كل تقدير وثناء .

المحاضرات

● تأليف : الحسن اليوسي ● أعده للطبع : الدكتور محمد حجي ● عرض وتقديم : أحمد تسوكي

لله الامر من قبل ومن بعد !

بهذه العبارة البليغة الحكيمة كان يختم العلامة الحسن بن مسعود اليوسي درسا من دروسه او محاضرة من محاضراته ، والحسن اليوسي هذا هو صاحب كتاب «المحاضرات» الذى صدر مؤخرا عن دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر ضمن سلسلة الادب، أعد «المحاضرات» للطبع السيد محمد حجي الاستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، وصاحب كتاب الزاوية الدلائية الذى أرخ فيه لهذه الزاوية ولأعلامها وتلامذتها وتحدث فيه عن تأثيرها فى الثقافة المغربية منذ تأسيسها على يد الولى الشهير ابى بكر ابن محمد . ويعد كتاب الزاوية الدلائية مرجعا هاما من مراجع ومصادر الثقافة المغربية باعتبار الدور الذى لعبته هذه الزوايا فى نشر وازدهار العلوم والآداب والفقه والتفسير والحديث وعلم القرآت وعلم الكلام وعلوم اللغة والنحو والتصوف والتاريخ والفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية والجغرافيا وعلوم الطب .

ولا بد من الاشارة والتذكير بالظروف والحيثيات التى تم فيها وأثناءها اعادة طبع كتاب «المحاضرات» للعلامة الحسن اليوسي ، فقد كان الكتاب - كما يقول الاستاذ محمد حجي فى تقديمه له - من بين الكتب العشرة التى عقد العزم على الشروع فى نشرها، وكان «المحاضرات» فى طليعة الكتب التى انصب الاهتمام عليها وتوجه الاشتغال بها بتحقيقه تحقيقا علميا، وتتبعه بالشرح والتعريف والتعليق على كل ما يحتوى عليه من مغلقات لغوية ، وأعلام أدبية وقصائد ومقطعات شعرية ، واشارات جغرافية أو تاريخية أو صوفية ، ويا ما اكثرها - وشوعنا - يضيف الاستاذ محمد حجي فى تقديمه لكتاب المحاضرات - فعلا فى هذا العمل الطويل النفس خلال عطلة الصيف ، ثم صرفتنا عن متابعة السير بالسرعة المطلوبة ظروف العمل».

كان علينا - يقول التقديم - اذن أن ننتظر مدة غير قصيرة ولا محدودة ، لولا أن صاحب مكتبة الطالب السيد / عبد القادر المكناسى الذى كان وما يزال حريصا على نشر «المحاضرات» ألح على اخراج نسخة مجردة عن كل تعليق على غرار النسخة المطبوعة على الحجر بفاس ، والتى فقدت من السوق منذ عشرات السنين وكثر البحث عنها دون جدوى .

وهكذا - يضيف التقديم - اعتمدنا على النسخة المطبوعة الفاسية ، ورجعنا عند الاشكال الى مخطوطة المكتبة العامة بالرباط عدد 2329 ك ، وهى مخطوطة سنة 1136 ، أى بعد وفاة المؤلف بمدة قصيرة».

هكذا خرج اذن هذا «المخطوط» النفيس من تراثنا الادبى الى الناس باحثين ومؤرخين وأدباء وقراء ليستفيدوا منه بعد أن فقدت طبعته الحجرية الفاسية

التى لا نعلم عنها شيئا ، متى طبعت ومن قام بطبعها؟ وتقديم الاستاذ محمد حجي «للمحاضرات» لم يشر الى ذلك . وعلى كل ، فصدور هذه الطبعة الجديدة من كتاب «المحاضرات» للحسن اليوسى يعتبر حدثا ثقافيا هاما فى مجال احياء تراثنا الادبى والفكرى الاصيل ، سوف يغنى ويثرى مكتبتنا المغربية خاصة وأن الطبعة الاولى بفاس مفقودة تماما الا عند قلة قليلة من علمائنا ومؤرخينا ، وتعتبر بحكم ذلك فى الفقدان كما قلنا ، سيما اذا أخذنا بعين الاعتبار أن الطبعة الفاسية لا تستجيب حاليا لمتطلبات العصر من حيث وضوح الحروف واختلاف أحجامها ونوعية الورق الذى طبعت به ، وتراكم المواد المصنفة فى «المحاضرات» تراكما يضيع على القارىء وقتا غير قليل ويتطلب منه جهدا مضنيا للتعرف على محتوياته، الى غير ذلك من النقائص المطبعية التى تسم كثيرا من مطبوعات تراثنا الفكرى والادبى والعلمى طبعا حجريا ، فجاءت أخيرا هذه الطبعة الجديدة من المحاضرات وقد وضع لها الاستاذ محمد حجي فهرسا للموضوعات وكشافا عاما لاسماء أعلام الاشخاص والقبائل والاماكن والكتب التى ورد ذكرها فى «المحاضرات» ووضع لها تقديما سبقت لنا الاشارة الى محتواه ، وأستبعد أن تكون الطبعة الحجرية الفاسية قد توافرت فيها هذه الفهارس التى تسهل على القارىء والباحث والمحقق الرجوع الى المادة المطلوبة من الكتاب فى يسر وسهولة .

ولا يسعنا الا أن نهنىء الاستاذ عبد القادر المكناسى صاحب مكتبة الطالب بالرباط على حرصه الشديد على اخراج المحاضرات والحاحه على اصدارها ، كما نهنىء الاستاذ محمد حجي على جهده المشكور الذى بذله فى اعداده لاصدار الكتاب ، ونتمنى أن يتوفر له الوقت لكى يعيد طبع المحاضرات على الصورة التى ابتغاها ، خاصة وأن «المحاضرات» من الذخائر الفكرية والادبية التى تنفد وقت صدورها ، ولا شك عندى فى أن أوساطنا الادبية والفكرية والتاريخية قد اقبلت على الكتاب فى طبعته الجديدة بعد نفاد طبعته الحجرية الفاسية منذ عشرات السنين ، ولا شك عندى فى أن المكتبة المغربية سوف تفخر بهذه الطبعة الجديدة من «المحاضرات» وتعتز بها حتى يستفيد منها الخاص والعام .

من هو الحسن اليوسى ؟

ترجم للحسن اليوسى عدد من المؤرخين والادباء والكتاب والمحققين والمستعربين ، ويذكر الاستاذ محمد حجي فى التقديم أن المستعرب الفرنسى المعاصر جاك بيرك له كتاب عن الحسن اليوسى، كما يذكر صاحب التقديم أنه كتب عنه فى مؤلفه القيم «الزاوية الدلائية» وترجم لحياته بتوسع فيه ، وقد ارتبط اسم الحسن اليوسى ارتباطا وثيقا بالزاوية الدلائية وهى ذلك المركز العلمى الكبير الذى كان قائما بناحية تادلة ، الى ان استصفاه – لاسباب سياسية – ورحل القائمين عليه المولى الرشيد، أخو المولى اسماعيل وسلفه المباشر على العرش . ولم يكن الحسن ليوسى من أبناء الزاوية الدلائية ولكنه كان من أشهر وأذكى وأنبغ تلامذتها وعلمائها ، وأكثرهم وفاء لها(1).

ومن بين الذين ترجموا له الافرانى فى الصفوة ، والسلاوى فى الاستقصا – الجزء الرابع – والشيخ عبد الله كنون فى النبوغ – الجزء الاول .

ولد الحسن اليوسى عام 1631م. ويرجع نسبه الى آيت يوسى وهى قبيلة تقع فى جنوب مدينة فاس، قرأ القرآن ورحل الى سجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ، واستقر بالزاوية الدلائية ودرس فيها، حتى استيلاء السلطان رشيد بن الشريف على الزاوية فنقله منها الى فاس حيث درس بجامع القرويين، ثم تركها واستوطن البادية متصوفا متنسكا ، ثم عاد ونزل بمراكش وتصدر فيها لاقراء علم التفسير بجامع الاشراف(2) ورحل الى المشرق فى أواخر حياته ، فزار مصر وحج بيت الله الحرام ، ثم قفل راجعا الى المغرب حيث توفى به سنة 1102 هـ. (3) فيكون الحسن اليوسى اذن قد عاش اثنين وستين سنة، عاشها طولا وعرضا كما يقولون، اذ كانت حياته حافلة كرس جهده خلالها لطلب العلم والادب والقراءة والكتابة والتدريس والاقراء ، وانقطع فترة منها الى التصوف والتنسك ، وكان ذلك امرا طبيعيا فاليوسى اذن يمثل الحركة الادبية فى معظم النصف الثانى من القرن الحادى عشر الى نهايته ، وهو بهذا يمثل مرحلة انتقال الدولة من السعديين الى العلويين(4) وقد خلف لنا الحسن اليوسى تراثا ضخما من المؤلفات ، معظمها لا يزال مخطوطا ، منها ماطبع بالمطبعة الحجرية بفاس ومنها كتابه :

المحاضرات ، ولعله لم يطبع من مؤلفاتـه الغزيـرة طباعة عصرية الا قصيدته الدالية فى مدح الشيـخ محمد بن ناصر ، وشرحه هو نفسه عليها ، وقـد سماه : نيل الامانى فى شرح التهانى .

وقد احصى الاستاذ محمد حجى فـى كتابـه عـن الزاوية الدلائية مؤلفات الحسن اليوسى ، فبلغت فى هذا الاحصاء سبعة وأربعين مؤلفا دل عليها كلهـا ، فذكر أرقام المخطوطات منها فى الخزانة الملكية أو الخزانة العامة ، وذكر تواريخ وأمكنة طبع ما طبـع منها حتى الآن ، ووضع علامات استفهام أمام مـا لا يزال منها مجهولا ، يعرف بالاسم فقط ، ولا يعرف بالعين(5).

ثم نأتي هنا على ما قالـه عنه بعض معاصريـه والذين ترجموا له ، حيث قال عنه الافرانـى فـى الصفوة : يبدى كل يوم من التحقيق أسلوبا ، ويلقى من التحريرات صنوفا، فعجب الناس من حسن القائه، وغزارة مادته». وقال فيه الشيخ أبو سالم العياشي:

من فاته الحسن البصرى يصحبه

فليصحب الحسن اليوسى يكفيـه

وقال فيه الناصرى صاحب الاستقصا :

كان رضي الله عنه غزالى وقتـه علمـا وتحقيقـا وزهدا وورعا».

ثم أضاف :

وبالجملة ، فهو آخر العلمـاء الراسخيـن ، بـل خاتمة الفحول من الرجال المحققين ، حتى كان بعض الشيوخ يقول : هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل ، بحيث صار امام وقته، وعابد زمانه، رحمه الله ورضى عنه».

وقال فيه أستاذنا الجليل عبد الله كنون فى كتابه النبوغ - الجزء الاول : نابغـة علمـاء هـذا العصر (يقصد عهد الدولة العلوية التى عاصر فيها اليوسى ملكين من ملوكها) ومن افضل المتحققين بالعلـوم العقلية والنقلية على سبيل العموم». ويضيـف فيه : كان أديبا عبقريا ، راوية الشعر ، يستحضر ديوان المتنبى وأبى تمام والمعرى، وقصائد كثيرة لغيرهم، كل ذلك على طرف لسانه وهو نفسه شاعر مجيـد مكثر».

وكان الحسن اليوسى يقول عن نفسه : لو شئت الا أتكلم الا شعرا لفعلت ، وكان مثل ذلك يقولـه أبو العتاهية .

المحاضرات :

هى اشهر مؤلفات هذا العالـم الاديـب الشاعـر الصوفى ، قال عنها الاستاذ محمد حجى فى تقديمه لها : «واذا كانت المحاضرات ليست أكبر مؤلفـات اليوسى حجما ، ولا أكثرها دلالة على غـزارة علمـه وتمكنه فى ميدانى المعقول والمنقول ، فانها تمثل نوعا طريفا من المؤلفات المغربيـة التقليديـة ذات المواضيع المتعددة التى ينـتـقـل فيهـا المؤلف من موضوع الى آخر لمجرد ادنى ارتبـاط او تقـارب ، بالاضافة الى الاستطرادات التى كثيرا ما تطغـى على الموضوع الرئيسى فتكاد تنسيه» !

ويرجح الاستاذ محمد حجى فى التقديم أن الحسن اليوسى ربما كتب المحاضرات لينفس عن نفسه من ضيق الحرمان من التدريس وهو مبعد الى مراكش على اثر ثورة أحمد بن عبد الله الدلائى ، بل انـك ترى المؤلف فى بعض فصول هذا الكتاب وكأنه يقرر من أعلى منبر تدريسه موضوعا معينا، فيشرح ويقارن ويستشهد ، مستغرقا فى ذلك نفس الحجم المعتاد للمحاضرة الشفوية ، ثم يختمه كالمعتاد بقوله : لله الامر من قبل ومن بعد!».

فالمحاضرات التى بين أيدينا فى 323 صفحة مع الفهرس والكشاف ، من الحجم الكبير ، تشتمل على تقديم للاستاذ محمد حجى فى صفحتين ، يليها النص الكامل للمحاضرات الـذى يبداه المؤلـف الحسـن اليوسى بالحمد لله والصلاة والسـلام على سيدنـا محمد ينبوع الاحكام والحكم ، ومجموع شيم الفضائل وفضائل الشيم ويخلص بعد ذلك الى قوله :

«أما بعد ، فان الدهر أبو العجائـب ، وينبـوع الغرائب ، ويأتى بمثل حول ذلك وأشعار متفرقـة ثم يقول قصيدة من نظمه مطلعها :

أرانى حيثما اخطو ... أجد ما لم أجد قط

ومنها قوله :

وذو الفـهـم لـه علـم ... جديد حيثما يخطـو

فكـر واعتبـر تعلـم ... علومـا دونها الضبـط

تدرك غير ما في الصحف يوما خلد الخط

وسلم وارض بالمقدور لا يذهب بك السخط

ولا تبرم اذا المولى يشد الحبل أو يمطو

فما ترجو من الرضوان أن ترضى له شرط

وهي قصيدة كما نرى ليست من أحسن قصائده، ولكنها تبرز قدرة الحسن اليوسي على تطويع اللغة للغرض الذي يكتب فيه، وتنم عن بساطة اسلوبه في النظم وبعده عن الاغراب والحشو، وميله الى انتقاء لنفظ الرقيق الشفاف، مع الجزالة والاصالة والتعمق في استكناه المعنى والسبر في أغوار المعاني دون اسراف او افراط، وباختصار قدرته على التعبير عن المعنى المراد بارق الالفاظ وأبسطها وأقربها الى الفهم والادراك.

وعلى العموم : نلمس في قصائده ماء الشعر الحر يتدفق في أسلوبها وتتجلى صورها البعيدة في معانيها (5) :

ثم يقول بعد ذلك :

«واني قد اتفقت لي سفرة بان بها عني الاهل شغلا وتانيسا، وزايلني العلم تصنيفا وتدريسا، فاخذت أرسم في هذا الموضوع بعض ما حضرني في الوطاب، مما احال فيه او حان له ارطاب. وسميته «المحاضرات» ليوافق اسمه مسماه، ويتضح عند ذكره معناه. وفي المثل : خير العلم ما حوضر به، وانما أذكر فيه فوائد وظرفا، وقصائد ونتفا، وذلك مما اتفق لي في ايام الدهر من ملح أو لغيري مما ينتقى ويستملح، ولا اذكر نادرة فيها معنى شريف الا شرحته، ولا لطيفا الا وشحته، وذلك هو لباب الكتاب، وفائدة الخطاب، والله الملهم للصواب. وقد أذكر بعض ما صورته هزل يستهجن، وفيه سر يستحسن، وكما أن المقصود من الاشجار ثمارها، فالمطلوب من الاخبار أسرارها. وانما حملني على الاخذ فيه أمور منها : التفادي من البطالة التي هي مدرجة الجهالة والضلالة، ومنها افادة جاهل، او تنبيه غافل. ومنها تخليد المحفوظ ليلا ينسى، وتفصيله نوعا وجنسا. ومنها استمطار علم جديد، عند الاشتغال بالتقييد، فان العلم كالماء نباع، وبعضه للبعض تباع ... ومنها تعليل النفس، ببعض الانس، فان النفس ترتاح للاحماض، وتستشفي بروحه من الانفاض، ولا سيما مثلي ممن ترامت به الاقطار، وتباعدت عنه الاوطان والاقطار». ثم يأتي بقصيدة من نظمه في خمسة واربعين بيتا مطلعها :

سلا هل سلا عن أهله قلب معنى
بريب الهوى والبين عن جيرة الحي

ويختمها بقوله :

وكل امرىء يوما سيجزى بما أتى
من الخير بل يجزى على كل منوى

ثم يختم المحاضرة الاولى من كتابه كالمعتاد :

لله الامر من قبل ومن بعد !

فالمؤلف هنا في هذه المحاضرة الاولى من الكتاب يشرح بنفسه منهجه في تأليفه «المحاضرات» والبواعث والدوافع على اقدامه على التاليف، وطريقته وأسلوبه في الكتابة، ويتضح لنا من ذلك كله - على قصره - أن المؤلف أحس في مراكش بالغربة والاغتراب، فاراد أن ينفس عما في روحه ووجدانه من جيشان العواطف وهيجان المشاعر والاحاسيس وهو في حالة من البعد والابتعاد عن التدريس والاقراء، فشرع في تأليف «المحاضرات» حتى يطمس عن نفسه ويبعد عن روحه احساسه الحاد بغربته، فجاءت محاضراته سفرا نفيسا ليس فيه شيء من دخيل التكلف والتصنع، يجمع بين دقة المؤلف في الاختيار والانتقاء، وغزارة محفوظه من الامثال والاشعار والايام، وقوة وصفاء حافظته في الاستظهار وبساطة اسلوب ورقته، وحرصه الاصيل على الشفافية والسهولة واليسر درجة تصل به أحيانا الى السهل الممتنع في الكتابة والتأليف والتصنيف، وكل هذه الخصائص التي تطبع أسلوبه في التاليف تنم عن طبعه الاصيل ومنهجه الذي كان يتبعه في التدريس والاقراء، ولولا استطراداته الكثيرة وانتقاله من موضوع الى آخر لاقل ارتباط واتصال، لجاءت «المحاضرات» موسوعة مرتبة في العلوم العقلية والنقلية وأشعار العرب في شتى الاغراض التي كانوا يتناولونها، غير أنه في المحاضرات لا يضبط المواضيع والاغراض التي يكتب عنها، وانما ياخذ موضوعا من المواضيع أو غرضا من الاغراض - في الامثال والروايات والاشعار والتراجم ... الخ، ثم يستطرد فيه ويولد منه معاني كثيرة متعددة، ويذكر في المعنى الواحد ابياتا من الشعر قيلت فيه وأمثالا

وحكما وروايات وملحا لها ارتباط ـ من قريب أو من بعيد ـ بالمعنى الذى يكتب فيه ، ثم يخطر له خاطر آخر فى معنى من المعانى لا يرتبط بما سبقه فيسوقه بالطريقة التى يذهب بها فى كتابة وتأليف مصنفه المذكور ، ومن ذلك أنه يكتب عن سجلماسة وشالة وبلاد ملوية ورباط شاكر ثم ينتقل من غير سبب يربط السابق بمثيله اللاحق الى الكتابة عن المحتالين الذين يظهرون الصلاح ويخدعون الناس ، ثم ينتقل الى ذكر اشعار العرب فى الكرم وخدمة الضيف ، ثم يذكر أصناف الناس وأصناف بقاع الارض ، ومثل ذلك أيضا تناوله الحديث عن الحكم التكليفى والحكم التشريفى والنفس والشيطان والخاطر النفسانى والخاطر الشيطانى والحقيقة والشريعة الى تناوله الحديث عن أبيات الحكمة والتمثيل ، وهذا نموذج فقط عن منهجه وأسلوبه الذى اتبعه فى كتابة المحاضرات .

ولا ينسى الحسن اليوسى فى المحاضرات ان يكتب عن الزاوية الدلائية وأعلامها ومشايخها ، الا أن رواياته عنها تأتى متفرقة إشتى يفصلها عن بعضها البعض كتابته عن أغراض أخرى لا تمت بصلة الى موضوع الزاوية الدلائية ، ففى صفحة 72 يكتب روايته عن محمد الحاج الدلائى وينتقل الى اغراض آخرى حتى الصفحة 78 لنجده يكتب عن شيخ الدلاء عند عبد الله ابن حسون فى سلا ، ويتكرر مثل ذلك فى بقية المحاضرات عن موضوع الزاوية الدلائية وأعلامها وشيوخها وتلامذتها مثلا فى الصفحات : 102 و 140 و 166 و 170 و 300 .

وفى فصل من فصول المحاضرات يكتب عن أبيات الشعر المفضلة عند العرب ، مثل ذلك : اشهر بيت قالته العرب وأحسن بيت وأصدقه وأكذبه وأفخره وأمدحه وأهجاه وأشجعه وأكرمه ، ولا يكتفى فى رواياته ببيت واحد أو بيتين بل يذكر أبياتا لشعراء متعددين فى الاغراض المذكورة .

ويفتح بوابا فى كتابه للحديث عن كلام الاذكياء والالغاز العربية والمضحكات والملح وأخبار الثقلاء والمواعظ والوصايا، ثم يسوق بعض حكم الخليفة على ابن أبى طالب رضى الله عنه مرتبة مصنفة على الحروف الاولى التى تبدأ بها الحكمة ، ثم يختم الكتاب بذكر جماعة من شيوخ العلم والتصوف الذين لقيهم المؤلف ، يبدأ الخاتمة بقوله :

«أسرد فيها من حضر الآن فى فكرى ممن لقيت وتبركت به ، ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح تبركا بهم ، فانه قد قيل : تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين ، .. ولم أتعرض لاحوالهم لان ذلك يطول، والكتاب غير موضوع له ، فاكتفيت بذكر اسمائهم » ويبلغ عددهم خمسة وخمسين اسما . وذكر قبل هذا الباب نصوص ثلاث قصائد مطولة الاولى منها مطلعها:

زيادة المرء فى دنياه نقصان
وربحه دون محض الدين خسران

ثم القصيدة الزينبية ـ نسبة الى زينب ـ ومطلعها:

صرمت حبالك بعد وصلك زينب
والدهر فيه تغير وتقلب

والقصيدة الاخيرة هى تائية أحمد المقرى فى المواعظ ومطلعها :

الى كم تمادى فى غرور وغفلة
وكم هكذا نوم متى يوم يقظة

وفيها نفحة من تائية ابن الفارض الشهيرة : وبعد ،

هذا عرض مبسط لكتاب قيم يحتل من تراثنا الفكرى والادبى مكانة مرموقة ، شهد بها أعلام تاريخنا الفكرى والثقافى والحضارى بصفة عامة ، وتقديم قصدت منه التعريف ـ جهد الامكان والمستطاع ـ بهذا العالم الصوفى والشاعر الاديب الموسوعى الحسن اليوسى ومؤلفه الكبير «المحاضرات» ، راجيا ان يكون صدور طبعته الجديدة حافزا لهمم الادباء والمؤرخين والمهتمين باحياء تراثنا الفكرى المغربى الاصيل أن يكتبوا عنه وعن علماء وشيوخ عصره ، وأن يكون هذا الكتاب القديم ـ الجديد ـ باعثا يشجع أهل الاختصاص على دراسة تراثنا دراسة علمية متأنية ، وبادرة تشجع على طبع ونشر مؤلفات ابى الحسن اليوسى ، خاصة وأن الاستاذ محمد حجى الذى قام باعداد كتاب المحاضرات للطبع قال فى التقديم : ان هذا المؤلف ليس أكبر مؤلفات اليوسى حجما ولا أكثرها دلالة على غزارة علمه وتمكنه فى ميدانى المعقول والمنقول .

هــوامش :

1 ـ أنظر : على هامش رسائل الحسن اليوسي الى مولاى اسماعيــل ـ للاستــاذ المرحــوم عبـد القادر الصحراوى ـ دعوة الحق ـ العدد الرابع ـ صفحة 66 .

2 ـ الادب المغربى ـ لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفى ـ الطبعة الثانية ـ صفحة 313 ـ دار الكتاب اللبنانى .

3 ـ المصدر السابق ـ نفس الصفحة .

4 ـ المصدر السابق ـ نفس الصفحة .

5 ـ المصدر السابق ـ صفحة 316 .

6 ـ رسائل الحسن اليوسى الى مولاى اسماعيل ـ ص 68 ـ 69 .

نشرت مجلة « العربي » الكويتية فى عدد مارس الماضي مقالا للمرحوم الاستاذ علال الفاسي بعنوان : « الاستعمار الثقافي » جاء فيه بالخصوص :

« ان الاستعمار الثقافي يرمي الى محو الثقافة المحلية اولا بالقضاء على الدين أو تأويله بالاساليب التي تتفق مع رغبة الاستعمار ، وبالقضاء على الفكر القومي المستقل عن كل اعتبار خارج عن مصلحــة الوطن ومصلحة الجماعات التي تعيش فيه . واحلال الثقافة الاجنبية محل ذلك كله لجعل الشعب المفتوح ذا صبغة تستمد كل روائها وائرها من عناصر الحياة التي يختارها المستعمر ويريدها . فاشكال الحكم ومواد التشريع واجــراءات القانــون والتشريعــات ومظاهر الرسميات والالبسة وكل شيء يجب ان يكون صورة طبق الاصل لما هو قائم فى الوطن الوالد كما يقولون . وكل ذلك يقــوم على اساس ان مقاييــس السمو يجب ان تصبح فى نظر الشعب المستعمــر هي ما قام به المستعمرون فى بلادهــم وما اختاروه لانفسهم . وان المأساة عميقة ، انها غرس الاعتقــاد بقوة المستعمر وتركيز مبدأ امتيازه علينا . انهــا محو لانسانيتنا وتحقيق لانسانية الدولة المستعمرة.

علال الفاسي

ديوان المجلة

- بمولد المصطفى قد أشرق الأفق .
- جاء دور الاسلام .



أيها المسلمون

للشاعر الأستاذ المدني الحمراوي

أيها المسلمون مهلا ورفقا — لا تخوضوا الى المتالف طرقا
فقفوا واطلبوا نجاة فانى — بت أخشى عليكم اليوم محقا
ما غناء العقول ان لم تفدكم — مخلصا يضمن السلامة حقا ؟
بعد الركب من طريق أمين — وارتمى فى مضايق الهلك حمقا
ان تمادى ضلاله فسيلقى — بين تلك الشعاب ما سوف يلقى
كم مهاو بعيدة القعر فيها — وصخور تفتت العظم دقا
وبراكين بالفجائع تغلي — وحقول بسائل السم تسقى
ودعاة على الطريق ولكن — غرروا بالرفاق مكرا وفسقا
فيقودونهم الى كل فخ — ويسوقونهم الى الحتف سوقا
هم لصوص تعودوا كل فتك — بمن اغتر بالمظاهر خرقا
لبسوا من شعار داع أمين — حسن السمت يخلب العقل نطقا
فاذا ما سطو بغير جهول — خنقوا حلقه ـ من الحقد ـ خنقا
ثم مالوا على متاعه نهبا — وعلى جسمه المجندل شقا

= * =

أيها المسلمون عودا سريعا — ان أردتم من النوائب عتقا
وبدارا الى النجاة بدارا — وابدءوا السير فى المحجة سبقا
فعليها رواق أمن ويمن — وبها وحدها السلامة تلقى

سلك السالفون منها سراطا ... جددا ؛ فانتهوا الى القصد وفقا

وسلكتم شعاب هول وبأس ... تيهتكم ؛ فذقتم الغم مذقا

طحنتكم بها الكوارث طحنا ... وشوتكم بها الصواعق حرقا

ودهاكم بها من الحيف عسف ... شتت الشمل ثم غيض رزقا

واحتواكم بها لصوص لئام ... جعلوكم من المهانة رقا

فاستحلتم من الهوان ذيولا ... قلدت ما رأته غربا وشرقا

اين انتم من سالف كان نورا ... وفخارا ، وكان عدلا وروقا ؟

ملأ الارض من ضيائه هديا ... فغدت كالعروس حسنا وعبقا

وبناها على سماحة دين ... وسقاها من الرفاهة ودقا

كان بين الانام اسعد عهد ... مد ظل السلام فيهم وأبقى

بزغ المسلمون فيه شموسا ... وهداة محو ضلالا وفرقا

سلف صالح بنو خير عهد ... فاق كل العهود عدلا وخلقا

وبروح القرآن سادوا واحيوا ... امما اشرفت على الموت رهقا

انعشوها وعلموها فصاروا ... في سجل الزمان أبقى وارقى

لا يدانيهم الانام فخارا ... أو يعيدوا تلك الحضارة طبقا

اين من تلكم الحضارة عار ... افسد الارض بالمخازي واشقى ؟

اين منها فظائع ودمار ... ونظام على المنافع يرقى ؟

اكل الاقوياء فيه ضعافا ... واسترقوا من البرية خلقا

ففريق برأى التعصب دينا ... ميز اللون ،ثم فضل عرقا

جعل البيض سادة ، وسواهم ... باليم العذاب يرشق رشقا

وفريق مراوغ ، هو ادهى ... يسحق الناس بالدسائس سحقا

ومن الكل للعدالة حرب ... فضعاف الشعوب بالحيف تشقى

ومن الكل للفضيلة ضد ... مرغ العرض في التراب والقى

فرأينا من الاناث فجورا ... اشبع الفاسقين شما وذوقا

قد تبرجن في شفوف قصار ... وكشفن الفضون سفلا وفوقا

وتبادلن والرجال جهارا ... كل عهر دعوه ـ بالزعم ـ عشقا

فتشبهن بالبهيمة عريا ... وعققن الحياء فعلا ونطقا

واشعن السفاه في كل نهج ... وقتلن الوقار طعنا وشنقا

اتسمى حضارة ورقيا ... هذه الموبقات حقا وصدقا ؟

اتسمى تحررا من قيــــود ؟ وهي العار والجرائم حقــا

= ❋ =

كذب الغرب انما هــو طــاغ جعل الناس فى الكوارث غرقــى
عبد المال والرذيلة حتــى سلق الارض بالفظائع سلقــا
لا يحـاول بمـا يمــوه زورا من دعاويه ان يغطي فتقــا
كشف الحق عن فظائعه السـود وشقت له الوقائع شدقــا
فبدا تاجر يبيــع ضميــرا بضمير ويلعق السحت لعقــا
وجهه كالانام شكـلا ولكـن نفسه بالشرور تشبه زقــا
ايها الغرب كم جنيت علــى الار ض ، وكم احرقت جحيمك افقــا
ولكم خربت صواعقك الهــو ج بناء فمات أهلـه صعقــا
وكم استنزفت خراطيمك الصفــر دماء القلوب مصا وفلقــا
ولكم مزقت اظافــرك الحمــر من الحق والعدالة حلقــا

= ❋ =

ايها المسلمون ! هلا صحوتــم فالنذير العجـول واصل دقــا
طرق الباب كي تفيقـوا ولكــن قد تصاممتمو عن الطرق نزقــا
واصختم الى بشير غريــب بخداع الغرور ينعـق نعقــا
قد سباكم بمغريات فاغــوى كل عقل ، وغاب فى الفكر عمقــا
ثم القى على البصائر غيمــا وامام العيـون زور برقــا
فاستطبتم ميوعة وانحــلالا واضعتم من النفائس علقــا
ضاع حبل الاله ، ضاع فامسـى ورقا بينكم وحبــرا ورقــا
وتركتم رسالة الحق غبنــا وقطفتم من السفاسف عذقــا
وفررتم من فسحة اليسر جهــلا واتيتم هوى وعسـرا وضيقــا
قد رضيتم بأن تكونـوا ذيــولا كيف يحيا من كان ذيلا ويبقــى
فلقد كاد ظلكـم يتــوارى بعد ما كان يملأ الارض خفقــا
وتكادون ترسبـون هوانــا فى محيط به النفايـات تلقــى
اي شأن لامة قـد تجافــت عن تقاليدهـا النبيلة حمقــا ؟
نبذت ماضيا مجيدا ودينــا لم يزل عروة ـ مدى الدهر ـ وثقى
ثم صارت الى ميوعة قــوم رمقوها بأعين البغض رمقــا

أعلن العاقلون منهم جهـــارا ... انها أصبحت شقـاء ووبقـــا

وراوها تجرهـم لخــراب ... عاينوا منه فى الاساطين شقــا

فالى م الضلال يا قـوم يربــو ... بينكم ، والغرور يطغى ويبقــى ؟

قد مللنا فى هذه السوق تيهــا ... وبقينا فى حانة الغرب جوقــا

فرجوعا الى الصواب رجوعــا ... وارتقوا الفتق بالهدايـة رتقــا

ان تاريخنا يحـن ويهفــو ... من جديد الى السيـادة توقــا

وينادي مستصرخا كـل يــوم ... اين قومي ؟ لقد تقطعت شوقــا

اين من يأخذ المشاعل منــي ؟ ... فينير الحياة هديـا ورفقــا

قد سمعتم نداءه فاستجيبــوا ... وكفى غفلـة وغيـا وعقــا

الرباط : المدني الحمراوي

قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه :

خمس خذوها عني ، الا لا يرجون احد الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستنكف أن يتعلـم ما ليس عنده ، واذ سئل عما لا يعلم فليقل لا اعلم ، والصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد .

جاء دور الإسلام

للشاعر الأستاذ
أحمد الشريف

لم يزل نجم سعدها يتوقد
أمة آمنت بدين محمد

أمة شاءت الخلود مصيرا
كل يوم شبابها يتجدد

لم يزل غصنها نديا رطيبا
وصباها غض الاهاب مورد

يا رسولا علمتنا كيف نحيا
بين كل الانام أهنا وأسعد

نور ايماننا يضيء لنا السبـ
ـل اذا ما تشعب الدرب واسود

واذا ما سحائب الشك حامت
فوقنا والضعيف منا تردد

ورياح الالحاد هبت ثلوجا
ودم البعض فى العروق تجمد !

وصغار العقول أ ضحوا ضحايا
الجدل البالي ... والشباب تشرد؛

ذاب ثلج الالحاد من دفء ايما..
نى ، وغيم الشكوك عنا تبدد

حصحص الحق يارفاق! فلا (مارك..
س) ولا (ماوتسى تونغ) ولكن محمد

جاء دور الاسلام.. اذ فشل الشر..
ق ، وزاغ الغرب الانانى وارتد

كفلوا للبطون شبعا وريا
وأذاقوا الارواح جوعا مؤبد

سلبوا حرياتهم ، وأحالو..
هم نمالا زرقا ، تقام وتقعد

وبنوا حولهم زرائب حتى
لا يفروا من بؤسهم حين يشتد

غسلوا منهم الدماغ كما يمـ..
حى شريط التسجيل او يتعقد

حجبوا عنهم الحقيقة حتى
لا يماروا فى افكهم حين يسرد

فغدوا اسطوانة طبعت منـ..
ـها الملايين كل يوم تردد

عمرهم ليلة بدون نهار
يترجونه .. ويوم بلا غد

= ※ =

(※) القصيدة الفائزة بالجائزة الثانية فى مسابقة الشعر التى نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة عيد المولد وعيد العرش .

ان عقلا ينفى وجودك ، يار...
بى ، لعقل من جامد الصخر أبلد !

ان عينا لم يعشها نورك البا..
هر عين عمياء عن كل مشهد !

ان قلبا لم يهده نور ايما..
نك قلب ضل المحجة وانسد !

= ❊ =

واذا ما الصليب هاجم ، والنجـ..
ـم السداسى للمساجد عود

وأتى بالصواعق الحمر ، صنع الـ..
ـعم سام ، وبالابادة هدد

واذا ما احفاد (روذريغو) فى الصحـ..
ـراء شاؤوا تمزيق شيعة احمد

وأتوا بالحديد برا وبحرا
وفضاء ، وطبقوا الوعد والنجد

وكسوا بالشوك الرمال ، وبالالـ..
ـغام سدوا امامنا كل مقصد

ملأوا جونا باجنحة الفو
لاذ زرقا ، وأطلقوا البرق والرعد

التجأنا اليك نستلهم السيـ...
ـرة نرجو منك الهداية والرشد

فوجدناك فى (حنين) وفى (بـد
ر) وفى (الخندق) الحسام المهند

ووجدناك فى مسيرتنا الخضـ..
ـراء درعا لنا وصرحا مشيد

ووجدنا حفيدك الحسن الثا..
نى لنا رائدا امينا مؤيد

فاهتدينا به كما يهتدى التا..
ئه فى لجة المحيط بفرقد

= ❊ =

جاء دور الاسلام ، وانتفض المسـ
ـلم وانشق قيده وتمرد

قيده الجهل ، والتخلف ، والفقـ
ـر ، وكل الامراض حين تعدد

ورأى بارقا من الامل المشـ
ـرق يرنو له على افق الغد

فصبت روحه اليه .. فمد الـ
ـعين ، والقلب ، والعزيمة ، واليد

= ❊ =

مولد المصطفى لنا عبرة كبـ
ـرى ، وعهد منا له يتجدد

مولد المصطفى لنا سجدة نشـ
ـكر آلاءه علينا ونحمد

= ❊ =

نحن لولاك يا محمد ما كنـ
ـا شعوبا فى العز ترفل والمجد

نحن لولاك يا محمد ما كنـ
ـا فحولا كريمة الاب والجد

نحن لولاك لم نكن امة عظـ
ـمى لتاريخنا يقام ويقعد

رضع الغرب من حضارتنا الاو
لى ، ومن شمسها المنيرة اوقد

انت علمتنا التشبث بالرو
ح وارعافها لتسمو وتصعد

انت علمتنا مفاضلة الامـ
ـلاك طهرا ، وروحها لم يجسد

وجعلت العلوم فرضا علينا
ذكرا ام انثى ، من المهد للحد

وجمعت القلوب من بعد ما كا
نت شتاتا ، وصنت شملا مبدد

معجزات فى الجاهلية ، والد
نيا ظلام ، والعقل وحش مقيد

انت حررته ، وانعمته نو
..را ، وفجرته كما انفجر السد

انت اهديته الضمير .. ومن دو..
ن ضميركم عات قبل وأفسد

انت الهمته العدالة فى الحـ
ـكم .. وصدق اللسان ساعة يشهد

انت آنسته وآنسته من
بعد خوف ، فاعتز بالله واعتد

فسرى فى كيانه القبلى الـ
ـحب ، مثل نبع مبرد

هكذا خاتم الرسالات أحيى
امة كان موتها قد تأكد

فلنعد للنبع الاصل لنروى
غرس آمالنا على شاطىء الغد

ولنسر فى طريق وحدتنا الكبـ
ـرى ، يدا فى يد ، برأى موحد

بدأ العد معلنا ساعة الصفـ
ـر ، وهذا الصاروخ أرغى وأرعد

وانتهى جزر هذه الامة العظـ
ـمى ، ورن النداء ، وابتدأ المد

+ × +

لم تزل قمة يتوجها المجد !
أمة آمنت بدين محمد !



بمولد المصطفى قد أشرق الأفق

للشاعر الأستاذ محمد بن محمد العلمي

بمولد المصطفى قد اشرق الافق ،
وفاح في كل قلب عطره العبق

من بعد ما عاشت الاكوان في غسق
لقد تجلى على وجدانها الفلق

فيه تجمع من نبل ومن شرف
ما كان في عنصر الانسان يفترق

فليس في باقة الاعياد أفضل من
عيد النبي ، ففيه الفضل يستبق

وليس في الحسن ارقى من محاسنه ،
فكل حسن على المحبوب ينطبق

ما صور الفكر أبهى من شمائله ،
فبسمة المجتبى يزهو بها الشفق

للخلق يفتح ابواب الرجاء ، فما
نرى مصاريع باب الله تنغلق

يسقي كواثره صفوا لشاربها ،
فليس في وردها التكدير والرنق

عز الشفاعة لولاه لما غفرت
منا العثار ، واهل الذنب ما عتقوا

فالروح في جنة الفردوس شادية ،
وعمقها برحيق العشق يصطفق

وفي الملائك عرس بالنبي ، وقد
زفوا الى الناس بشراهم بما رزقوا

وخاتم الرسل تعزيز لما بعثوا
به الى الخلق : منه النور ينبثق

(*) القصيدة الفائزة بالجائزة الثالثة في مسابقة الشعر التى نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة عيد المولد وعيد العرش .

به لقد آمنوا من قبل ما برزوا
الى الوجود ، وللحسنى قد اعتنقوا

من نقطة الحق قد دارت اشعتهم ،
ومركز السر منه البعث ينطلق

ان الشموس مع الاقمار قد سجدت
لطلعة عندها التوحيد يأتلق

من قبل آدم قد فاز الوجود به ،
فعز وجدانه والمنطق الذلق

والنور كل ، فلا تقسيم يلحقه ،
والاصل بالاصل فى معناه يلتحق

ويثرب الروضة الغناء فيها حلا
للعين والقلب ايناس ومرتفق

والشوق للحضرة الكبرى هنالك قد
زادت به حرق فى اثرها حرق

نفسي فداء حبيب الله اشرف من
من اجله الناس قد كانوا ، وقد خلقوا

فدولة الكفر والاوثان صاغرة ،
والجهل لم يؤوه قبر ولا نفق

لا دين قطعا سوى الاسلام ننهجه ،
فهو الطريق الذي قادت له الطرق

فالحق باد ، جميل الوجه ، منتصرا
بالرغم ممن تناسوه ، ومن نعقوا

والعبد اقرب للمولى بفطرته ،
والاستقامة فيها الطبع متفق

ومن يركز على القرآن عصمته
نال الامان ، فلا رعب ولا قلق

فالكنز فيه ثمين لا نفاد له ،
وهو الضمانة ، لا بؤس ولا ملق

والسر فيه لأهل السر قاطبة
من هم بآياته الفصحى لقد نطقوا

سل نخبة من ذوى الالباب عن نسق
فيه تجلى ، فلم يسبق له نسق

امست تحببه للخلق روعته ،
ان يعشقوه ، فما احلى الذى عشقوا !

والفرق باد اذا قيس الأصيل بما
جاءت به من طواغيتها الفرق

كم حاولوا أن ينالوا من مناعته ،
لكنهم بشهاب الحق قد صعقوا

ان الاباحية الرعناء سادرة
فى غيها ، وبها الأهواء تنزلق

دعى من الأشقياء الشعب من وفدوا
من كل صقع ، وما دسوا ، وما اختلقوا

ماذا أتونا به من فتنة عظمت ؟ !
فالجنس ميزتهم ، والطيش والنزق

ياليتهم ادركوا سر الوجود ، ففي
تكوينه مضغة قد سبح العلق

هل ينظرون الى الارض الموات وقد —
عادت رياضا ، وفيها الحب ينفلق ؟

لقد نسوا الله فى سر وفى علن ،
وما تناهوا ، فهم عن أمره فسقوا

هم الشياطين أشباه القرود ، لهم
هانت طباع غدت للمسخ تسترق

ضاع الحياء ، فلا هم فى تفاهتهم
يستعبرون ، ولا ينتابهم عرق

قد جاوزوا شهوة الانعام ، همهمو
من الحياة الهوى واللحم والمرق

ففي الفراغ اضاعوا اليوم أنفسهم ،
واغرقوا ضعفاء الروح اذ غرقوا

يا ويح من جهلوا دين السلام ولم
يجذبهمو للهدى تهذيبه اللبق

ان العمى ليس فى الابصار .. ان عميت
بصيرة ، فالهوى تعنو له العنق

تفنى القرون ، وللاسلام جدته ،
والغى فى لهب الايمان يحترق

فهو الأمان بعصر لا قرار له ،
من يعتمده فلا خوف ولا فرق

والاعتدال شعار الدين نسلكه ،
والكفر فى رجسه الانفاس تختنق

وفى الحنيفية السمحاء حجتنا
فى العالمين فلا بأس ولا رهق

ونحن فى الوحدة العظمى بهمتنا
على العداة سيوف الله تمتشق

من المحيط الى اقصى الخليج بنا
صهيون فى سقر يفنى وينسحق

نزيد فوق الذى كنا ، ونصعد فى
أوج المعالى ، وبالامجاد نلتحق

والنصر للحسن الثاني وهمته ،
معبد صحرائنا ، والشمل متسق

قد ادهش الكون طرا بالقريحة فى
مسعاه ، وهو اللبيب الماهر الحذق

شتان ما بين يحمي السلام ومن
سلوكه الحقد والبغضاء والحنق

توحيد تربتنا زلزال جارتنا
من اعتراها العمى والسخط والحمق

والحق قد جندل « الوالي » وصاحبه
ورهطه : تلك اشلاء لهم مزق

وانما فرحة « نواقشوط » فرحتنا
بالفوز والنصر ٠٠ فالاعداء قد محقوا !

والقائد الحسن الثاني بأمته
امسى يباهي ، وقلب المعتدي غسق

من جده المصطفى صحت مناقبه ،
وراقنا جانباه : الخلق والخلق

امست كراماته فى الكون شاهدة
أن المسيرات للتوحيد منطلق

للبعث نظم أوراشا وتعبئة ،
فالناس بالعلم والتصنيع قد سبقوا

وفى مسيرته الخضراء ملحمة
قد بددت حلم من ضلوا ومن زهقوا

به العروبة والاسلام قد هتفا ؛
والعز توج بالامجاد من صدقوا

فلو سألت قلوب الشعب قاطبة
فالحب للعرش فيها النبض والرمق

كالذات للظل ، والانسان في بصر
عشق المليك بروح الشعب ملتصق

ملوكنا الشرفاء الغر كم عملوا
من اجلنا ، فهمو للفتق قد رتقوا

شموسهم من رسول الله ساطعة ،
ونورهم في سماء المجد مؤتلق

مارامهم احد بالسوء من حسد
الا وامسى بجند الله ينمزق

و (الخامس) الحر لا ننسى مواقفه
فالشمس قد خجلت مذ ضمه الأفق

يماني الفؤاد احاسيس الهوى فنرى
من الروائع ما يزهو به الورق

والشعب جدد الاستقلال حلته ،
اذ لم يلائمه ثوب ضيق خلق

طبع الرعية اخلاص لاهلها
دوما ، فلم يك منها المارق المذق

ابطالنا الغر قد صانوا العهود ، فما
باعوا ضمائرهم تطعا ولو شنقوا

اذ لا ننام على ضيم ، فهمتنا
فوق الثريا ، براها السهد والأرق

ان يدعنا (الحسن) المغوار قائدنا
قمنا سراعا كأنا في الوغى رشق

صان الاله مليكي في مهابته ،
فأجمع الناس بالمحبوب قد وثقوا

حماه عفو وغفران ومرحمة ،
وعطر (بات سعاد) عنده نشق

(خطري) وبيعته ذكرى يخلدها
سلهامه والضمير الابيض اليقق

وليس ثمة امن للدخيل ، فقد
تخاذل اليوم ماجور ومرتزق

وليبق فينا (ولي العهد) لؤلؤة
في عقد امتنا تسمو وتأتلق

انعم به برعما في روض والده
يزكو ، وفي عرقه الخيرات تندفق

عيد أكبر .. وعيد أزهر

للشاعر الأستاذ محمد البوعنانى

حمدت الله واخترت اليقينا ... وغنيت انتصار المسلمينا
واطلعت الكواكب من فؤادى ... وذوبت المآقى والجفونا
وبالقرآن توجت انتمائى ... وعطرت امتنان الاولينا
ولونت التحايا والتهانى ... وفجرى ، والندى ، والياسمينا
وعزرت النوافل بالقوافى ... فلا ترتاح عين الساهرينا
الى أن يملأ الآفاق نور ... تدفق من رسول العالمينا

محمد يا محبة كل جيل ... ويا شمس الهدى والمهتدينا
بذكرى يوم مولدك استنارت ... ولائمنا ، وغنى الذاكرونا
وسبح كل حى ، واستدارت ... يدانا كى تعانق أكرمينا
وأنت الحق أرسله الهى ... وتوجه أمير المرسلينا
وقلده الامانة فارتضاها ... وأداها لنا ... دنيا ودينا
وزود فعله فوزا ونصرا ... والهم سيره فتحا مبينا
وتمم بدره فى يوم بدر ... ينير شهادة المستبشرينا
وأعلى صوته يحمى المثانى ... وينفى الشك عنها والظنونا

فهز بيانه ايوان كسرى ... وروما واستقام على أثينا
وأكد في مساواة البرايا ... مراعاة احترام الآخرينا
نبي الله ، وجهك ما توارى ... وسبطك قائم بالحق فينا
ونحن لأهل بيتك أوفياء ... وما زلنا بهم متمسكينا
نطيعهم ببيعتنا دواما ... وداموا في تواضعهم ذوينا
وبالحسن المثنى نحن أولى ... وأقوى ، لن نهون ولن نخونا

مليكي – والمعالي لا تنادي ... سواك ، وكنت ساعدها المتينا
ونحن وراك لا ننسى الاعادي ... ولا نخشى ، لقينا ما لقينا
وفي الجولان كنا قلب جيش ... وكنا الصامدين بقلب سينا
نذود عن العروبة في تفان ... نموت فداءها نحمي العرينا
وللاسلام نفتح كل باب ... ونقضي ما يعين المصلحينا
وبالتجديد باريت الاماني ... وباركت استناد الاقدمينا
لعقبة في مساجدنا امتداد ... وقد صنت امتداد الفاتحينا
حجابك آية الكرسي وطه ... وأنت حجاب كل المبدعينا
افقت منابر الاسلام تدعو ... لوحدة أمنيات المسلمينا
وكنت ترى الدخيل بلا قناع ... يساومنا ... ويخفي ما يرينا
ترى الاطفال باقة اغنيات ... واسرائيل تلقمهم أنينا
وبيت القدس غار يرتجي ان ... نعيد له العرائس والبنينا
وفيك الله أودعه نداء ... سيصبح من أغاني اللاجئينا

مسيرتنا تحدت كل حرب ... وتهديد ، وحقد الحاسدينا
فكل يد ، بمصحفها سلاح ... وكل فم يرتله امينا
وفي صحرائنا صلت جموع ... تعزز بالملائك اجمعينا
غبار نجومنا لمس الفيافي ... فعرى كنزها الغالي الدفينا
على كثبانها ينساب ماء ... بحول الله يكسو الرمل طينا
تحول فوق خديها سمادا ... وشع بهديها قطرا هتونا
فأينع أقحوانا في الروابي ... واخضر في صلافيها غصونا
وأعشاش البلابل في ضحاها ... تفيق نخيلها والزيز فونا

كـان فراخها غمرات حب — تدير على قوافلنا حنينا

يـداعبها الغدير بضفتيه — كأجنحة تضم الشاربينا

لتحنو السنبلات حنو أم — يقبل زرعها عنبا وتينا

وبين خطاك تخضر الصحارى — وتغرى بالمقام الراحلينا

تألقت السنون وأنت فيها — خلود ، لا تحرفه السنونا

براعمه تعطر كل بيت — تعرس في انتظار العاشقينا

فلا فترت تباريح الدوالى — تذيع على موائدنا لحونا

وما رحل الربيع وكان يهفو — ليبقى عند أطلسنا سجينا

وفي الأزمات والاعصار مهما — تعالى الموج عدنا سابحينا

ولا نرضى محاباة البقايا — وبالأولى وبالاسمى رضينا

وبالحسنى نواجه كل بغى — وما ذعنا بانا محسنونا

لان المسلم الطعان فينا — ـ ولو أدمت خطاياه ـ اخونا

ولكن ، حينما يسطو ويطغى — فان الله يأبى أن نهونا

وكنا القلب يوم نأت قلوب — عن المغزى ، وكنا الخافقينا

كما كنا عيونا للدياجى — وكل عيوننا تفدى (العيونا)

ونقبل أن نجرب مستحيلا — يقلدنا انتظار اللاحقينا

ولا حقد يقاسمنا الليالى — ولا عار يشاطرنا الجنينا

وان لنا سماوات وفيها — نجوم لا يراها الناظرونا

نجوم في سواحلنا عذارى — تغازل عند مسراها فتونا

لتبرزنا المواسم كل عام — كراما ، مقبلين ومعرضينا

حفيد المصطفى ـ كرمت شعرى — بمولده ، فكرمت الفنونا

فعيد اكبر للسابقينا — وعيد ازهر للمقتدينا

وما العيدان يجتمعان الا — لنشرى شاء ربى ان تكونا

نجدد بيعة وجبت علينا — وما اخترنا سواها طائعينا

ولم نرقص غرورا اذ رأينا — ملوك العالمين يبايعونا

وفيك تبلورت فكر ورؤيا — وأحلام الرجال الراشدينا

فللفلاح فجرت السواقى — وللعمال أعليت الجبينا

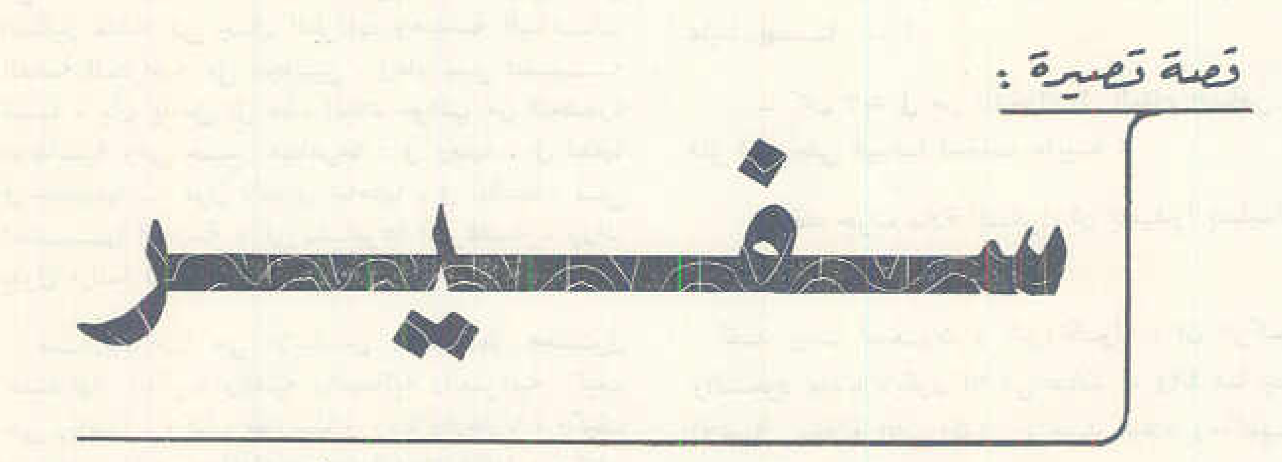
وأطلعت السدود قباب عز — لاجيال ستقطف ما روينا

واوليت السياحة مغريات ... وشيدت المنابر والسفينا
وعممت المدارس فى البوادى ... وللطلاب كنت ابا حنونا
وكونت الاطارات اللواتى ... سترفع شأننا فى الناس حينا
وملحمة الصناعة سطرتها ... أياد لن تقصر أو تلينا
رعاك الله يا أيمان جيل ... و أجيال معباة تلينا
ويحفظ فى ولى العهد عهدا ... قويا ، ولا يرى مستضعفينا
ويبقى الاطلس العالى اميرا ... على الدنيا تعمم بالسنينا
أمير المؤمنين ، وكل عام ... بخير — يا امير المؤمنينا

محمد البوعناني

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، اخبرنى بعمل يدخلني الجنة ويباعدنى عن النار . قال « لقد سألت عن عظيم ، وانه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » . ثم قال « الا ادلك على ابواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل » . ثم تلا « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » حتى بلغ « يعملون » . ثم قال « الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه ؟ » قلت : بلى يارسول الله . قال : « رأس الامر الاسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد » ثم قال « الا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » قلت : بلى يارسول الله فأخذ بلسانه وقال « كف عليك هذا » قلت يانبى الله ، وانا لمواخذون بما نتكلم به ، فقال ثكلتك امك ، وهل وهل يكب الناس فى النار على وجوههم — او قال على مناخرهم — الا حصائد السنتهم ؟ » .

قصة قصيرة :



للأستاذ محمد بن أحمد اشماعو

استيقظ السفير الاندلسي ببلاد الدانمارك مبكرا ، وازاح الستائر عن الشرفات الكبرى بنفسه ، ومن خلال زجاجها الصقيل أطل على المروج الفسيحة ، التى لاحد لاتساعها ، والتى تشقها جداول مياه صافية ، لو لم يكن هناك سحاب للمعت تحت أشعة الشمس ، وتتخللها زهور مختلفة الالوان والاشكال . وللحين سرت فى نفسه مشاعر رقيقة وأحاسيس ممتعة ، ابتهاجا بهذه المناظر ، وعقد العزم مع نفسه بانه اذا تم التعارف مع هؤلاء القوم لينزلن كل يوم ، صباحا وضحى وزوالا ومساء وليلا للتمتع بهذا الجمال الطبيعى الفاتن . وتعجب من أن بلاد الاندلس ودعت الربيع منذ اسابيع عدة بينما القوم هنا ما زالو متمتعين بمناظره الخلابة ومحاسنه المتجلية فى كل مكان .

وانقلب الى ناحية أخرى من حيث تنظف على أحسن حال ، وتعطر بعطور خاصة ، ثم سلم رأسه ولحيته لحلاقه الخاص ، يعتنى بهما ويزينهما كما ينبغى ... وجاءته العريفة بعد بملابسه الفاخرة التى استصنعها من قبل ، وخصصها لمقابلة الملوك والخلفاء وسراة القوم الاعلين . ان الجميع فى انتظاره ، فهذا يوم مقابلة أمبراطور الدانمارك)هوريك(ودخول حضرته السامية . وأقوام الروم والافرنج والجرمان ذوو فخامة فى مجالسهم وقاعات عروشهم ، فلا بد اذا من اظهار فخامة الحضرة الامية ، وبهاء الحضارة الاندلسية وفضائلها ومزاياها فى هذا اللقاء بالمواقف والتصرفات والافعال والاقوال .

وهكذا ، عند ارتفاع شمس الضحى جاءت العربة الامراطورية الفخمة ، تجرها الخيول المطهمة الثمانية ، يدل خارجها الرائع الفخم على ما فى داخلها الباذخ النفيس . وبعد عنيهة خرج السفير بتؤدة ، تتقدمه هيئة التشريفات الرسمية ، وتماشيه كوكبة الشرف التى أرسلها جلالة الامبراطور .

ورغم ما يظهر على السفير من هدوء ورصانة فان فكره كان مشغولا ، كما أن عينيه كانتا تتفحصان الاشياء جيدا ، وتربطها بالظروف والاحوال . لقد عرف أن بلاد الدانمارك تربط جنوبا بعدة أقطار ، من جهة الجنوب ، بلاد الجرمان ، وما يليها من بلاد الفرنج والقشتاليين ، وذكر له أن المجوس قديما حملوا الى هذه البلاد ديانتهم ، وما يصحب هذه الديانة من فلسفات وأوهام وأحلام واساليب حضارة ... ثم جاءت النصرانية تتعقب هذه الديانة الضالة وتحتل مراكزها

ملاحظة : رجح الاستاذ البحاثة محمد عبد الله عنان أن هذه السفارة كانت لبلاد الدانمارك ، وحولها تدور هذه الاقصوصة .

على هذا ، فتيارات الحضارة تضطرب هنا .. وتوقف عن التفكير متأملا فى جمال الطرقات وهندسة البنايـات الفخمة المتراصة على الجانبين . وعاد يسر لنفسـه قسما ، بأن يدخل الى هذه البلاد جوانب من الحضارة الاندلسية وفى جميع مظاهرها : فى رقتها ، فى لطفها فى جاذبيتها ... فوق ذلك فى نباهتها ، فى فطنتها ، فـى احاسيسها الرقيقة ، فى مشاعرها المرهفـة ، وزاد يقول ، انما لنفسه فقط .

سـاريهم مـا هى الاندلـس ، مـا هو مستـوى حضارتها الفكرية والفنية والجمالية والعمرانية كيف هى رياضنا ، وكيف مغارسنا وورودنا وأزهارنا ، وكيف هى قصورنا وحجراتها وحماماتها ومنتزهاتها ، وكيف ملابسنا وجواهرنا وحلينا وتحفنا ... لابد ان آتيهم بنماذج من كل ذلك ، لابين لهم حجرات اندلسيـة وحمامات أندلسية ... المهم هو ابراز الطابع وابراز مجال للمقابلة ، والمقارنة ، ليرى هؤلاء القوم مـاذا يمكن أن تبدعه المخيلات الاندلسية الواسعة وما تصنعه الايدى الاندلسية الحاذقـة ؟

وعاد يفكر جديا فى مشكلة طارئة :

واخبره ان (البروطوكول) تقتضي الركوع والسجود المكلف بتنظيم كيفية الدخول على جلالة الامبراطور ، وأخبره ان) البروطوتكول (تقتضى الركوع والسجود بين يدى الامبراطور) هوريك (، ولكنه أخبـره أن الركوع والسجود يعتبر عبادة فى الديانة الاسلامية ، من حيث أن الركوع والسجود لايكون الا لله سبحانه وقال لهم ، تكفى انحناءة التقدير كما هو الحـال بالاندلـس !

دخل القصر ، وعند الوصول الى باب القاعة الكبرى التي يجلس فيها الامبراطور ، وجدهم قد وضعوا عارضة تمنعه من الدخول واقفا . . فوجىء السفير ، ولكنه لم يستسلم للمفاجاة ، اذ جلس فورا على الارض ، واخذ يدخل زاحفا ، ماذا قدمية نحو الامام ، ولما تجاوز الحاجز وقف ، وسار نحو مجلس الامبراطور بكـل احترام ووقار ، والبسمة مطبوعة على شفتيه ، وباسطا راحتيه مقدما رسالة الامير ، سيد قرطبة وخليفة الاندلس الزاهـرة .

قال الامبراطور للسفير ، بواسطة الترجمان ، وعلى وجهه ينطبع الاستياء :

ـ مالك والدخول علينا بهذه الكيفية التى دخلت علينا بهـا ... ؟

ـ كان لابد لى من الدخول الى المقام السامى ، فلو أن رجلى قيدتـا لدخلت حابيـا !

ـ لقد جرت عادة السفراء ان يتقيدوا بتعليمات أصحاب (البروتكول) ..

لقـد بينت لمبعوث (البروتكـول) ان الركـوع والسجود عندنا لايكون الا فى عبادة ، وأنا هنا جئت للاتصال بجلالة الامبراطور ، سيد البلاد وحاكمهـا السعيد ، لا للدخول فى معبـد .

وسكت الامبراطور ، وأخذ يتطلع الى مبعـوث خليفة الاندلس ، فرآه حسن الهندام ، بهى الطلعة فواح العطر ، جميل الهندام .. بالاضافة الى أنه ثابـت الفؤاد عزيز النفـس

تضايق السفير (يحيى الغزال) بنظـرات الامبراطور الفاحصة ، فانشغل عنهـا بأن أوما الى الخدم أن يتقدموا بالهدايا التى يحملونها ، وتناولهـا السفير واحدة واحدة ، وأخذ يقدمها له شارحا مزاياها وقيمتهـا .

خف قليلا إستيـاء الامبراطـور ، ومـع ذلـك التفت نحو الوزير الواقف بجانبـه وقال له :

لقد أردنا أن نطاطىء رأسه لجلالتنا ، فكان أن واجهنا بنعله .. على كل حال يقتضى الموقـف أن نؤجل هذا المشكل الى حيـن ...

أجاب الوزيـر :

ـ كما ترى ياصاحب الجلالة .

وعندئذ التفت الامبراطور الى السفير وقال :

ـ كيف هى الاندلس ؟ أما تزال غاضبة علينا ؟

ـ ما دام المهاجم قد برهن عن الشجاعة ومقـدرة ، وما دام الرد على الهجوم قد كان على مستوى الشجاعة والاقدام فلا محل للغضب !

ـ لقد كان السبب فيما وقع أن الاخبار جاءتنا تقول، بانكم تعتدون على النصارى المعاهدين المساكين ، فكان من الضروري ان تذهب بسفننا الى أرضكم لكف اذايتكم عن المظلومين .

ـ هجوم سفنكم وجنودكم على بعض مدننا مثل قادس واشبيلية وغيرهما كان عنيفا ، قد نسمي هذا اعتداء بحق ، ولكنه نتيجة لاخبار كاذبة .

ـ أخبار كاذبة ؟

ـ اخبار كاذبة ياصاحب الجلالة الامبراطور لان هؤلاء النصارى المعاهدين هم أصحاب مناصب سامية في الدولة ، واصحاب تجارة ممتازة ، واصحاب دور ومساكن ورياض رائعة ، تفوق بكثير ما يسكنه بعض المواطنين الاخرين .

ـ قيل لنا انهم يعملون مقيدين في الحديد.

ـ لا يقيد بالحديد ويوضع في السجن الا من ارتكب جرما ، سواء أكان مسلما او نصرانيا او مجوسيا او يهوديا ، ما عدا اذا كان صاحب الجلالة الامبراطور يرى ان يعاقب البعض دون البعض.

ـ لا ، المجرم يعاقب كيفما كان اصله ودينه ... ماذا فعلتم باسرانا ؟

ـ قبل ان اجيبكم على سؤالكم اسمحوا ان أسألكم عن أسرانا ايضا ، فما جئت الا من اجل هذا الغرض، انكم ان وافقتم فستحمل أول سفينة تخرج من الاندلس كل أسراكم الى ديارهم ، اذا ، ما عليكم الا أن تفتحوا مذاكرة في الموضوع .

ـ نحن لا غرض لنا في أسرى أمم اخرى من الافضل ان يعودوا الى بلدهم وأهلهم .

ـ ونحن كذلك ، واني أشكر جلالتكم على هذه البادرة نحو التفاهم .

ـ مهلا ، اني أفضل الاحتفاظ ببعض الفتيان والفتيات الموجودين بهذا القصر ، لقد اختبرناهم فكانوا على مستوى جيد من الحذق والمهارة .

ـ متى تحرروا من الاسر ، وأصبحوا أسياد انفسهم فعندئذ نعرض عليهم الامر ، بواسطة سفير بلادهم ، ومتى قبلوا البقاء ، فيحسن ان يكون ذلك بواسطة اتفاقيات خاصة !

ـ بالمناسبة نحن ايضا نريد ان نستضيف بعض أسراكم بعد تحريرهم ، لانهم على مستوى طيب من الخبرة الحربية ، والقتال البحرى .

ـ اتفاق باتفاق على ما يظهر !

ـ نعم يا مولاي .

وتطلع السفير الحاذق الى الامبراطور (هوريك) فوجده كهلا ضخم البطن ، عريض الاكتاف ، يعلوه شحوب ، ويثقل عينيه انتفاخ ، لعله من اثر الادمان على الشراب ، وكان الشعر الذى يعلوه تاج مرصع في لون (الكامون) مشوب بقليل من الشيب . أما الملابس فهى بطبيعة الحال فاخرة لا تقدر بثمن وتقف عند الركبة، من حيث تنكسى الرجلان بجوارب من المخمل الابيض ، ويغطى القدمين ما يشبه الخف من الصوف الممتاز الجيد الصنعة ، واليدان من جهتهما منتفختان من السمنة وترصعها جميعا خواتم، ذات فصوص نادرة ، والابتسامة التى تكون جميلة وعذبة حتى عند ذوو الوجوه الصارمة ، يخيل للسفير انها منطفئة عند الامير ، ولا يدري احد كيف يعبر عن سروره ويظهر ان الابتهاج مهما تفاوتت درجاته فانها يعتمل في صدره فقط ، ولا يكون له أي مظهر خارجي .

وكتعبير من الامبراطور عن تقديره واعجابه بالسفير وحذاقته ولباقته قام له عند الوداع، وطلب منه ان ياتى في المساء ليتناول معه طعام العشاء ، وليتسامر منه . وفعلا لبى السفير الاندلسي هذه الرغبة ، وجاء في لباس آخر ابيض ، بعدما تنظف مرة اخرى وتطيب ، ورجل شعره السبط الاسود المرصع بالخيوط الفضية اللامعة ، ومنحته القيلولة، التى ارتاح فيها بعد الغذاء الشهى ، راحة في النفس، واعتدالا في المزاج وسماحة في الوجه ، وصفاء تاما في العينين ، مما يجعله يشعر شعور المستيقظ لتوه لصباح جديد .

ولم يتخل عن حذقه وخبرته عند العودة، فقد اخذ معه بعض الطرائف والمقتنيات ، ووضعها باعتناء، وتانق في صناديقها العاجية او الزجاجية او الخشبية المزخرفة، وكلها من النوع الذى يثير الاعجاب وياخذ بالالباب ، اعجاب واهتمام صاحبة الجلالة الامبراطورة على الخصوص .

وصل الى باب القصر العظيم ، فأخذوه الى الداخل باجلال وتعظيم ، حتى قاعة خاصة ، مارا بروض بهيج ، منسق على غير الطريقة التي تنسق بها الرياض الاندلسية ، وكانت الارض مفروشة بالحصباء النظيفة ، ذات الالوان المختلفة ، وفي الممرات عن اليمين والشمال كانت تماثيل بديعة لنساء قائمات و قاعدات او منحنيات ، وكلها بالغة الروعة في صنعتها ، كما كانت هناك نافورات يعلو ماؤها المنبجس نحو الفضاء ، فيرغم الابصار على تتبع علوه الى النهاية .

استقبله الحاجب الخاص للامبراطور وأخذه الى المجلس الفخم الرائع المدهش : المفروشات ثمينة جدا ونادرة ، جلها من الحرير والصوف ذوو الالوان الزاهية ، والستائر المسدلة هي ايضا من الحرير الملون المعجب الجذاب . المكان فسيح جدا، تتوسطه عدة اساطين من المرمر ، رؤوسها من النحاس الاصفر المطعم بالذهب ، من حيث ينعكس عليها أنوار المصابيح العديدة المتدلية ، وكل ذلك يضفي على المكان بهاء وجلالا .

والابهى والاجمل من ذلك كله هو مجلس الامير ، لقد كان مستويا على اريكة واطئة فاخرة ، حواشيها من الذهب ، ومتكؤها ومقعدها من القطيفة الحمراء القانية ، وتحت الخدمين وسادة حريرية ، اندست فيها الرجلان ، ومن حول الامبراطور اريكتان ، لا تقلان كثيرا عن فخامة الاريكة الامبراطارية ، احداهما أجلسه عليها الامبراطور بنفسه ، بعد الترحيب الجزيل ، وبمجرد جلوسه صفق بكفيه الاثنتين فجاء الحشم بمائدة فاخرة عامرة ، فلكأنها نزلت من السماء ، بها قنينات متنوعة من الخمور المعتقة أصل بعضها من شمال الاندلس ، وأصل بعضها الآخر من جنوب بلاد الافرنج او من شمال انكلترا . وبجوار هذه القنينات صحائف فضية ، كلها عامرة بأنواع من الفواكه ، فواكه ضخمة ناضرة طرية ، ومعها صحون ذهبية صغيرة مليئة بأنواع غريبة من النقل والملحات.

قال الامبراطور عن طريق الترجمان :

ـ انى اجدد ترحيبى بسفير مولاى الخليفة، فهات حدثنا عن بلادكم الاندلس ؟ كيف هى ؟

وكأنما فتح الامبراطور لمياه ثرة صافية ، اذ اخذ السفير يسرد ، وكان في سرد هذا عارفا بما عليه ان يقول او يترك ، وكان هذا الذى يقوله دقيقا شاملا وجذابا ، بما يضفي عليه من اللمحات الذكية والنوادر العجيبة ، وكأنما شعر بان الترجمان ليس فى مستوى هذه المهمة الفنية الدقيقة فطلب أن يأتوه بترجمانة بارعة ، زارته فى مقره عند وصوله .

وبكل ما تملك الفتاة من عزة قومية وفخار وطني أخذت تترجم ما يقال لها ، مضيفة على الترجمة من ذاتها وروحها وعواطفها الفياضة . وفجأة انحبس الكلام فى فم السفير !

لقد طلعت على المجلس جلالة الملكة (نود) طلعت كما تطلع شمس الصباح مشرقة بهية آخذة بالابصار ومجامع القلوب : قوام فاره ، معتدل ممشوق وبشرة بيضاء زاهرة ، مشربة باللون الوردى ، ووجه مستدير فتان ، حواجبه رقيقة فى لون شعر الراس الاشهل ، وعيون متسعة خضراء، وخدود ناعمة عامرة، وانف دقيق جميل ، وثغر بديع ثنيتاه متراكبتان قليلا ، وهما كباقى الاسنان فى بياض مشرق ، كلما افترت الشفتان عنهما .. واذا كان هذا الوجه وذاك القوام هما للذان شدا بصر السفير فى ذلك الدخول المباغت ، فان هناك محاسن أخرى سيكتشفها الرجل النبيه كلما جالسته وحادثته ، خصوصا وأنها كما ذكر له تتقن اللغة البيزنطية التى يعرفها :
الفضولى الى الاميرة الجميلة ، ولكنه ذاب من خجل السفير من نفسه وهو يتطلع هذا التطلع الدهشة حين خاطبه الامبراطور :

ـ كيف وجدت زوجتى صاحبة الجلالة ؟ انها حسناء بارعة الحسن ـ كما ترى ـ وفتانة وتخلب العقول ، وانى لأعرف من خصالها ومفاتنها ما يعجبك ويدهشك اذا ما عرفته .

ـ اهنىء صاحب الجلالة بهذه الدرة النادرة والحورية الفريدة فى الدنيا . ان حسنها لو وزع على غيد العالم لكفى كل غادة منهن النصيب الذى ينوبها. والتفت الى صاحبة الجلالة وترجم لها بالبيزنطية ما قاله بالعربية للترجمانة :

أطلقت الملكة أغرودة ـ لا ضحكة ـ من فمها اعجابا وتيها بهذا المدح النادر ، الذي لم تسمع مثله فى حياتها، ومدتها كفا رخصة ، لا ابدع منها ولا اروع، فلم يسعه الا ان يتناولها بكفيه الاثنتين ويضعهما

تحت شفتيه ، في التعظيم ، كما جرت العادة عند القوم !

ومن هنا ، توجهت الى الاريكة الفارغة المخصصة لها واستوت جالسة ، وتولت القهرمانة تسوية ملابسها ومعالجة وضعية حليها ، ثم انسحبت ، واستاذنت الترجمانة بالانصراف ، فالملكة اصبح في امكانها ، أن تفهم عن الزائر باللغة البيزنطية ، وأن تنقل الحديث باللغة الوطنية الى صاحب الجلالة الامبراطور وبالعكس .

انكب الامير على قنيناته متذوقا من هذه وتلك ، بينما اكتفى الزائر بتناول من هذه الفاكهة او تلك ، كلما قطعت الاميرة الحديث وأتحفته بشيء من ذلك. وتفطن السفير - دون ان يقول - الى ان الفاكهة رغم ضخامتها ونضجها ليست في مستوى حلاوة فاكهة الاندلس ، البالغة الحد في لذتها وحلاوتها . . ان في الامر لسرا ، وتشاغل عن التعمق في المسالة بقضم خوخة أمدته بها الاميرة بعد تقشيرها بأناقة ، واغتنمتها فرصة فتطلعت الى السفير الجديد :

كان رجلا تا مالرجولة ، يصطبغ محياه بملاحة من جراء تلويحات حرارة الشمس في الاندلس واشعاعها، وتحيط به لحية سوداء ، موخوطة بالقليل من الشيب، وان كان الشيب في الفودين أظهر وأكثر ، والعينان سوداوان اشبه ما تكونان بعيني ظبي فتي ، ولو ان الرجل في سن الكهولة العالية ، ولفت نظرها ان اصابع هذا الرجل مسبوكة ورشيقة ، فهل هناك من رابطة بين القوم وأصابع اليد ؟ وخيل اليها انها اصابع حامل قلم ، شاعر او ناثر ، أو مبدعهما معا. ولذلك سالته :

- يدك نظيفة ، وأصابعك رشيقة ، بما تشغل نفسك وقت الفراغ ؟

- اشغل نفسي - يامولاتي - بمجالسة الحسان ، وقول الشعر الرقيق فيهن ، كلما هاجت النفس وتاق القلب ..

- النساء يلهمنك الشعر على ما فهمت ، فهل تلهمهن انت بدورك ؟

- النساء عادة لا يقلن شيئا عن مشاعرهن ، لا بالكتابة ولا بالحديث الا القليلات ، وأنا شخصيا لا احرجهن بالسؤال، يكفيني ما تحدثني به العيون .

- ماذا تقول لك العيون ؟

- ماذا تقوله العيون لا يمكن التعبير عنه باللسان، انما يعمل عمله في الداخل ، وأين لنا الوصول الى الداخل ؟

- سحرتني ايها الشاعر الغزال !

- أهني، نفسي .. أهنئها بحرارة .

لم يسال الامبراطور عما يروج بينهما ، فلقد كان في انسجام مع الكؤوس ، يأخذ الواحدة بعد الاخرى، وكان له صمود عجيب امام طغيان النشوة . بينما اكتفت الاميرة من هذه الكؤوس بواحدة ، وهذه الواحدة فعلت فعلها ، فنور الخدود زاد اشتعالا ، والعيون شابتها شائبة من الاحمرار فتاعت روعتها ، وعندئذ اقبلت عليه بحديث لم يكن يتوقعه منها :

- ماهي المهمة التي كلفك بها أميرك المبجل ؟ خبرني، ان بيدى الحل والعقد بالقدر الذي لا تظنه.. أعرف أننا ارتكبنا في حقكم اذاية بالغة ، لقد هاجمناكم وقتلنا وخربنا، وأخذنا الاسارى والاسيرات، وهذا اعتداء ، لو استمع الامبراطور لرأيي ما وقع ولكنه خضع لافكار الكهان والعسكريين ، بعد ما جاء مبعوثون من شمال اسبانيا ، واشتكوا اليه سوء المعاملة التي يلقاها النصارى المعاهدون ببلادكم ، الشيء الذي تبين لي انه كذب وبهتان بعد مجيء الاسارى والاسيرات . صدقني انني اقدر شجاعتكم وخطة ردكم على الهجومات ، من حيث مددتم الحبل للمهاجمين حتى توغلوا ثم ضربتموهم الضربة الرادعة، هذا حقكم ، ولكن ثقوا ان هذا الاعتداء لن يتكرر ابدا ، خصوصا بعد مجيء سفير مثلكم، وقف المواقف العجيبة ، وحاور الحوار الذكي .. ان الامبراطور بقي طول الوقت يردد اجوبتكم ، وقد امر الكتاب الخبراء أن يسجلوا الحوار ، ويطلعوه عليه ، ليحفظ بعد ذلك في الخزانة الكبرى .

- لم يبق لي - يا مولاتي - ما اقول، انك تعرفين كل شيء ، وسبحان من جمع الحكمة والجمال في امرأة ! لقد تصرفت تصرف اميرة نبيلة حازمة ، ولا يفعل الجميل الا الجميل ! مولاتي العزيزة ، انني أستأذن في الرجوع الى دار الضيافة . قولي هذا لصاحب الجلالة .

ـ ولماذا أقول له ؟ لقد سرح مع أوهام وشياطين الخمرة ! اسمع ، أرجوك ان تعود غدا ، بل اريد ان تجيء كل يوم مساء ، من حيث نتسامر ونتكاشف حول النفس والناس ، أريد أن أعرفك بنفسي، وأن تعرفني بنفسك، أريد أن أقول الكثير عن هذا القصر، وعن أفراد الحاشية وعن عقلية قومي جميعا ، بالجملة، هناك أشياء كثيرة يمكن أن نملأ بها وقتنا ..

ود السفير، لو يقوم ويرتمي في أحضان هذه الفاتنة ، شاكرا حامدا ، منوها بهذا النجاح الذي حققه ولما يكتمل على لقائه بها وبالامبراطور يوم كامل ، حتى أنه لو انقلب الى (الخليفة) الماجد من يومه هذا لكانت سفارته ناجحة .. لكن من يا ترى يقدر ان يفارق هذا الجمال وهذا البهاء وهذه التحفة الأنثوية الرائعة ، انه لا يستطيع ذلك ، ولكنه لبراعته ودهائه ، ضغط على نفسه وقال :

ـ مولاتي لن آتي الا بعد ثلاثة أيام .. هناك أشغال مهمة تنتظرني ، على أن أعد مراسلة وافية لمولاي الخليفة ، وسأذكر له أنك يا مولاتي كنت السبب في نجاح مهمتي، وأنا لا أشك في انه سيبعث اليك بمزيد من الهدايا والتحف النادرة وعنده منها الكثير..

ـ المهم أنك ستغيب ثلاثة أيام وهذا كثير علي، اني أقول لك ما هو ثابت في قلبي .

ود السفير ان يرد على أقوالها بما يعتلج في قلبه الرهيف ، المشحون بالمشاعر، ولكنه فضل السكوت وكظم ما بالنفس ، انما ترك لاقوالها الثمينة منفذا لتتسرب الى الاعماق ، اعماق النفس ، ولو ان هذه النفس عانت من انواع الحسن وافانين البهاء ، أيام الفتوة والشباب ، وبواكر الكهولة .. واليوم تأتي هذه الحورية في سنين الكهولة العليا ، لتخز الجرح، وتضعضع الكيان ، وتزعج الجفون وتشرد الخيال... كان الله في العون .

وعاد فقال بلغة بيزنطية هامسا :

ـ مولاتي ، لقد طال الحديث بيننا ، وتحلت دلائل الموافقة والمؤانسة، وأخشى أن يغضب صاحب الجلالة الامبراطور ، وقد يؤدي الامر الى منعي من مقابلتك السعيدة مرة اخرى ..

ـ آه فهمت ! لقد حكت لي الوصيفات عن غيرتكم على النساء ، وعن غضبكم لو كشفت احداهن عن أصابعها لرجل آخر .. لا ، لا ، يايحيى ، هذا غير موجود عندنا ، كل امرأة تحدث من تشاء ، وتناجي من تشاء ، ولو ادى الامر الى ما ادى ... وعلى هذا ساقبلك قبلة حارة أمامه عند خروجك ، ولن يتحرك عنده ساكن ! وكذلك كان... مما جعل السفير يقع في حرج ويشعر بشيء من الانزعاج .

غاب يحيى ثلاثة أيام بالفعل ، وبالتمام والكمال ، وفي الليلة الرابعة جاءه مبعوث من الامبراطور (هوريك) والامبراطورة (نود) يدعوانه الليلة بالقصر الامبراطوري ، وأعلمه أنه سيكون بمصاحبته في الحال ، وكانت العربة الملكية في انتظاره، فاحتوته في رفعة واعتناء، وهو في جميل لباسه وأرتع حلله، وفواح عطره ، تقطر من جانبيه الطهارة ، ويتضوع المسك ويلمع السناء ...

كان في استقباله الاميرة نفسها ، ولاحظ اول ما لاحظ بعض التغير في محياها، انها ناقمة عليه غيابه عنها ثلاثة أيام كاملة ، بأنهرها ولياليها ، وأصباحها وأماسيها .. لم يكن في امكانها وهي الطيبة القلب ان تمضي في غضبها ، ولم يشعر الا وهي ترتمي في احضنه متلهفة !

وثار عجبه وهو يرى نفس التأثر واللهفة من الامير عندما قام بعد ذلك .

وأدهشهما ان عند هذا السفير الحاذق دائما احدى المفاجآت ، لقد جاء مصحوبا بطعام العشاء من مقر اقامة سكناه مطبوخا ومعدا على الطريقة الاندلسية.. وأقبل الامبراطور على الطعام اقبال رجل جائع ، لم يذق في حياته طعاما ، كما اقبلت الملكة بدورها غير مبالية بما تفرضه عليها رشاقتها من حمية واعتدال ، وصاحت معجبة :

ـ كم هذا لذيذ، ان حديثكم لذيذ، وطعامكم لذيذ، وشرابكم لذيذ ، لم يبق لي الا أن اتذوق شعركم ... ومن أجل هذا سأتعلم اللغة العربية ، لكم يعجبني الحديث بها فيما بينكم ... قل عل شعرك لذيذ مثل طعامك يايحيى ؟

ـ وحياة جمالك يا مولاتي ، ليس في ارض الاندلس شعر ألذ من شعري .

قال الامبراطور (موريك) :

ـ لقد دوختها يايحيى ، وذهبت بعقلها ، تصور أنه طيلة الثلاثة أيام التى غبت فيها عنا وهى لا تتحدث الا عنك ..

قال يحيى :

تقديرها نابع من تقديرك يا مولاى ، فلولا عطفك الشامل واعتناؤك الكبير لما قالت فى كل كلمه خير!

وعقب الامير :

ـ لقد فاوضتنى باسمك ، ووضعت الشروط الملائمة لك ، وحددت المبادرات التى علينا ان نقوم بها لمحو آثار الماضى ، وتدارست المواد التى يمكن أن نتبادلها ، لقد كانت فى صفكم على طول الخط.. سفير ، وأى سفير ! خذ نص الاتفاقية ، وأعط فيها وجهة نظرك !

ـ والله يا مولاى ، ما نجاحى الا من تجاوب أناس طيبين ساعدنى الحظ بمعاشرتهم ، والا كنت كمن يصيح فى بئر عميق مهجور . على كل حال ، فانكم ان عاشرتمونا فستعاشرون قوما يقدرون الشهامة والرجولة ، وبهم استعداد لتبادل خبرات الحضارة... انه بفضل تعاطفكم وعنايتكم سأستدعى العرفاء والصناع ، ليبنوا لصاحب الجلالة الامبراطور وصاحبة الجلالة الامبراطورة جناحا أندلسيا فخما يروحان فيه عن النفس بين الحين والحين، وخصوصا وأن الفنيين سيخصون بكامل عنايتهم سواء من حيث الفرش او الاثاث او المقتنيات ، وكلها من الابداع الاندلسى الخالص . سياتى مطربونا ومطرباتنا ورقصاتنا والقائمون بادوار السخرية والضحك... وفى نطاق التبادل ، يمكن أن ياتى اليكم خبراؤنا فى الفلاحة والبستنة وتصريف المياه والحساب والتنجيم وتقويم البلدان .. كما يذهب خبراؤكم الى بلادنا .

قالت الامبراطورة :

ـ سمعت عن شىء يسمى (الحمام) .

ـ ان كانت لكم رغبة فأستدعى عرفاء مختصين فى بناء الحمامات ، وسيكون من متع هذا القصر المنيف .

قال الامبراطور :

ـ وما هو الحمام ؟

ـ الحمام ـ يامولاى ـ عبارة عن ثلاث حجرات . تؤدى احداها الى الاخرى ، والحجرة الداخلية قائمة بالصنعة الدقيقة فوق فرن مشتعل ، ولذلك فهى ساخنة ، ومن القدر العظيمة المثبتة فى الجدار الداخلى والمليئة بالماء الساخن، يصعد بخار ساخن أيضا يملأ تلك الحجرة ، ويتسرب منه الى الحجرة الثانية ، ثم يملأ اقل من ذلك الحجرة الثالثة ... والمغتسل يمكنه أن يلازم الحجرة الداخلية الساخنة جدا، واذا ما شعر بالعياء يمكنه أن ينتقل الى الحجرة الوسطى ، واذا ما اشتد به الحر كذلك يمكنه ان ينتقل الى الحجرة الاولى ... وان الخارج من الحمام ليبرز نظيفا بكل معنى الكلمة ، سواء فى شعره او فى ظاهر جسده ، زيادة على أن العياء يذهب تماما.

قالت الامبراطورة، وكيف تخرج المرأة من الحمام؟

ـ انها تخرج فاتنة كأشد ما تكون الفتنة يامولاتى، خصوصا بعد أن يدلك جسمها بالمسك أو يغسل بالماء لممزوج بماء الورد او الزهر او الياسمين .

قيل ان هناك اشياء اخرى تفعلونها فى الحمام ؟

ـ نعم يا مولاتى عندنا (أعمال الفطرة) ، فنحن نقلم اظفارنا ، أظفار أيدينا وأرجلنا ، ونحلق بعض شعر جسمنا ، منعا للاذاية التى يتسبب فيها العرق!

ومالت الامبراطورة الى أذن الامبراطور وقالت له شيئا فى السر بلغة وطنها ، فانفجر ضاحكا الى حد فقد معه اتزانه وكاد يسقط على الارض ..

تفطن يحيى لما راج فعلق بلغة بيزنطية :

ـ لو تعلمون فائدة هذا الشىء الذى تضحكون منه ..!

قال الامبراطور :

ـ كلكم طرائف يا أهل الاندلس .

ـ لا يا مولاى ، انها ليست افعال الاندلسيين وحدهم ، وانما هى افعال المسلمين المتطهرين حيثما كانوا ...

ـ ومن هم المسلمون ؟ انني لا أعرفهم... هل يعبدون النار المقدسة ؟

ـ اذا كانت النار مقدسة يا مولاى فان الماء أكثر قداسة منها انظروا : (وصب كوبا من الماء على أقرب موقد اليه فانطفات النار) ها قد مات المعبود اذا كان هو النار !

ـ اذا ، فالماء ـ فى نظركم هو المعبود ؟

ـ ولا هذا ! (واخذ آنية وضع فيها قليلا من الماء ثم حطها فوق موقد آخر فغلت ، وبعد وقت قصير ، واستمر غليانها حتى جف الماء) واذا كان المعبود هو الماء فها هو قد مات ايضا ؟

ـ فمن هو المعبود عندكم ياترى ؟

ـ معبودنا هو الذى خلق الماء ، وخلق النار ، وخلق جميع الكائنات الاخرى ...

الى هنا وجد الامبراطور نفسه عاجزا عن المناقشة، وخطرت بباله المشاكل القائمة بين المسيحيين وعبدة النار من رعيته .. ولذلك فضل اقفال المناقشة فى الموضوع ، وتملص من الموضوع قائلا :

ـ لندع هذا الموضوع الى جلسة اخرى خاصة.. سر مع (نود) ، انها تريد ان تريك أجنحة القصر كلها، قاعات الجلوس ، وقاعات النوم وغيرها ... وفعلا طاف السفير يحيى على اجنحة القصر كلها ، وعجب لما فيها من روائع التأثيث ، ونوادر التحف والطرائف والمقتنيات التى لا تقدر بثمن ، وعند حجرة نومها الخاصة قالت :

ـ هنا حجرة نومى الخاصة ، وهى حجرة أفرغ فيها صناعنا وفنانونا كل ما يملكون من مواهب ومقدرة .

ـ أنت أهل لها يا مولاتى ، بل انى أراها دون مستوى ما وهبك الخالق المعبود من محاسن ومفاتن متعك الله بالصحة حتى تبقين هكذا منشرحة النفس مرتاحة البال ، ذكية الفؤاد..

ومضى السفير يقول :

ـ مولاتى ، ان وقت نومى قد حان ، ومع ذلك على أن أسهر لأعد مراسلاتى لمولاى الخليفة ولأعد التصميمات لبناء الجناح الاندلسى ، والحمام الاندلسى والطبخ الاندلسى ...

ـ لكم أنت متعجل يايحيى ؟

ـ نعم متعجل لارضاء رغبات اهل هذا القصر الكرام. فالسفير ـ كما تعلمين ـ ليس مقيما الى الابد ، فهو يوميا ينتظر مراسلة ما ، أن يبقى ، أو ينتقل ، أو ان يقفل راجعا الى بلده .

ـ لا اسمعنى الله المعبود يوم انتقالك ولا يوم رجوعك .

ـ ولا اسمعنى الله هذا يضا ... بلغى تحيات المساء الى الامبراطور.

ـ لقد ذهب الى مخدعه الخاص ، وهو يبعد من هنا مسافة . ومن المعتاد ألا أراه الا فى الغد عند الضحى ، أراه غير محلق ولا انيق ولا معطر.. ان السكر يصبحه منهدا ...

وقطع السفير الحديث عند هذا الحد ، ومد يده وتناول يديها الكريمتين البديعتين وأودعهما قبلة حارة ... وانقلب راجعا الى بيته . وفى سره يقول : (والله لأدخلن هذا القصر دائما وأنتم مشتاقون الى، ولأخرجن منه وأنتم مشتاقون الى ايضا ، ان مهمتى هنا أعظم مما تظنين يانود) . غادرها تاركا فى نفسها مشاعر الاسف ، ولذلك بقيت تتبعه بلهفة، مشدودة الى القوام المتناسق والمشية الواثقة ، والرأس المرفوع المعتز .

وما ان وصل الى الباب حتى التحق به خادمها الخاص وقال :

ـ مولاتى تذكرك بأن دروس لغتك العربية يجب أن تبدأ عاجلا ...

وقبل ان ينام وضع مراسلة أخرى للخليفة الجليل، ووضع برنامجا لتعليم الاميرة الشغوف باللغة العربية كما وضع الخطوط العامة للبنايات المقبلة ، وانقلب الى فراشه تملأ راسه الخواطر وتتضارب الأمال والاحلام ، وعقد العزم على ان يتخذ جارية يتسرى بها ويقى نفسه من المزالق ، على ان يبقى حبل المودة مربوطا بمتانة مع اهل القصر .

واستجاب الخليفة فورا لمقترحات السفير يحيى ، فبعث سفينة أندلسية ضخمة مشحونة بجميع الاسرى، ومعهم مجموعة من خيرة البنائين والفسيفسائيين والنجارين والحدادين ومعهم فى خزائن السفينة ما

يلزم من المواد التى تتوفر فى بلاد الاندلس ولا تتوفر فى بلاد الدنمارك ، وللفور شرع فى البناء...

وما مضت شهور حتى كان الجناح قائما فى روعة وبهاء ، وتتبع الامير والاميرة أخبار بنائه باستمرار، وكلهما لهفة على يوم التدشين ، كما اقيم الحمام ابتهاجا وتهيأ لاستقبال ربة القصر التى كانت تعد الايام لتدخل اليه ، منتظرة ولا شك ان تخرج منه وقد زادت فتنة على فتنة ، وبهاء على بهاء...

وبانتهاء عشرين شهرا انتهت كل المشاكل، وحصل التفاهم تاما بين العرش الاندلسى والعرش الدانماركى وبذلك ملأ الرضى كل النفوس ، وفى هذا الظرف جاءت الرسالة الآتية من الخليفة الجليل المقيم بقرطبة :

«سفيرنا الارضى ، ومبعوثنا الاحظى ، الاديب البارع ، صاحب الذكاء الواسع والحذق الساطع . أمنك الله والسلام عليك ورحمة الله . وبعد :

لقد وفيت بالمهمة العظمى ، وأديت الامانة الكبرى وحان ان تعود الى قرطبة عاصمة الديار ، ومستقر الاوطار ، لنستعين برأيك ، ونهتدى بارشادك . والله ولى نعمتك وتوفيقك».

هاجت العواطف ، واضطربت النفوس ، وفارت الدموع ، وعم الاسى جميع الاوساط لمغادرة السفير الاندلسى البارع ارض النورمانديين . واقتضت العلاقة العلاقة المتينة ان يقيم لامبراطور وليمة وداع فاخرة، وكانت وليمة فاخرة باذخة ، من الولائم المعدودة التى اقيمت بقصر الامبراطور ، ولم تحضرها الامبراطورة لانحراف شديد طرأ على صحتها .

الرباط　　محمد بن احمد اشماعو

● قال الفيلسوف الروسي العظيم (تولستوى) فى كلمات له عن الالحاد والايمان :

« لقد نبذت العقائد الدينية فى أول الامر ووجدتها عدمة المعانى ، ثم قبلتها الآن وافيتها مليئة بالمعاني ، ذلك لانني كنت مخطئا ، وأدركت سبب الخطأ ، وهذا السبب ليس ناشئا من تفكيري السيء فحسب ، بل لانني عشت فى بيئة سيئة وذلك اشد السببين خطأ .

(ما الحياة وما الموت ؟ انني لا أعيش اذا فقدت العقيدة فى وجود الله ، ولولا أنني كنت أتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسي من زمان بعيد .

(انني أحيا ــ وأحيا حقيقة ــ حينما أحس به وأبحث عنه فقط ، ويصيح من داخلي صوت يقول : عن اى شيء تبحث بعد هذا ؟ هذا هو ، انه ذلك الذي لا يستطيع المرء بدونه ان يعيش ، انه الله ، وعندما اعتقدت فى وجود الله اعتقدت فى الكمال الخلقي ، وفى التقاليد التي تحمل معنى الحياة) .

من توصيات المؤتمر العالمي الأول لتعليم الاسلامي

● انعقد في مكة المكرمة المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي في الفترة ما بين 12 الى 20 ربيع الثاني عام 1397 هـ الموافق 31 مارس الى 8 ابريل 1977 م ، تحت اشراف جامعة الملك عبد العزيز .

وتقديرا من المؤتمر لما للتربية والتعليم من اهمية بالغة في حياة الامم ، واحساسا منه بعظم المسؤولية الملقاة على كاهل علماء المسلمين وقادة الفكر والعاملين في حقل التربية والتعليم في دعم التضامن الاسلامي وخدمة قضايا العالم الاسلامي ، ودعوته الى الالتزام الكامل بالاسلام والتطبيق الصحيح لشريعته في كافة مجالات الحياة ، وادراكا منه بأن الاوضاع القائمة في المؤسسات التربوية والتعليمية الحالية في معظم بلاد العالم الاسلامي لا تمثل الصورة الاسلامية الصحيحة ، ولا تقوم بدورها الواجب في تنشئة الاجيال على هدى الاسلام عبادة وتصورا وسلوكا ، بالاضافة الى ما دخل في التعليم من افكار وتطورات مناقضة للدين ومعادية لـه ، تم عقد عدة اجتماعات في الفترة المذكورة حضرها 313 عضوا يمثلون 40 بلدا وقدم له 150 بحثا الى جانب الدراسات التي اجريت عن حالة التعليم في البلدان الاسلامية المختلفة ، وقد انتهى المؤتمر الى تحديد المفاهيم والتصورات واصدار مجموعة توصيات هامة ندرج بعضا منها فيما يلي :

اولا : المفاهيم والتصورات والاهداف :

ان هدف التعليم الاسلامي هو تنشئة الانسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ، ويعمر الارض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه .

ومفهوم العبادة في الاسلام مفهوم واسع شامل لا يقتصر على اداء الشعائر التعبدية فحسب بـل يشمل نشاط الانسان كله من اعتقاد وفكر وشعور وتصور وعمل مادام الانسان يتوجه بهذا النشاط الى الله ويلتزم فيه شرعه ، ويسير على منهجه تحقيقا لقوله سبحانه : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » ، وقوله سبحانه : « **قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك لـه** » .

وعلى ذلك فان عمارة الارض وتسخير ما اودع الله فيها من ثروات وطاقات وابتغاء مـا بثـه على ظهرها من ارزاق ، وما يلزم لذلك من التعرف على سنن الله في الكون ، والعلم بخواص المادة ، وطرق الاستفادة منها في خدمة العقيدة ونشر حقائق الاسلام ، وتحقيق الخير والفلاح للناس ، كل ذلك يعد عبادة يتقرب بها العلماء والباحثون الى الله ، وطاعة يثاب عليها الناظرون في الكون والمكتشفون للقوانين التي تربط بين اجزائه ، والمستنبطون اوسائل تسخيرها لخير الناس ومنفعتهم . واذا كان الامر على هذه الصورة في المفهوم الاسلامي للعبادة وكان هدف التعليم في نظر الاسلام هو تنشئة ذلك الانسان العابد لله على المعنى الشامل للعبادة ، فيجب ان يحقق التعليم امرين : احدهما يعرف الانسان بربه ليعبده اعتقادا بوحدانيته واداء لشعائر عبادته ، وتطبيقا لشريعته والتزاما لمنهجه ، والثاني بسنن الله في الكون ليعبده بعمارة الارض والمشي في مناكبها وتسخير كل ما خلق الله فيها لحماية العقيدة ، والتمكين لدينه في الارض امتثالا لقوله تعالى : « **هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها** » .

وهكذا تلتقي علوم الشريعة مع الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس والاجتماع الخ . . في انها كلها علوم اسلامية ما دامت داخل الاطار الاسلامي ومتسقة مع تصوره ومفهومه ، ملتزمة باحكامه وتعاليمه ، وكلها مطلوب بقدر للمسلم العادي ، ومطلوب على مستوى التخصص لفقهاء الامة ومجتهديها وعلمائها . ولا حد ولا قيود على العلم في التصور الاسلامي ، سواء النظري منه او التجريبي والتطبيقي الا قيدا واحدا يتصل بالغايات والمقاصد من ناحية ، وبالنتائج الواقعية من ناحية اخرى . فالعلم في الاسلام عبادة يتقرب بها الانسان الى الله واداة اصلاح في الارض ، فلا ينبغي أن يستخدم في افساد العقيدة والاخلاق ، كما لا يجوز أن يكون اداة ضرر وفساد وبغي وعدوان . ومن ثم فكل ما يصادم العقيدة

الاسلامية او لا يخدم اهدافهـا ومقتضياتها ، فهـو مرفوض فى المنهج الاسلامى .

وان كل نظام تعليمى يحمل فى طياته فلسفـة معينة منبثقة من تصور معـين ولا يمكن فصل اى نظام تعليمى عن فلسفته المصاحبة له ، ومن ثم فانه لا يجوز ان تتخذ فلسفة او سياسة تعليمية وتربوية مبنـية على تصور مغاير للتصور الاسلامى ، وهو ما يحدث الآن حين الاخذ بالنظم غير الاسلامية لانها فى النهاية تصادم التصـور الاسلامى وتناقضه ، وفى الوقت ذاته فان للاسلام تصورا عاما شاملا تـنبثق منه فلسفة تعليمية وتربوية قائمـة بذاتهـا ومتميزة عن غيرهـا .

لذا فان نظام التعليم الاسلامى يجب أن يقوم على اساس هذا التصور الخاص المتميـز . أمـا الوسائل فلا ضير من الاستفادة منهـا فى التجارب البشرية الناجحة مادامت لا تصـادم هـذا التصور ولا تـنـاقضه .

ومصادر المعرفة فى التصور الاسلامى نوعان :

اولهما : الوحـى فى الجوانب التى يعلـم الله سبحانه وتعالى أن الانسان لا يهتدى فيها الى الحق من تلقاء نفسه ، والتى لا تستقيم فيها الحيـاة على وجهها السليم الا بمقررات ثابتة من عند الله المحيط بكل شيء علمـا .

ثانيهما : العقل البشرى وادواته فى تفاعله مع الكون المادى نظرا وتأملا وتجربة وتطبيقا فى الامور التى تركهـا الله العليم الحكيم لاجتهاد هذا العقـل وتجاربه بشرط واحد هـو الالتـزام التـام فيهـا بالاصول العامة الواردة فى شريعـة الله المنزلـة بحيث لا تحل حراما ولا تحرم حلالا ، ولا تؤدى الى الشر والضرر والفساد فى الارض .

ثانيـا : انطلاقـا من هذه التصورات وتلـك المفاهيم فان المؤتمر يوصى بما يأتى :

(1) يرى المؤتمر ان التربية هى رعاية نمـو الانسان فى جوانبـه الجسمية والعقلية والعلميـة واللغوية والوجدانية والاجتماعية والدينية وتوجيهها نحو الصلاح والوصول بها الى الكمال وغاية التربية الاسلامية هى تحقيق العبودية الخالصة لله فى حياة الانسان على مستوى الفـرد والجماعة والانسانية وقيام الانسان بمهامه المختلفة لعمارة الكون وفق الشريعة الالهيـة .

(2) الاهتمام عند وضع المناهج الديـنـية وتاليف كتبهـا بالعقيـدة الاسلامية المستمـدة من القرآن الكريم والسنة المطهـرة ومراعاة اشتمـال هذه الكتـب على ابراز آيـات الله فى مخلوقاته ، ومعجزات رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رد الشبهات التى يروجها اعداء الاسلام .

(3) من اجل ان تحقق التربية غايتها واهدافها يوصى المؤتمر تصنيف العلوم الى نوعين :

ا ـ العلوم القائمـة على الوحى المتمثلـة فى علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها ، مع ملاحظة اللغة العربية التى هى مفتاح فهم القرآن والسنة .

ب ـ العلوم الاخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب ، وعلوم الاداب والاجتماع والتربيـة وما الى ذلك من المعارف المكتسبة .

(4) العناية التامـة بالقرآن الكريـم حفظـا وتلاوة وفهما ، باعتبار ذلك اللبنة الاولى فى تكوين عقيدة المسلم واخلاقه وافكاره وتصوراته ، وبالنظر الى ضآلة ما يحفظ الطلاب المعاصرون من كتـاب الله الكريم فى جميع مراحل الدراسة ، حتى انهـم ليتخرجون فى المرحلـة الجامعيـة ـ وخاصـة فى الكليـات العلمية والعملية ـ وهـم لا **يـكادون** يحسنون تـلاوة سورة من القـرآن او حفظهـا او قـراءتهـا .

ويوصـى المؤتمـر فى هـذا الشـان بضرورة التوسيع فى قراءة القرآن وحفظه ابتداء من المرحلة الابتدائية مع التوسع التدريجى فى التفسير والفهم فى المراحل المتأخرة بحيث يخرج الطالب من دراسته الثاوية وقد حفظ بضعة اجزاء من القرآن على الاقل وفهم معانيها العامة ، كمـا يوصـي بالاكثـار من مدارس تحفيظ القرآن الكريم للصبية والفتيـات فى العالم الاسلامى كما ينبغى توجيه العنـاية بالحديث الشريف فى جميع مراحل التعليم حفظا وفهما .

(5) الاهتمام بالعلوم الاسلامية وزيادة دروسها والعناية بكيفية تدريسها بما يضفى عليها طابع التشويق والترغيب .

(6) ان دراسة الفقه الاسلامي يجب ان تكون موصولة بالواقع الحاضر ومشكلاته وقضاياه ، مع التوكيد على حقيقة هامة هى ان الحلول الاسلامية واجبة التطبيق بشكل متكامل فى المجتمع الاسلامى .

كما يوصى بأن تكون دراسة الشريعة الاسلامية بكل فروعها هى الدراسة الاساسية فى كليات الحقوق ، مع عقد دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية عند الحاجة وعلى ايدى نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الايمان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على ابراز ما فى الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقدرة على تحقيق مصالح الامة وتلبية حاجات الجماعة دون الوقوع فى الانحرافات والنتائج الضارة التى نشأت من تطبيق القوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعاصرة الراسمالية والشيوعية على السواء .

(7) العناية بتدريس الثقافة الاسلامية فى جميع مراحل الدراسة والمرحلة الجامعية بصفة خاصة ، وكذلك الكليات العسكرية وكل كلية ومعهد بما يواجه حاجات الطلاب ويحل مشكلاتهم العلمية والفكرية والدينية ويجيب عن تساؤلاتهم وبما يبين عظمة الاسلام وشموله وسمو قيمه ومبادئه ونظمه، واصلاحه لاحوال البشر فى كل زمان ومكان . وعرض امجاد التاريخ الاسلامى فى شتى المجالات وما قامت به الامة الاسلامية من انجازات انسانية ومادية وسياسية وعسكرية وحضارية استحقت بها ان تكون « خير امة اخرجت للناس » وبيان فضل النظم الاسلامية على الانظمة البشرية الجائرة المنحرفة فى القديم والحديث سواء كانت نظما سياسية او اقتصادية او اجتماعية ، مع العناية بعرض الانحرافات القائمة فى الحضارة المعاصرة بشقيها الراسمالى والشيوعى ، مع ما يقابلها من نظم قويمة فى الاسلام .

وتناولت التوصيات عددا من القضايا على صعيد العالم الاسلامى .

رسالة النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل

● اعلن جلالة الملك حسين عاهل الاردن انه توجد بحوزته الرسالة الاصلية التى بعثها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم . وقد اهتمت وكالات الانباء العالمية بهذا الخبر باعتباره اكتشافا جديدا فى تاريخ الاسلام .

والرسالة من سبعة اسطر ، وحروفها غير منقطة .

وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم .. سلام على من اتبع الهدى .. اما بعد . فانى ادعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسين . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وكان الملك حسين قد وجه بيانا من التليفزيون الاردنى الى العالم الاسلامى .. اعلن فيه ان الرسالة الطاهرة التى بعث بها الرسول عليه السلام الى هرقل عظيم الروم قد وصلت اليه وهى نفس الرسالة .. وليست صورة منها او تقليدا لها وان الرسالة كانت فى حوزة الملك عبد الله واسر الى احدى زوجاته بأن تحتفظ بها معها ضمن اشياء اخرى .. وطوال السنوات الاخيرة جرت محاولات من دول اسلامية مختلفة للحصول على هذه الرسالة كوثيقة تاريخية من الوثائق الاسلامية المجيدة .. وكانت الحكومة الاردنية تقوم باتصالات مع زوجة

الملك عبد الله كى تحصل منها على الرسالة لاهميتها وقيمتها التى لا تقدر بمال .

الدعم الاقتصادى لمسلمى الفليبين

● وزع الزعيم الفليبيني المسلم السيد عبد الله كبير عضو قيادة « جبهة تحرير مورو » بمنداناو جنوب الفليبين بيانا موجها الى الامة العربية والاسلامية لخص فيه وضعية المسلمين فى تلك المنطقة ، واهاب بالعالم الاسلامى الى بذل العون والمساعدة المادية للاقلية الاسلامية فى الفليبين ، وجاء فى هذا النداء :

« عندما يوقع اتفاق الحكم الذاتى بين حكومة الرئيس ماركوس وجبهة تحرير مورو ، التى تقود ثورة مسلمى الفلبين ، يبقى سؤال كبير يشغلنا ويؤرقنا ، ومن حقنا ان نطرحه على اخواننا العرب وعلى المسلمين فى كل مكان . السؤال هو : « ما هو دور العالم العربى الاسلامى فى تعمير منطقة الجنوب ، بعد الخراب الذى حل بها طوال سنوات الحرب الست ؟ » .

ان الحرب الدائرة منذ عام 1971 قد خلفت وراءها دمارا فى كل مكان ، فى المدارس والمستشفيات والمساكن والمساجد ، فضلا عن آلاف المشردين الذين تركوا بيوتهم ولجأوا الى المعسكرات والجبال او الذين تركوا الوطن كله وانتقلوا الى ولايتى « صباح وساراواك » جنوبى ماليزيا .

ولاننا نظن ان اغلب المسلمين والعرب لا يعرفون شيئا عن بلادنا ، الا ما تتناقله وكالات الانباء عن القتال ، فاننى اقول ان بلادنا مليئة بالموارد والخيرات . ولعل هذا هو احد الاسباب الرئيسية التى اثارت الاطماع فيها من جانب الشماليين . فى بلادنا مساحات هائلة مزروعة بالموز وجوز الهند والاناناس والشاى والارز ، فضلا عن الاخشاب ، ومناجم التصدير والذهب . كل أسباب الرخاء متوفرة ورغم ذلك فقد ظل شعبنا تعيسا وفقيرا . كنا نعتبر مواطنين من الدرجة الثانية . ولذا كانت ثورتنا .

لقد شكل مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فريق عمل سياسى زار الفلبين وبذل جهدا فى طريق التسوية السياسية ، توج بمباحثات طرابلس فى ليبيا ، التى مهدت للاتفاق الذى سيوقع فى اوائل هذا الشهر (مارس — آذار) .

لماذا لا يكون فريق عمل اقتصادى يدرس أوضاعنا وامكانية الاسهام فى استثمار مواردنا الوفيرة ، والمشاركة — بالتالى — فى تنمية وتعمير المناطق الاسلامية فى جنوب الفلبين .

اننا نعلم ان العالم العربى لديه شواغله العديدة ، من تعمير لبنان الى تسوية ازمة الشرق الاوسط . ولا نعرف بالضبط فى اى ترتيب يمكن ادراج مشكلتنا . . ونحن ندرك ان العالم العربى قد تحرك بمسئولية فى الحل السياسى ، ونتمنى ان يباشر نفس المسئولية فى التنمية الاقتصادية . ولا نريد ان يبذل العرب هذا الجهد ويعود السلام الى جنوب الفلبين ، ثم تزحف الشركات الاوروبية والامريكية لتجنى الثمار وتستغل خيرات بلادنا .

هل يمكن ان يفكر العالم العربى والاسلامى فى هذه القضية قبل فوات الاوان ؟ » .

أول مؤتمر للمسلمين فى أمريكا الشمالية

● انعقد فى نيوجرسى بالولايات المتحدة الامريكية خلال الفترة من 22 الى 24 من ابريل الماضى اول مؤتمر اسلامى عن دور المنظمات الاسلامية فى أمريكا الشمالية . وقد استمر المؤتمر ثلاثة أيام تحت شعار « المسلمون فى أمريكا الشمالية » وشارك فيه ممثلون عن جميع المنظمات والمراكز الاسلامية فى أمريكا وكندا وناقش عددا من الموضوعات والقضايا التى تتعلق بالشؤون التربوية والتعليم وتطوير رسالة المسجد ومشاكل الشباب فى العصر الحاضر .

النـدوة الاسلاميـة الثالثـة فى تـونـس

● نظمـت بمدينة القيروان بتونـس مؤخرا « الندوة الاسلامية الثالثـة » تحت اشراف اللجنـة الثقافية القومية وشارك فيها عدد من رجال الدعوة والفكر الاسلامى والمهتمين بالدراسات الاسلاميـة المعاصرة من تونس والعالم العربى والاسلامى .

وقد عالجت الندوة الموضوعات التالية :

— الاسلام والتيارات الفكرية المعاصرة .

— مشاكل البيئة والتربية .

— الاسلام وتـطـور المؤسسات الاقتصادية والاجتمـاعيـة .

نـدوة حول « العالم الاسلامى والنظام الاقتصادى الـجـديـد »

● تـقـرر ان ينظـم « المجلس الاسلامى لاوروبـا » نـدوة اقتصادية فى لنـدن فى موضوع : « العالم الاسلامى والنظام الاقتصادى الجديد » .

وينـتظر ان يشارك فى هذه الندوة زيادة على الخبراء الاقتصاديين فى البلدان الاسلامية خبراء من اوروبـا وامريـكا .

مسلمـو البوسنـة والهرسك

● صدر فى النمسا كتاب بعنوان « الثقافـة البوسنـوية » يقع فى 250 صفحـة يتحـدث عن حضارة وثقافة مسلمى « البوسنة والهرسك » باللغة اليوغوسلافية والالمانية للدكتور « اسماعيل بليـغ » الاستاذ بجامعة النمسـا . والبوسنويون من خيرة مسلمى اوروبا ، يمتازون بالتمسك بتعاليم الاسلام فى قوة وصدق ، وقد صمـدوا فى الماضى والحاضر وصبروا على تحمل كل مـا صادفهم من شدائـد ، وما لحـق بهم من اذى ، فهـم بحق قـدوة صالحة لغيرهم . ويتضمن الكتـاب ملحقـا بالصور فى 16 صفحـة .

400 مليون دولار لتوسيع المسجد النبوي

● 400 مليون ريال سعودي تـم اعتمادهـا للمرحلة الثانية من توسعة المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، تبلغ مساحة هذه التوسعة 50 الف متـر مربع أي ما يزيد على مساحة الحرم النبوي حاليـا بخمسـة أضعافـه ●

المغرب :



● افتتح في الرباط الاسبوع الثقافي السعودي . وذلك في حفل كبير اقيم بمسرح محمد الخامس وترأسه السيد الحاج أحمد با حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والسيد فخري شيخ الارض سفير المملكة العربية السعودية بالمغرب . وحضر حفل الافتتاح عدد من أعضاء حكومة صاحب الجلالة وبعض السفراء العرب والمسلمين وجمهور غفير من المثقفين ورجال الفكر والصحافة .

وتضمن الاسبوع الثقافي السعودي بالمغرب معرضا للكتاب السعودي وآخر للفنون التشكيلية وثالثا لاسبوع الاطفال . وتخللت الاسبوع محاضرات ثقافية وأمسيات شعرية ساهم فيها مفكرون وأساتذة وشعراء سعوديون .

وقد عكس معرض الكتاب السعودي التطور الهائل الذي شهدته المملكة العربية السعودية في ميدان التاليف والطباعة والنشر ، وخاصة في الجانب الاسلامي حيث اطلع الجمهور المغربي على عشرات المؤلفات الاسلامية والفكرية الهامة بأقلام نخبة من العلماء والمفكرين من الديار المقدسة .

ومن أبرز المحاضرات التي القيت بالمناسبة محاضرة عن دور المملكة العربية السعودية في نصرة قضايا العالم الاسلامي . وقد تناولت مختلف أوجه الدعم والتاكيد التي ما فتئت الحكومة السعودية توليها لقضايا الاسلام والمسلمين في العالم الاسلامي .

● احتفلت الاوساط الثقافية في المغرب بمعرض الكتاب العراقي الذي نظمته سفارة الجمهورية العراقية بالرباط . وكانت مناسبة للاطلاع على التطور الحثيث الذي تشهده حركة التاليف والنشر في العراق الشقيق بما في ذلك ميدان احياء التراث العربي الاصيل ومجالات الانتاج الفكري والادبي المعاصر من قصة ورواية وشعر ودراسات نقدية وابحاث في التاريخ والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والاعلام .

● نظم اتحاد كتاب المغرب مناظرة في موضوع « اشكالية الثقافة المغربية المعاصرة » وذلك ابتداء من 12 ابريل وتستمر الى 13 من الجاري .

وتناولت المناظرة الموضوعات التالية :

— الشعر المغربي الى أين ؟
— المرتكزات الشكلية والمضمونية للرواية المغربية
— القصة القصيرة حاضرا ومستقبلا .
— وظيفة النقد .
— المرحلة الاستعمارية وتطور البنيات الاقتصادية المغربية .
— التبعية واقع وآفاق
— مضمون الحل المستقبلي وخصوصيات تطبيقه (من المرحلة الانتقالية الى البناء الاقتصادي الجديد) .
— السياسة التعليمية الراهنة (أسسها النظرية وآفاق تطورها)
— الاشكاليات التربوية للمدرسة المغربية .
— منهجية التاريخ في المغرب واشكاليتها .
— التراث التاريخي المغربي من خلال المؤرخين
— نقد الرؤية الاستعمارية للتاريخ .

وشارك في المناظرة نخبة من الكتاب والادباء المغاربة نذكر منهم الاساتذة : عبد الوهاب بتمنصور، عبد الكريم غلاب ، د. عبد الهادي التازي ، د. ابراهيم السولامي ، د. حسن المنيعي ، د. أحمد المجاطي، د. محمد برادة ، د. فتح الله ولعلو ، د. عزيز بلال، عبد الجبار السحيمي ، مبارك ربيع ، محمد بلبشير.

● دفع الاستاذ عبد الله كنون الى المطبعة كتابا جديدا يحمل عنوان « معارك » . وهو يتضمن

مناقشة قضايا فكرية وادبية على جانب من الاهمية راجت ولا تزال تروج على الساحة العربية والاسلامية.

كما يعتزم الاستاذ كنون اخراج ديوان شعره الثاني . وكان الديوان الاول قد صدر فى الستينات بعنوان : « لوحات شعرية »

● تعززت المكتبة المغربية بصدور كتاب المحاضرات للعلامة المغربي الكبير الحسن اليوسي . وقد قدم له الدكتور محمد حجي وصدر عن دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر التي دابت خلال الفترة الاخيرة على اصدار عدد من كتب التراث المغربي الادبي والعلمي.

● حصل الاستاذ علي أومليل على دكتوراة الدولة فى الفلسفة من جامعة السربون بفرنسا بدرجة مشرف جدا فى موضوع « منهجية ابن خلدون فى المقدمة » .

● صدرت للكاتب ادريس الخوري مجموعة قصصية بعنوان « ظلال » كما صدر للقصاص محمد زفزاف مجموعة قصصية جديدة بعنوان « البيوت الواطئة » وذلك عن دار النشر المغربية بالدار البيضاء .

● تلقى المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط هدية باسم الخزانة المركزية للجمهورية الرومانية تتكون مما يزيد على 120 مجلدا فى الآداب والفن والعلوم والفنون التقنية .

تونس :

● صدرت عن الدار العربية للكتاب بتونس المجموعات القصصية التالية : « زمن الزخارف » لسمير العيادي ، « اختفت النجوم » لاحمد ابراهيم الفقيه ، « فى بيت العنكبوت » لمحمد الهادي بن صالح ، و « الاعمال الكاملة » لخليفة التكبالي ، و « الرخ يجول فى الرقعة » لمحمد صالح الجابري .

ليبيا :

● صدرت عن الدار العربية للكتاب مجموعة قصصية تقع فى 110 صفحة وتضم سبع قصص قصيرة للدكتور محمود عبد المولى .

لبنان :

● صدر فى بيروت كتاب جديد للكاتب غالي شكري بعنوان « عرس الدم فى لبنان » عن دار الطليعة .

العراق :

● يقوم العراق بجهود ثقافية مشكورة فى نشر وتحقيق أمهات الكتب العربية فى التاريخ والتراجم والادب والعلوم العربية والاسلامية ، وقد أصدرت وزارة الاعلام فى العراق مؤخرا النصف الثاني من كتاب « الزهرة » لابي بكر ابن الامام داود الظاهري وذلك بتحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي ونوري حمودي القيسي . وكان الجزء الاول قد حققه ونشره منذ سنوات المستشرق « نيكل » .

الكتاب يقع فى 400 صفحة من الحجم الكبير ويحمل رقم 37 من سلسلة « كتب التراث » التي تصدرها الوزارة .

● « العرب واليهود فى التاريخ » كتاب جديد للدكتور احمد سوسة مؤلف كتاب « الشريف الادريسي » الذي كرمته عليه الجامعة العربية وانعم عليه بسببه جلالة الملك الحسن الثاني بوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة .

والكتاب يتناول تاريخ العرب وفلسطين فى ضوء المكتشفات الآثارية منذ خمسة آلاف عام أي قبل ظهور اليهود على مسرح الاحداث بالفي عام . ويقع فى 500 صفحة من القطع الكبير .

مصــــــــر :

● عن « دار الاعتصام » صدر كتاب « المخططات التلمودية الصهيونية فى غزو الفكــر الاسلامــي » وهو الكتاب السادس فى سلسلة « معالــم تاريــخ الاسلام » التي يعدها الاستاذ أنور الجندي . وللكاتب سلسلة أخرى تحمل عنوان « معلمة الاسلام » تصدر فى كتيبات صغيرة للشباب ، كدائرة معارف اسلامية مبسطة تتناول أهم ما يحتاجه الشباب المسلــم فى ايامنا . والمعلمة تصدر عــن « دار الاعتصــام » . ونرجو ان نقدم بعض كتب « سلسلة معالم الاسلام » للقراء قريبا ان شاء الله .

● فى جامعة القاهرة ، فــازت الجماعــات الاسلامية فى انتخابات اتحاد الجامعــة ، واصبــح رئيس الاتحاد لاول مرة ، منذ حوالي ربع قرن ، من الجماعات الاسلامية .

● عن « دار فلسطين » للطباعــة والنشــر بالقاهرة ، صدر كتاب « دمعة على فلسطين » بقلم عبد الكريم صادق ، ويتناول المؤلف جرائم اليهــود ووحشيتهم على ارض فلسطين مدعمــا بالوثائــق والصــور .

● عن « دار الانصار » بالقاهــرة صــدرت الكتب الآتية : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة ابي الحسن الندوي ـ الدعاء المقبول للدكتور شعبان محمد اسماعيل ـ لا اله الا الله منهج حياة ـ الاطعام والامن ومنهج الدعوة الى الله بقلم صالــح عشماوي .

● جرى اجتماع تحضيري فى القاهــرة (16 صفر 1397) بدار العشيرة المحمدية لعقد مؤتمــر الهيئات الاسلامية لتطبيق الشريعــة الاسلاميــة ، وحضره عدد من علماء الدين والدعــاة والمهتميــن بتطبيق الشريعة الاسلامية .

● فى 23 يوليه القادم سيوضع حجر الاساس لاول مدينة ازهرية تقام فى قرية بمحافظة الشرقية . المدينة تقام من حصيلة أموال الزكاة الشرعيــة ، ويشارك فى ارساء حجر الاساس كل من شيخ الازهر ووزير الاوقاف ، ورئيس مجلس الشعب وآخرين ؛ ستضم المدينة الازهرية الجديدة : دارا للحضانة ، ومعهدا للفتيات ، ومساكن للعاملين والطلاب الوافدين من خارج المحافظة ، فضلا عن معاهــد ابتدائيــة واعدادية وثانوية .

● أناب الرئيس السادات فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي فى توزيع جوائز حفـظ القــرآن الكريم على الفائزين فى المسابقة التي نظمتها جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وقد اشترك فى المسابقة عدد كبير من طلاب الجامعات والرجــال والنســاء والاطفال ... وقد فاز بالجائزة الاولى « عبد الفتاح خليل بحر » (44 سنة) وهو سجين فى سجن القطا بالقناطر الخيرية . السجين المذكور حفظ القــرآن خلال سجنه ، وأخرج منه ساعة تسلم الجائزة تكريما لحفظه القرآن الكريم ، وتلاوته بصوت متميز .

● صدر كتاب جديد عن العارف بالله سيدي ابراهيم الدسوقي بعنوان (ابو العينين الدسوقي) تأليف عبد العال دخيل ـ صدر عــن دار الشعــب بالقــاهــرة .

● عن مكتبة مصر صدرت الطبعة الرابعــة من كتاب « حياة الحسين » للكاتب الراحل عبد الحميد جودة السحار .

● وعن مكتبة مصر ايضا ، صدر كتاب جديد للدكتور سعد شلبي باسم (المؤمنون والنور) .

● فى أواخر ربيع الاول الماضي توفي الشاعر المصري « عبد الله شمس الدين » صاحب نشيــد « الله اكبر » الشهير . وقد لقي هذا النشيد صدى كبيرا فى سنة 1956 لحظة العدوان الثلاثي على مصر ، وما زال يتردد على ألسنة طلاب المدارس حتى الان . وقد اشتهر الشاعر الراحل بأشعــاره الصوفيــة والوجدانية التي تدعــو الى حــب الله والســلام الاجتماعي والصفاء الروحي .

● فى 12 مارس اقيم باسوان مهرجان ثقافي احتفالا بذكرى الكاتب الراحل « عباس محمود العقاد » شارك فيه مع الجمهور عدد من الكتاب والنقاد ، وقد استمر المهرجان اربعة ايام ، كما شاركت الصحافة والمجلات الاسبوعية بنشر موضوعات وقصائد حول الكاتب الراحل .

● فقدت الحياة الادبية والعلمية فى مصر الدكتور « محمد كامل حسين » الاستاذ السابق بطب العباسية وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة وعضو المعهد العلمي المصري وعضو مجمع الجراحة بباريس وعضو الجمعية البريطانية لجراحة العظام فى لندن ، والحائز على جائزة الدولة التقديرية فى الادب . وقد اشتهر الدكتور محمد كامل حسين ، رحمه الله، بانه مؤلف « قرية ظالمة » التي تحدث فيها عن « أورشليم » وظلمها .. ومن كتبه ايضا « وثبة الاسلام » و « متنوعات » .

● وافقت الثقافة الجماهيرية فى مدينة بورسعيد على تخصيص مقر مؤقت لمركز الدعوة الاسلامية بقصر الثقافة فى المدينة . المركز يفتتحه فضيلة الامام شيخ الازهر .

● ناقشت لجنة الشؤون الدينية بمجلس الشعب موضوع دعم الدعوة الاسلامية وتعديل قانون الازهر بما يصون كيانه . وقد تحدث فى اللجنة حول هذا الموضوع كل من فضيلة الشيخ شعراوي وزير الاوقاف وشؤون الازهر والشيخ صلاح أبو اسماعيل رئيس اللجنة وزكري ادريس عضو المجلس والدكتور عبد الجليل شلبي أمين مجلس البحوث الاسلامية والدكتور ابراهيم ندا وكيل جامعة الازهر وعبد الرحمن العدوى الامين المساعد لجامعة الازهر وعلى سلامة عضو المجلس .

● اصدر المؤتمر العام لمبعوثي مصر بالاتحاد السوفياتي الذي عقد اخيرا فى موسكو بيانا جاء فيه ان المبعوثين يضمون صوتهم الى المنادين بأن يكون المصدر الاساسي للتشريع هو الشريعة الاسلامية واتخاذ الاجراءات الجادة من اجل ذلك حتى لا نظل عرضة للغزو الفكري والفلسفي القائم على اسس تناقض مبادىء ديننا وقيمنا .

● مذكرات السلطان عبد الحميد آخر خلفاء الدولة العثمانية فى تركيا تصدر قريبا باللغة العربية.

● صدر فى القاهرة كتاب « تلقيح فهوم أهل الاثر فى عيون التاريخ والسير » للامام عبد الرحمن ابن الجوزي . وهو أشبه ما يكون بموسوعة اسلامية مختصرة فى سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وتابعيه وخلفائه الامويين والعباسيين حتى عهد الناصر لدين الله المتوفى سنة 626 هـ .

وفاة الشاعر محمود حسن اسماعيل

انتقل الى رحمة الله تعالى أحد رواد الشعر العربي المعاصر فى مصر الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل على اثر مرض ألم وهو بزور الكويت .

ويعتبر الشاعر محمود حسن اسماعيل من جيل المدرسة الوسطية فى الشعر العربي اذ يجمع بين المعاصرة والاصالة والالتزام بالقافية والموسيقى والعمود الشعري . ويتجلى ذلك بالخصوص فى ديوانه « اغاني الكوخ » و « قاب قوسين » .

وبوفاة محمود حسن اسماعيل تنتهي أو تكاد تلك المدرسة التي تخرج منها العقاد والمازني وشكري وغنيم والجارم والرافعي وعشرات القمم الشامخة التي أثرت ديوان العرب بما هو رائع وتليد .

الكويت :

● اعتزمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى الكويت استئناف عمل موسوعة الفقه الاسلامي . وكان قد انجز منها فى الدورة الاولى الموضوعات التالية :

— فى دورتها الاولى :

1 — الأشربة ، للدكتور وهبة الزحيلي .

2 — الاطعمة ، للشيخ علي حسن البولاقي .

3 — الحوالة ، للدكتور ابراهيم عبد الحميد ابراهيم .

— بعد استئناف عملها :

4 — صلاة المسافر ، للاستاذ عز الدين توني.

5 — النسب ، للاستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور .

6 — الارث ، للاستاذ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور .

— ومما هو تحت الطبع ، وسيصدر تباعا :

7 — القصاص ، للدكتور احمد محمد ابراهيم

8 — التعزير ، للدكتور عبد العزيز عامر .

9 — شركات الاموال ، للدكتور ابراهيم عبد الحميد ابراهيم .

10 — شركة المضاربة « القراض » للدكتور ابراهيم عبد الحميد .

11 — القسمة : للدكتور ابراهيم عبد الحميد ابراهيم .

12 — الايمان ، للشيخ علي حسن البولاقي .

حيث ينشر بهذه الطبعة التمهيدية ما ينجز من الموضوعات الفقهية المكتوبة للموسوعة ، بصورة متفرقة ، كل موضوع على حدة برقم متسلسل دون مراعاة الترتيب الالفبائي بين هذه الموضوعات ، كما انها لا تتضمن الالفاظ الفقهية التي تذكر فى كل حرف لمجرد الاحالة باحكامها على كلمة فى حرف آخر .

● من الكتب القيمة التي تعززت بها المكتبة الكويتية كتاب السيدة مريم عبد الملك الصالح الذي اصدرته مكتبة دار الفكر بالكويت بعنوان « صفحات من التطور التاريخي لتعليم الفتاة فى الكويت » . وهو دراسة تاريخية ميدانية عن التعليم السنوي فى مختلف مراحله .

اسبانيا :

● منحت جائزة « بابلو اولافيدى » لادب الذكريات هذا العام للشاعر خوان خيل البرت ، وكانت لجنة الجائزة مشكلة من كارلوس بارات وغرسيا اورتيلانو وخوان مارسي وقد اجمعوا على ان خيل البرت من احسن الكتاب المعاصرين .

● تمنح وزارة التربية والعلم الاسبانية سنويا جائزة الترجمة واسمها « فراي لويس دى ليون » الى اللغة الاسبانية . وقد نال الجائزة هذا العام كرمن برافو فلياسنتي لحسن ترجمتها ولا سيما لترجمة الكتاب الذي يحمل عنوان « اكسير الشيطان » .

● صدر العدد الاخير من النشرة الفنية ARABISIMO التي يصدرها المعهد الثقافي الاسباني — العربي ، وهو يعطي لمحة عن مختلف النشاطات فى جميع ميادين التعاون الثقافي .

ومن بين هذه النشاطات نذكر :

1 — المناظرة العاشرة حول « الفكر الاسلامي » .

2 — احياء الذكرى الثمانمائة والخمسين لميلاد الفيلسوف والعالم العربي ابن رشد .

3 ـ المؤتمر العالمي الخامس عشر للعلـوم الانسانية فى آسيا وافريقيا الشمالية .

4 ـ المهرجان العالمي للاسلام .

5 ـ احياء الذكرى الالف لميـلاد الخليفـة الاندلسي الحكم الثاني .

وزيادة على هذه التجمعات التـي تهدف الى بعث الحضارة العربية الاسلامية فان المعهد الثقافي الاسباني العربي يلعب دورا مهما فى نشر الثقافة على يد اساتذة اكفاء من اسبانيا والعالم العربي ، والمعهد يطبق احدث الطرق البداغوجية فى التعليم ويستدعي لالقاء المحاضرات اساتذة أكاديميين متخصصيـن ، وفيما يلي بعض العناوين للمحاضرات التي القيت فى مجموع المعاهد والجامعات الاسبانية خلال السنـة المنصرمـة :

ـ هل ابدع العرب تحت الحكم الاسباني ؟

ـ العلاقات الاسبانية العربية .

ـ الجنس فى الاسـلام .

ـ التقدم : الواقع والخيـال .

ـ من اجل مقارنة تاريخية فى الادب الاسلامي

ـ العلاقات بين الملوك الاسبان ومصر .

ـ الرموز والفن والتكنولوجيا عند المصريين القدامـى .

والى جانب هذه المحاضرات وغيرها التي تلقى فى معاهد وجامعات اسبانيا تقوم مجموعة من الاساتذة الاسبانيين بالقاء دروس نظرية فى بلـدان العالـم العربي ، وفى هذا النطاق زارت بعثة ثقافية اسبانيا مدينة تطوان باستدعاء من القنصل الاسباني العـام بهذه المدينة .

ومن النشاطات الثقافية الاخرى يضطلع المعهد بترجمة مؤلفات عربية واسبانية وبالبحث فى اصول الثقافتين وفنونهما وباحياء مسيرة عظمائهما .

وفى النشرة مجموعة من الاخبـار الثقافيـة والفنية نشرت فى الصحف والمجلات الاسبانيـة والعربية ، وتشتمل على العروض الفنية وعناويـن الافلام والوثائق التي تقدم للجمهوريـن الاسبانـي والعربـي .

● نشرت مجلة « اربور » الصادرة عن المجلس الاعلى للابحاث العلمية فى اسبانيا عددا ممتازا عـن البحث العلمي فى اسبانيا .

وقدم العدد الاعمال المنجزة وحدد الغايـات المنشودة فى مجال الابحاث العلمية ، وتصدر العدد بخطاب وزير التربية والعلم حول اسبقية الحوار بين المحافل الادارية والجماعة البشرية العلمية .

واشتركت فى العدد شخصيات بارزة فى ميدان الابحاث العلمية تناولت فى مقالاتها مواضيع عديدة تتراوح بين الانجـزات الانسانيـة والتكنولوجيـة والابحاث الذرية والزراعة .

● ظهرت فى مدينة بلنسية مجموعة جديدة من الشعر اسمها « لندس » تلتقط الكتب المؤلفـة فى اى لغة كانت فى شبه الجزيرة الاسبانية ، ولا يطلب من التاليف الا الجودة . والمجلدان الاولان اللـذان ظهرا يحملان عنوان « الى الذين سبقوا سقـراط » لخوان خيل البرت . وكتاب شعري آخر للشاعـر الشاب بدره بيسو مؤسس المجلة الشعرية«موريس».

فهرس العدد الرابع - السنة الثامنة عشرة

صفحة

الافتتاحية

1 ـ الثقافة المغربية والمفاهيم المستوردة .... دعوة الحق

7 ـ الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (9) .... للاستاذ عبد الله كنون

12 ـ الحياة والعيش .... للاستاذ محمد العربي الخطابي

20 ـ مؤلفات مغربية في الصلاة على خير البرية .... للاستاذ محمد المنوني

32 ـ كلمة في فضائل الاسلام .... للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

35 ـ الامير أبو عبد الله العالم وندواته الادبية .... للاستاذ سعيد اعراب

40 ـ تحريف التاريخ : اهم مظاهره واساليبه .... للدكتور ابراهيم حركات

49 ـ الاسلام والنصر .... للواء الركن محمود شيت خطاب

54 ـ خصائص ظاهرة الاستمرار (2) .... للدكتور ادريس الكتاني

59 ـ دور احمد حسن الزيات في الحركة الادبية .... للاستاذ احمد زياد

62 ـ مدخل لدراسة الصحافة المغربية .... للاستاذ زين العابدين الكتاني

67 ـ نقد التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية .... للاستاذ محمد العربي الناصر

78 ـ أبو الفضل عياض ومشيخته الادبية .... للاستاذ عبد الله الجراري

82 ـ التفتح الاموى واثراء الفكر العربي بالاندلس .... للاستاذ احمد البوعياشي

89 ـ اثر المبادىء الاسلامية في تقدم المسلمين .... للاستاذ عبد الحليم عويس

93 ـ نماذج من ادب الصحراء .... للاستاذ شبيهنا حمداتي

صفحـــة

106 ــ الـــــروح وصفاؤهـــــا .... للاستـــاذ م. ح. العزيـــز

115 ــ الحـــاج علـــي عـــــواد .... للاستـــاذ محمد الطيب العلــوي

119 ــ الـــوجــــــادات .... للاستـــاذ عبد القادر زمامـــة

مكتبـــة دعـــوة الحـــق :

124 ــ جولـــة فى كتـــاب يتيمـــة الدهـــر .... للاستـــاذ محمد بن تاويـــت

135 ــ التاريـــخ والسيـــر .... للاستـــاذ المهدي البرجالـــي

140 ــ تاريـــخ شالـــة الاسلاميـــة .... للدكتور عثمان عثمان اسماعيـــل

154 ــ اميـــر مغربـــي فى طرابلـــس .... للدكتور م. ك. شبانـــة

148 ــ المحاضـــرات لليوســـي .... للاستـــاذ أحمـــد تـــوكـــي

ديـــوان المجلـــة :

155 ــ ايهـــا المسلمـــون .... للاستـــاذ المدني الحمـــراوي

159 ــ جـــاء الاســــلام .... للاستـــاذ أحمد الشريـــف

162 ــ بمولـــد المصطفـــى قـــد أشـــرق الافـــق .... للاستـــاذ محمد بن محمد العلمـــي

167 ــ عيـــد اكبـــر وعيـــد ازهـــر .... للاستـــاذ محمد البوعنانـــي

171 ــ قصـــة قصيـــرة : سفيـــر .... للاستـــاذ محمد بن أحمد اشماعو

180 ــ شهريـــات العالـــم الاسلامـــي .... دعـــوة الحـــق

185 ــ شهريات الفكـــر والثقافـــة .... دعـــوة الحـــق

